ألبرتو مورافيا
الحياة الحالمة
المكتبة الثقافية
بيروت

ألبرتو مورافيا



ترجمة
الدكتور فاضل السعدوني

المكتبة الثقافية
بيروت

الطبعة الثانية
— ١٩٨٧ —

ان القصص الثلاثين في مجموعة (الحالمة) تظهر مورافيا ككاتب متفوق، فهو مراقب بارع حاذق ومفكر ممتاز، وسيد للايجاز وساخر رحيم ان الرجال في هذه المجموعة ليسوا اكثر من زائدين، اذ أن النساء هن اللواتي ينتصرن هنا نساء متمردات حالمات. ماشيات في النوم. نساء يكتشفن العنف المخفي في أنفسهن نساء تحررن من الوهم ينتقمن من ازواجهن ان كل قصة تعتبر مفاجأة من المخيفة المرعبة... الى الساخرة المسرة للنفس..

(جريدة برمنغهام بوست)

طبعت للمرة الاولى عام ١٩٧٥ تحت عنوان « السيدة كوديفا وقصص أخرى ».

* *مجموعة رائعة جديدة من القصص القصيرة لألبرتو مورافيا، والتي تصور فيها النساء بطرق متفردة وملونة تجمع بين التناول الحديث والتقاليد الايطالية.*
* *أن كل القصص القصيرة في مجموعة مورافيا تتعلق بالنساء فتيات على علم « بحيويتهن البريئة » ممن يراقبن اجسادهن الممتلئة امام المرايا فتيات يتركن عوائلهن من الطبقة الوسطى للعيش في كومونات ليعدن بعدئذ للزواج من شباب من نفس المستوى الاجتماعي نساء في منتصف العمر يرفضهن اولادهن وبالعكس، نساء يتحولن الى العنف المفاجيء والتحرر الجنسي.*

(جريدة الديلي تلغراف)

واحد من أمهر صناع الأدب في عصرنا.

جريدة الاوبزرفر

البرتومورافيا ــ محاولة تقديم

بالرغم من أن اللغة الايطالية لا تتمتع بالانتشار الذي تتصف به بقية زميلاتها الاوروبيات مثل الانكليزية والفرنسية الا ان البرتو مورافيا الذي يكتب بالايطالية هو كاتب عالمي بحق. ذو انتشار واسع وتترجم كتبه الى مختلف لغات العالم، ولقد حققت روايته (امرأة من روما) عندما ترجمت الى الانكليزية نجاحاً هائلاً واصبحت على رأس قوائم الكتب الاكثر مبيعاً لفترة طويلة من الزمن ولد البرتو بينشرلي وهذا هو أسمه الحقيقي في روما عام ١٩٠٧ وكان والده معماريا ورساما. وفي سن التاسعة اصيب مورافيا بسل العظام مما اضطره للتنقل بين المصحات وملازمة السرير طوال خمس سنوات وعندما تركه المرض. أبقى اثاره فيه متمثلة بخاصرة عليلة وساق قصيرة جداً ولقد استغل مورافيا فترة الراحة الاجبارية هذه ليقرأ كثيراً فقرأ هوميروس وهو في الثامنة من العمر وشكسبير في التاسعة ودستيوفسكي ثم تلتها اعمال فرويدو شيللر وتوماس مان.

وفي عام ١٩٢٥ بدأ بتأليف روايته (اللاابالیون ترجمت الى العربية بأسم اللامبالاة) ونشرها في عام ١٩٢٩. ولقد تميزت تلك الرواية باحتواءها على معظم الخطوط العامة التي تميز اسلوب مورافيا والتي سوف تبقى معه لتظهر في اعماله اللاحقة.

اعتمدنا في اعداد خلاصة مورافيا على موسوعة (الهدف ٢٠٠٠) وعلى مقال مترحم للسيد عاىم محمود في مجلة الف ىاء العراء ٧٢٤. سنة ١٩٨٢

اثار صدور (الاباليون) ضجة في الوسط الأدبي الايطالي واعتبر مورافيا بأنه مروج للفضائح الجنسية وهي تهمة استمرت معه لفترة طويلة من الزمن وينزعج مورافيا كثيراً من وصفه بالكاتب الجنسي فهو يقول أن الادب المكشوف لا يثير اهتمامه ولكنه يستخدمه كمادة توضيحية ففي الوقت الذي تعجز فيه الكلمة عن ايصال المطلوب يصبح الأدب المكشوف هو البديل للغة.

ويعتقد مورافيا ان النقد الذي تعرضت له (اللااباليون) ناتج عن النقد اللاذع الذي وجهته الرواية للبرجوازية الايطالية التي ينحدر منها مورافيا في بداية عصر موسوليني وفي عام ١٩٣٥ استعاد مورافيا في روايته (الخيبة) هذه الملاحظات ذاتها وطور نقده اللاذع لطبقته البرجوازية.

وفي تلك الفترة صدرت له مجموعة من القصص القصيرة (شتاء مريض) (والامل) (والموت الفجائي) (والضابط الانكليزي) ويقال ان موسوليني قرأ روايته (اللعبة الخطرة) ثم روايته الهجائية (التهريج) التي تتحدث عن قائد ديكتاتوري في امريكا الجنوبية بالرغم من انه من الواضح ان مورافيا كان يشير بذلك الى النظام الفاشي في ايطاليا ويعتقد الكثيرون ان الدكتاتور الذي عناه مورافيا هو (الدوتشي موسوليني) بأم عينه وكان ذلك إيذاناً ببدء الحرب بينه وبين نظام موسوليني إذ تعرضت رواية (التهريج) الى الحظر وبدأت كتاباته تتعرض للرقابة وفي عام ١٩٤٣ اشترك مورافيا في تحرير الصحيفة اليومية (شعب روما) التي كان يرأس تحريرها كورادو الفارو مما اضطره الى الهرب من السلطات الفاشية والالتجاء الى جبال تشيوتشيارو وفي أثناء هذه الفترة وضع مورافيا خطوط روايته الرائعة (الفلاح) التي كتبها بعد ذلك بأربعة عشر عاماً.

في عام ١٩٤٤ اصدر روايته (اوغستينو) التي صورت الأحساسات الجنسية عند المراهق ثم كتب مجموعة من القصص القصيرة التي كتب بأسلوب رمزي يختلف عن طريقته المعتادة في الكتابة.

ولقد تلاحقت اعماله على النحوالتالي:

* الرومانية الجميلة ١٩٤٧.
* العصيان ١٩٤٨.

* المهتدي ١٩٥١.
* الاحتقار ١٩٥٤.
* السأم ١٩٦٠.
* الانتباه ١٩٦٥.

ويرصد مورافيا في هذه الاعمال مجتمع البرجوازية الايطالية وتغيراته وتطوره في عام ١٩٧١ ظهرت روايته (أنا وهو) وهي محاورة بين موظف اعتيادي وبين غريزته الجنسية وقد اثارت جدلاً ونقاشات واسعة وفي عام ١٩٧٢ نشر مجموعة من القصص القصيرة استوحى احداثها من جولاته في افريقيا وفي عام ١٩٧٣ صدرت له مجموعة من القصص بعنوان (السيدة كوديفا وقصص أخرى) والتي نترجمها بأسم (الحالمة).

وفي عام ١٩٧٨ صدرت له روايته (ديسيديريا) التي اثارت ضجة أخرى اذ تقدم ١٤ شخصاً بشكاوي ضد الرواية التي اتهمت بأنها تدعو الى الشذوذ الجنسي كما طالب المدعي العام لمدينة (لاكويلا) بوقف طبع الكتاب ومنع تداوله.

ومورافيا اضافة الى كونه كاتب روايات محترف الا انه صحفي ايضاً اذ انه يشترك في تحرير (جريدة المساء) وهي من اكثر الصحف انتشاراً في ايطاليا ولقد استفاد من صفته الصحفية هذه في التجول في العالم فزار فرنسا وانكلترا واليونان وامريكا وافريقيا والصين ولم تقتصر اعماله على الروايات والقصص فلقد كتب بعض المسرحيات منها مسرحية (الآله كورت) ويعمل ناقداً سينمائيا في احدى المجلات الأسبوعية.

تتميز اعمال مورافيا بالوصف الواقعي المجهري للمجتمع البرجوازي الذي يصفه مورافيا بقوله (ذلك المجتمع البرجوازي الذي لا أكاد اجد فيه ما يوحي الي بأحساس ولا اقول بالاعجاب ولكن بمجرد التعاطف) وهو يعبر في معظم رواياته عن اشمئزازه من هذا المجتمع ولكنه اشمئزاز فطري اجتماعي اكثر منه سياسي.

عن روايته الاولى اللاابالیون يقول مورافيا (ربما أني ولدت برجوازياً واعد

واحداً من افراد مجتمع بورجوازي وانا نفسي بورجوازي على الاقل فيما يتعلق بالطريقة التي اعيش بها فأن اللاابالیون ليست سوى وسيلة لادراك حقيقة حالتي ولو اني اوتيت ادراكا اكثر وضوحا بطبقتي لما كتبت هذه الرواية ولقد كتبتها لأنني كنت في داخل البورجوازية وليس في خارجها).

هذه المجموعة.

تمثل مجموعة القصص القصيرة التي بين ايدينا والتي نشرت عام ١٩٧٣ بالايطالية امتداداً لاسلوب مورافيا التقليدي. إلا ان الطريف في هذه المجموعة هو ان ابطالها جميعاً من النساء وان الرجال ليسوا اكثر من (كومبارس) كما قال عنها الناقد الادبي لجريدة (برمنغهام بوست) يجب ان لا يأخذنا الشطط فنفترض ان مورافيا قد قدم نماذجاً نسائية مختلفة من شرائح المجتمع الايطالي بل الحقيقة هي أن مورافيا قدم لنا ثلاثين امرأة بورجوازية معظمهن من سكنة روما او على الاقل يأتين في النهاية للاقامة فيها وتعكس القصص العلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع البورجوازي الايطالي من خلال تصويرها الدقيق للسأم والضجر والفراغ والتفسخ الجنسي!.. ومن خلال زاوية ذكية جداً فمن هو افضل من المرأة يمكن ان يعطي تصوراً عن مجتمع ما فهي الابنة المتمردة التي تمقت والديها الى حد معاملتهما كاعداء وهي الزوجة الخائنة التي تكره زوجها، او تلك التي تزوجته طمعاً في ثروته، وهي الأم التي تحس بتفاهة ايامها وترك اولادها لها وهي العشيقة المتسللة وهي الخادمة التي ينام معها رب البيت.

نأمل ان نكون قد وفقنا في تقديم هذه المجموعة للقارىء الكريم ولقد حاولنا جهد الامكان المحافظة على اسلوب مورافيا الخطي المتدفق الذي يغوص في ادق التفاصيل وينتقل بسرعة كالفراشة من زاوية الى اخرى ويستخدم لغة حديثه جداً مما اضطرنا الى استخدام بعض الكلمات المعربة لتفي بالغرض وتحافظ على الحداثة في اسلوبه. والشكر لله.

بغداد **الدكتور فاضل السعدوني**

تموز ١٩٨٤

الحالمة

أن زوجي لا يقوم بأداء اي عمل على الأطلاق، اما أنا من الجهة الأخرى فأعمل محامية، ولكن وصف زوجي بأنه لا يقوم باي عمل هو امر غير صحيح في بعض جوانبه، فكون زوجي لا يعمل هو امر صحيح، ولكنه من جهة أخرى ينجز اموراً عظيمة، اذ انه واحد من أكثر الرجال الذين اعرفهم مشغول بعمل ماذا؟ بماذا حقيقة! أنه منشغل بانشاء وتخطيط وتطوير علاقاته الغرامية العديدة، وباختصار كان غير مخلص لي. هل تخيل احد أن هذا يعني انه لا يعمل اي شيء؟ أن الشخص الذي يقول كذلك لا يعرف ماذا تعني ممارسة الحب، فحتى لو كانت المسألة تنحصر في التفكير بطريقة للتملص مني ومن كل واحد من نسائه لكونه غير مخلص لها، فان هذا يعني أن زوجي يحتاج الى كل وقته سواء كان وقتاً حراً ام لا ولو تطلّب ذلك حرمان نفسه من النوم. لقد تجاهلت خداعه لي خلال السنوات الخمس الاولى. من زواجنا، وفي النهاية، قررت ان انتقم، بالطبع، كان بامكاني ان اطلب الانفصال الرسمي عنه. ولكن كانت هنالك مسألة معرقلة صغيرة ـــ وهي اني احبه، وكلما ازدادت خيانته لي كلما ازداد حبي له، وهكذا فعندما رأيت بأن طريق الانفصال مسدود امامي بالحب، سرت مع منطق الحب المتوازن الغريب على طريق الإنتقام، ولكي اضع الأمر بشكلٍ مختصر، لقد قررت ان اقتل زوجي. كانت لي صفة مميزة وهي اني امشي وأنا نائمة، اذ غالباً ما كنت انهض من فراشي اثناء الليل بوجه شاحب حد الموت، منحنية الى امام وعيوني معتمة رمادية مبحلقة وشعري المثير منثور فوق اكتافي، رافعة يدي لتمسكا (روب) نومي مفتوحا كما لو أني اعرض

جسدي المهمل واطوف البيت. ان كلا من زوجي وخادمتي (لينا) يعرفان مشكلتي ويتجنبان ايقاظي، وغالباً، ما كنت اتجول في الغرف المختلفة، افتح الادراج واغير مواقع الأشياء، واتجنب باستمرار وبمعجزة الاصطدام بالأثاث، ومن ثم ارجع الى الفراش كما أني عادتي في المشي اثناء النوم معروفة لآخرين في البناية، كما اني ! انَّ احدى الليالي خرجت الى سلم المبنى وقرعت جرس الشقة المجاورة.

كما يعرف كل مرء، أن الشخص الذي يمشي اثناء النوم قد يقوم بأداء العديد من العمليات المعقدة التي تتطلب حذراً ومهارة فوق اعتياديين، وبالنتيجة، فان الماشي أثناء النوم مثل الممثل الذي يؤدي دورا على المسرح، مميزا نفسه بالشخصية التي يتقمصها بكل الطرق الممكنة، اذ تتم في داخله اثارة بعض القابليات الى حدها الاعلى، في حين يتم اخماد الصفات الأخرى، وان الحلم الذي يمر به او في حالة الممثل — التقمص الذي يتلبسه — يؤدي الى الحد من خياله، مما يجعل حركته دقيقة ومعصومة من الخطأ. وهكذا فلقد قررت التظاهر، بأني اعاني من نوبة المشي اثناء النوم، وبدلاً من عمل الاشياء الاعتيادية مثل تحريك الكرسي وفتح الأبواب والتلمس في الادراج، فاني سوف اقتل زوجي ببساطة، وذلك باطلاق النار عليه من مسدس. ان الماشين اثناء النوم يعملون كل انواع الأشياء، وعلى كل حال فان اطلاق النار من مسدس هو اسهل من المشي على الافريز والذراعين ممددين، وبعدئذ، وكما لو انه لم يحدث اي شيء، فاني سوف اعود الى فراشي في غرفة نومي لكي استيقظ في الصباح التالي لأجد نفسي — ويا لحزني — ارملة.

ليس هناك اسرع من التنفيذ فلقد تم اختيار اليوم، وعندما جاء المساء تعشيت بمفردي؛ اذ خرج زوجي مع احدى نسائه متعللا بعذر غير معقول (عشاء رجالي فقط لخريجي نفس الدفعة في كليته في سنة معينة)، بعد العشاء جلست في غرفة المعيشة وقضيت اربع ساعات ادخن واراقب التلفزيون واتصفح الصحف والمجلات، واحسست بالتشنج في جسمي المتقلص المشلول. كان رأسي فارغاً بدون اية افكار؛ اذ ربما كنت في حالة مسبقة من المشي اثناء النوم. عاد زوجي حوالي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، واضاف جرحاً جديداً

الى جروحي؛ اذ انه حتى لم ينظر في غرفة المعيشة لكي يقبلني قبل النوم، وبدلاً من ذلك، ذهب مباشرة الى غرفة نومه واغلق الباب عليه، وانا بدوري ذهبت الى غرفتي، خلعت ملابسي، وتمددت على السرير، وقضيت اربع ساعات اخرى وانا ادخن في الظلام. من الغريب انه ليس هناك متعة في التدخين ما لم نر الدخان، وفي الساعة الخامسة، وكما قررت سابقاً، نهضت من فراشي.

خلعت ثوب النوم ووضعت على جسمي العاري (الروب). كانت هذه هي الطقوس التي يبدو اني كنت اطبقها بانتظام اثناء نوبة المشي اثناء النوم، ولكن في هذه الحالة كانت هنالك اضافة اخرى: مسدس زوجي الذي اخذته ذلك اليوم من الخزانة التي يحفظه فيها، وهو يستقر الان ثقيلاً في قعر جيبي. ترددت اول الامر ثم تشجعت مدفوعة بقوة الرغبة مثل الممثل الذي يدخل خشبة المسرح. ذهبت الى الباب، فتحته وتقدمت في الممر، انه في الحقيقة لم يكن ممراً بالمعنى الحقيقي، بل كان نوعاً من الممشى الضيق الفاصل بين صفين من الخزانات الصغيرة والأرفف المملوءة بالكتب، وعلى النور المعتم المنبعث من مصباح او مصباحين، تقدمت الى الامام مبتسمة مثل الرخام، اتبختر في كبرياء، عيوني مبحلقة، وشعري يتطاير منثوراً، ممسكة بروبي مفتوحاً بكلتا يدي، ونهداي يندفعان الى الامام، ورأسي مندفع الى الخلف. كانت هذه هي طريقتي المميزة عندما أمشي وانا نائمة، وكما اعرفها لأن كلا من زوجي ولينا قد وصفاها لي عدة مرات.

خطوة فخطوة وصلت الى نهاية الممر حيث غرفة نوم خادمتنا (لينا)، وهي كهلة سلافية طويلة نحيفة، قررت أن ادعها تراني كي احصل على دليل لصالحي، وببطء ادرت مقبض الباب وفتحته، ونظرت وأنا اقف متيبسة مثل الموت على عتبة الباب، كانت هناك مفاجأة تنتظرني. فعلى الضوء غير المباشر الآتي من الممر كان بالامكان تمييز فراش لينا، كان مجعداً ولكنه فارغ والأغطية مرمية الى الخلف والى احد الجوانب، كما لو أن لينا قد نهضت بشكل مفاجىء، ولسبب ما، شعرت بشك محبط من أن جزءاً ما من عمليتي كان خطأً، لا زلت اسير متيبسة ببطء وبشكل من كهنوتي مثل أنسان آلي. استطلعت غرفة

حمام لينا وحمامنا. لا يوجد أحد. اين ذهبت خادمتي في الساعة الخامسة صباحاً؟ بالرغم من شكي من أن الخطة قد تزعزعت بفعل بعض الأحباط الغريب المستمر، فلقد قررت الاستمرار في تنفيذ خطتي دون الحاجة الى دليل لينا، وهكذا فلقد استمريت بالمشي مرة أخرى على طول الممر، وكلما مشيت، وكما افعل في العادة ــ كما اخبروني ــ فلقد توقفت، سحبت الى الأسفل، وبشكل اعتباطي، كتاباً من الرف، فتحته، وتظاهرت بالقراءة، ثم ارجعته الى مكانه كل هذا على افتراض وجود شخص ما (ولكن من هو) ربما كان يراقبني؟

وصلت باب غرفة زوجي وبحذر ادرت مقبض الباب فتحته واستطلعت. ولدهشتي، كانت هناك لينا التي فشلت في العثور عليها. لينا الكهلة الممتلئة بالحيوية والمرح نائمة في فراش زوجي، ظهرها العاري النحيف ورأسها المغطى بشعرها الكث الأصفر باتجاه الباب متكئة على ساعدها، كانت تحدق، بدون شك، بنظرة اقتناع الى زوجي الذي كان مستلقياً على ظهره ورأسه على الوسادة وجسمه عار، ومرة اخرى، احسست بأن شيئاً ما كان خطأ في خطتي انني لم اتوقع ما رأيته الان، وبصراحة، انه لم يكن امراً غير متوقعاً بالنسبة لي. ولكن لم يكن لدي الوقت لادقق في هذا الأحساس المزعج بالعناية اللازمة.

أن هذه الخيانة الجديدة من جانب زوجي مع خادمتنا، مع امرأة كهلة، مع شخص يمكن اعتباره جزءاً من العائلة، شخص تثق به وتتخيل ان لديك بعض الحنان تجاهه.
هذه الخيانة غير المتوقعة، كانت حقيقية ووحشية ومع ذلك كانت منطقية، ويجب أن لا تمر دون عقاب، امسكت بالمسدس في قعر جيبي وببطء اخرجته ووجهته صوب السرير وفجأة استيقظت.

كنت واقفة بمواجهة الشباك منحنية ومستندة على مرفقي على قاعدة الشباك انظر الى الحديقة، وامامي كانت هنالك كتلة من اللبلاب الأسود الكثيف الذي غلف الجدار. كانت زاوية الحديقة مضاءة من مصباح في الشارع، وهناك مقعد رخامي مسود بفعل الرطوبة تحيط به اجمة من اشجار الغار وحوض فيه تيار مائي ينبثق من صخرة اصطناعية، كان التيار يرتفع نحيفا لامعا ليسقط مرة اخرى

في الماء المظلم، كانت اكثر لحظات الليل هدوءاً وعمقاً، ولولا خرير النافورة الصغيرة لاعتقدت اني احلم، بعدئذ بدأت ارتجف برداً، فسحبت (روبي) على صدري، واكتشفت فجأة بأنه لم يكن هنالك مسدس في جيبي.

بدا واضحاً اني تعرضت الى نوبة من المشي اثناء النوم، فلقد نهضت من فراشي وانا نائمة وذهبت الى الشباك وفتحت المصاريع ونظرت خارجاً، ولكن ماذا بشأن خطتي لقتل زوجي بالتظاهر اني امشي اثناء نومي؟ انها لم تكن اكثر من حلم داخل حلم، فلقد حلمت بأني كنت اتظاهر بالحلم، واني كنت امشي في البيت كما في الحلم، ولكن شيئا ما اثناء حلمي جعلني اميز بأني لم اكن اتظاهر بالحلم، بل اني كنت احلم حقيقة. احلم بماذا؟ بعلاقة الحب المدهشة بين زوجي ولينا، وذلك بسبب غيرتي الامتلاكية المجنونة. ومع ذلك، فلا شيء اكيد، فلقد تصورت بأن زوجي في الحقيقة قد اقام علاقة مع الخادمة الكهلة وربما قمت انا باطلاق النار عليه حقا، ومن ثم تخلصت من المسدس، ورجعت الى غرفتي حيث استيقظت في النهاية، ومن يدري ان اختلاط الغيرة والمشي اثناء النوم وخلق التخيلات لا تسمح لي برفض الأحتمال الأخير. اني الان خائفة من التحرك بعيدا عن الشباك، والذهاب لرؤية ما فعلت، لذلك بقيت واقفة ومرفقي يستند على قاعدة الشباك، وانا انظر الى الحديقة، وربما، أني لا زلت احلم ولم استيقظ بعد.

امرأة مشهورة

كان كل يوم شيء مرتباً، وفي المطار، وقفت على مسافة قريبة من الطائرة، واقتربت المجموعة باتجاهي. لم اكن ارى الاشياء بوضوح في ضوء افريقيا الساطع، في ذلك الضوء بدا الأفارقة مِثل الأجسام السوداء في الصور السالبة اما الاوروبيون فلقد اختفوا بفعل الشمس الساطعة، ومع ذلك، ميزت الوزير الذي حياني باسم الجمهورية التي زرتها قبل مدة قصيرة اثناء رحلة سياحية. كان هنالك ثلاثة او اربعة مصورين واقفين او مقرفصين، وهم يلتقطون الصور بحماس، وكان هنالك ايضاً صحفيين او ثلاثة يكتبون ردي على خطاب الوزير في دفاتر ملاحظاتهم. قدمت لي طفلة افريقية صغيرة ترتدي ملابساً بيضاء باقة صغيرة من ورد باهت اللون، وهي تنحني، عندها تسلقت مدرج الطائرة ببطء لكي اسمح للمصورين من التقاط ابتسامتي الشهيرة، ولكن ما ان دخلت الطائرة حتى اسقطت ابتسامتي بشكل مفاجيء الى درجة ان المضيفات، وهن اللواتي يجب أن يعرفن كل شيء عن الابتسامات الالية الكاذبة تسألن فيما بعد اذا كنت اشعر بتوعك. هززت رأسي وجلست في مقعدي، بينما كانت الدموع تنهمر من عيني وتبلل وجنتي، كنت أشعر بحزن عميق، وهو أمر بدأت أشعر به منذ حوالي السنتين، وهذا الحزن وكالعادة اجبرني على اداء نوع من الاستعراضية الشريرة الخسيسة. انا استطيع ان ارى الآن البنطلون الابيض لرجل يجلس الى جانبي، وكان ذلك كافيا بالنسبة لي أن اسحب اثناء ربطي لحزام الامان تنورتي القصيرة جداً الى الاعلى قليلاً؛ بحيث يتمكن جاري من رؤية سيقاني الرائعة.

كان هنالك احتمال واحد في الف مليون بأنه سوف ينجذب الي، وانا لا اريد ان افقده لذلك فقد اظهرت سيقاني له، فاذا ظهر من جهة اخرى انه احد المعجبين ومن النوع الكريه المعتاد، فانه سوف يكون من السهل علي ايقافه عند حده بأحدى اجاباتي التهكمية المشهورة.

توقفت الطائرة بعد أن سارت على المدرج ومحركاتها تدور بسرعة قصوى. لم اتمكن من منع نفسي من النظر الى يد جاري وهي تستقر على مسند المقعد. كانت يد شاب كبيرة وقوية وذات لون احمر غامق من نوع خاص بلون الدم لم اره من قبل. كان حزني، مع ذلك، اقوى من فضولي، لذلك فلقد ابتدأت البكاء مرة أخرى، وانا انظر الى العلامة المضاءة عند نهاية الطائرة البعيدة « اربط حزام الامان. التدخين ممنوع » تحركت الطائرة فجأة وبعد مسافة قصيرة حلقت من الأرض مرتفعة في خط عمودي تقريبا باتجاه السماء، وكما لو اني خائفة وضعت يدي فوق يد جاري، واصدرت الطائرة رجفة شديدة استفدت منها لكي اضغط يده بقوة ومن ثم التفت ونظرت اليه.

لم اكن مخطئة كان شابا وسيما ولا يعرف بالتأكيد من أنا ولقد لفت انتباهي فيه شيئين بشكل خاص لون عينيه الأخضر الرمادي ونوعيتهما التي تشبه السائل، بالرغم من انها كانت تبدو مجردة من الابصار وعمياء نتيجة لنوعيتها السائلة، والشيء الاخر الفرق بين لونه الفاتح ويده الغامقة جداً. نظرت اليه ونظر الي. كانت هناك دمعتان تتدحرجان على وجنتي قلت له وانا الهث « اشعر اني وحيدة » اجابني بابتسامة اظهرت اسنانا بيضاء حادة مثل ذئب.

* « امرأة جميلة مثلك وحيدة؟ »
* « وحيدة بسبب كوني جميلة! »
* « غريب. كنت اعتقد ان الجمال يجعل اللقاءات والصداقة وامور الحب اموراً سهلة ».

* « نعم ولكن على شرط ان تبقى خارج السوق ».
* « أي سوق؟ »
* « السوق الذي يعرض فيه جمال كسلعة مثل اي شيء اخر »

* « وماذا بعدئذ؟ »
* « عندها لن يكون هناك تعارف او صداقة او علاقة حب من ذلك النوع الذي يتطلب ادنى درجة من الخيار او الحرية او الاستقلال، هنا عروض السوق العالية او الواطئة فقط ».

* « وجمالك انت الم يبق خارج السوق؟ »
طرح السؤال بنبرة ساذجة بريئة لا يمكن اصطناعها، انه حقيقة لا يعرف من انا وبحسرة قلت له: « لا ان جمالي معروض في السوق منذ سنوات عديدة، انا ممثلة افلام معروفة مشهورة في الحقيقة، وعروضي من بين اعلى العروض ».
* « اوه، حقاً؟ »
كان لدي احساس بأنه يسخر مني، وخصوصا، ابتسامته الشبيهة بتكشيرة الذئب ونظرته السائلة المشوشة، كان هنالك شيء ما غير مريح فيه. قلت بحزم « انا ادعى...؟ ». واعطيته اسمي. وبعد أن لاحظت انه لم يتأثر تماما، اضفت « ربما انك لم تسمع باسمي مطلقاً؟ »

اجابني ببعض الحرج « كنت لفترة من السنين في منطقة نائية في افريقيا. انا مستكشف ومنذ ست سنوات وانا اعيش في جزء متوحش من البلاد، مملوء بالمستنقعات والغابات والنباتات المتسلقة والحيوانات المتوحشة، ولا تصلني اخبار من العالم الخارجي، ولكن الان ما أن اصل الى اوربا، فأني سوف أذهب وأرى افلامك لكن لماذا انت تبكين؟

هززت رأسي غير قادرة على الكلام، لكني لا زلت اضغط يده بشدة، وبعدئذ هدأت وقلت له: احكم بنفسك لقد ولدت في قرية صغيرة يبلغ عدد سكانها خمسة الاف نسمة. ان خمسة الاف شخص هو عدد لا بأس به، ولكنهم كانوا يشكلون منطقة صغيرة، انه واحد من تلك الامكنة التي يوجد فيها نوع واحد من كل شيء: صيدلية واحدة، كنيسة واحدة، بائع قرطاسية واحد، ومكتبة واحدة، ومقهى واحدة، وبائع تبغ واحد، وسينما واحدة، وهلمجرا وفي سن الخامسة عشرة اصبحت عمليا اعرف كل الخمسة الاف ساكن في قريتي الصغيرة وهم يعرفونني كذلك، فأذا خرجت للنزهة عند المغيب فأبهم يحيوني

جميعا واحييهم، فاذا ذهبت للتسوق، فان اصحاب المحلات يسمونني باسمي واسميهم باسمائهم، واذا خرجت من المدينة لأتمشى على الطريق الرئيسي فاني اعرف جميع المزارعين الذين يعملون في الحقول، وهم يعرفون من انا ايضا. في الحقيقة اني كنت اعرف وكنت معروفة من قبل خمسة الآف شخص وبطريقة طبيعية حنونة وعندما اقول طبيعية فان هذا يعني ان كل هؤلاء الناس قد تعرفوا على الاقل مرة واحدة، على شخصيتي الحقيقية بلحمي ودمي وليس على صورتي فقط، كما اني رأيتهم شخصيا ايضاً والان دعنا نقفز عشر سنوات الى الأمام انا في الخامسة والعشرين ومشهورة، ومع ذلك اشعر بالوحدة اكثر فأكثر. انا لست امرأة غبية، فأنا اعرف الامور ولم اتوقف لحظة عن التفكير في عزلتي هذه، وفي النهاية اصبح واضحاً لي، ان من الممكن تفسيرهما على الطريقة التالية: ان هذه العزلة ناتجة عن غلطة من جانبي كيف اوضح ذلك؟ ــ خطأ في الحسابات؛ ان الأمر يبدو كما لو اني قلت لنفسي في بداية نجاحي المهني عندما كنت فتاة غير معروفة في قرية كنت اتمتع بحب وبتماس على السكان الخمسة الآف.

وهكذا فعندما اصبح مشهورة في العالم كله فسوف يحبني ملايين وملايين الناس. أن هذا الحب الجماعي سوف يدفء قلبي ولن اشعر بالوحدة مطلقا مرة اخرى

ــ « وبدلاً من ذلك..؟ »

ــ « كان ذلك خطأ كما قلت. في الحقيقة انك اذا كنت مشهوراً فهذا يعني ان تكون وحيدا. ان الشهرة ان تكون مثل الزهرية في شباك العرض توضع للعرض وينظر اليك كل شخص مار على الرصيف، ولكن لا أحد يستطيع لمسك، كما انك لا تستطيع لمس اي شخص، وانا اعني اللمسة الحقيقية كما المس يدك في هذه اللحظة ».

نظر الي ربما باشفاق ولكنه قال:

* لا شيء يهم انك مشهورة.

* هل تعتقد انه لشيء رائع ان يكون المرء مشهوراً.

* « انه اروع شيء في العالم، اني مستعد لعمل اي شيء لكي اصبح مشهوراً الى حد ارتكاب جريمةٍ ».
* « سوف تكون مشهوراً عندها لظهيرة واحدة فقط ومع ظهور الطبعة الثانية من الصحف سوف تختفي وتذهب الى العدم ».
* « ولكن ما الذي يجعلك تعتقدين اني سوف اقتل شخصا عادياً؟ يجب أن اقتل شخصا مشهوراً وبذلك تصبح شهرته لي، كما هو الأمر هنا في افريقيا، فهم يعتقدون بأن اكل كبد العدو سوف يورث المرء شجاعته »

انقطع حديثنا لأن الطائرة بدأت بالهبوط.
وما ان لامست الطائرة الارض وطافت بالطريقة الاعتيادية ومحركها يهدر، حتى لاحظت ان جاري قد نهض من مقعده وسبقني باتجاه الباب، رأيته في بداية صف المسافرين المستعدين للنزول. كان هناك حوالي عشرين شخصاً بينه وبيني، واقتنعت بأني سوف افقده. كنت وحيدة قبل ان التقي به، وبقيت معه اكثر بقليل من ساعة واحدة، والان يجب ان ابقى وحيدة مرة ثانية.

في فندق الدرجة الاولى، في عاصمة الجمهورية الافريقية الجديدة التي بدأت بزيارتها تواً، اعطوني جناحاً، غرفة نوم وغرفة جلوس وحمام. على المنضدة كانت هناك سلة مملوءة بالفاكهة الاستوائية مع رسالة لم افتحها، لعلمي مبدئيا، انها سوف تحتوي على تحيات الادارة المطبوعة مسبقا. ارتديت (روبي) وذهبت الى الشباك حيث تطلعت الى الخارج.

كان الشباك يطل على البحر الذي كان هائجاً ابيض اللون، وبدا وكأنه يغلي تحت الضوء الشديد مالئاً السماء المظلمة بالضباب. مقابل الفندق وعلى الجانب البعيد من المنتزه المهجور، كانت هنالك صورة لي بحجم شاشة السينما، وتحتها كتب اسمي بالحروف الحمراء الكبيرة، وفي الزاوية كانت صورتي نصف عارية بين ذراعي ممثل مشهور.

طرق الباب، فصحت ادخل، ولم أُفاجئ عندما رأيت جاري في الطائرة. اغلق الباب وتقدم نحويَ واخذني بحضنه لكنه لم يقبلني، انسحب قليلاً الى الخلف، وقال « تظاهرت بأني لا اعرفك ولكني كنت اعرف كل شيء طوال

الوقت. اعرف كل شيء تماماً. ان العديد من المجلات تصل الى المصح وكنت اقطع صورك والصقها على جدران غرفتي »

* « لماذا، اي مصح، الست مستكشفا، الم تعش لعدة سنوات في منطقة مملؤة بالغابات والمستنقعات؟ ».

* « نعم، هذا ما قاله لي الطبيب ايضاً انك مستكشف، انت تختفي بين المستنقعات والغابات ويتوجب عليك ان تخرج ».

وفجأة فهمت الذي يحدث لي، ومن ثم ما حدث لي الآن وما سوف يحدث لي. هل كنت خائفة؟ ليس حقيقة، لكني تظاهرت بذلك وحررت نفسي من ذراعيه مع صرخة خوف متوسط فقط، ركضت باتجاه الباب وكنت اعرف انه مقفل وانه وضع المفتاح في جيبه، ومع ذلك، تظاهرت اني اضرب الباب بقبضتي، لقد كنت ممثلة، على اي حال، ويجب ان اموت كممثلة.

اطلق الرصاصة الاولى علي وكنت واقفة عند الباب، ومن ثم وضع طلقتين او ثلاث او اربعة في جسمي، تركت الباب، وذهبت لاستلقي على فراشي، لكي اموت بطريقة مشرفة. كنت اعرف اني انزف الكثير من الدم، اغلقت عيني ثم فتحتهما مرة ثانية. وفي الحال، رأيته ينحني ويحدق بي، شعرت برغبة في أن اقول له شيئاً قبل ان اموت، شهقت وتمتمت « هل انت سعيد يا ابني العزيز؟ غداً سوف تكون مشهوراً، نعم مشهوراً في العالم كله ».

جمع المفرد

انا امرأة عميقة التفكير، صامتة، ومن النوع الذي يحب الاصغاء. لا اسمح لأفكاري ان تظهر، بل احتفظ بها لنفسي، ولقد اصبح هذا ممكناً بفضل وجهي الجميل الباسم المدور. انه وجه دمية الا يقول الناس في بعض الاحيان عن شخص لا يسمح لأفكاره واحاسيسه بالظهور بأن له وجه دميه؟

ولحسن الحظ فان لي زوجاً يحب الحديث قدر ما احب انا الاصغاء. ان زوجي من النوع الذي يسمى (بالمنظر) انه لا يكتب، اذ أن الكتابة سوف تعني بالنسبة اليه تعليق فعالية عقله المستمرة، وان فعاليته هذه تظهر على الصورة التالية:

يقوم بالسيطرة على أية حقيقة ثابتة أو ظاهرة ما بواسطة الماكنة الصغيرة الموجودة في رأسه ليحولها الى فكرة مجردة، وبكلمات اخرى، ان الحقيقة أو الظاهرة التي تبدو أمامه بشكل مفرد ـــ وكيف يمكن أن يكون الأمر غير ذلك ـــ عندما يريد التحدث عنها، فانه يتحدث باستمرار بصيغة « الجمع ». وفي الحال تفقد الحقيقة أو التظاهرة كل صفات الوجود، وتصبح غير حقيقية. على سبيل المثال، هل هنالك أكثر جمالاً، في أيام المطر الصيفي، من قوس قزح على بعض الطرق الريفية، عندما تخترق أشعة الشمس السحب الرمادية الممزقة، اذ يرتفع ملوناً من العشب السميك في الوديان الخضراء الواسعة بينما ما زال المطر ينهمر بغزارة على الضوء، والأغصان المخضلة بقطرات المطر البراقة وهي تنقر زجاج السيارة؟ ولكن (أقواس قزح) بالجمع وقواعد تكونها وصفاتها

التي يتحدث عنها زوجي حالما الفت انتباهه الى قوس قزح مثير ومدهش ما هي أقواس قزح بالنسبة اليه.. كلمات.. كلمات ولا شيء سوى كلمات.

وفي أحد الأيام خرج زوجي للعمل كالمعتاد، ولكونه شخص منظر فلقد اتخذ له مهنة تليق بهذه الصفة، فهو يعمل في مؤسسة اعلانات، ولكن على الضد من عادته عاد بعد أقل من ساعة، وكنت أنا قد ابتدأت العمل أيضاً (أنا أعمل في البيت كمترجمة عن اللغة الالمانية) وعندما رأيته وهو يدخل خلسة وبملامح قلقة حزينة تكسو تقاطيع وجهه، ادرت الكرسي نصف استدارة وسألته عما حدث. كان زوجي صغير البنية، ولكن له رأس جميل مثل رأس تمثال، ذو قناع يعكس حيوية عالية كما قلت سابقاً، فان هذا القناع يخفي الماكنة الصغيرة الموجودة في داخل رأسه التي تحول المفرد الى الجمع، أما الآن فلقد دهشت لأنه لم يجب على سؤالي في الحال كما هي عادته بتعميماته ذات الالتواءات الطويلة، فتصورت بأن الشيء الذي يزعجه لا بد أن يكون شخصياً جداً، واعتماداً على ذلك، يحب أن يكون مزعجاً جداً، وبدرجة معينة من الاحساس بحيث ان ماكنته الصغيرة، طاحنة الصخور، تواجه صعوبة في تحويلها الى عجينة مجرّدة. وللحظة، وأنا اراقبه وهو يمشي بصمت وغضب جيئة وذهاباً في الغرفة، أملت في النهاية وللمرة الأولى منذ بدأنا بالعيش معاً، بأنه سوف يخبرني عن الشيء، كما حدث له، مستخلصاً كل تفرده ونوعيته الأصلية التي لا يمكن تخطئتها.

لذلك فقد انتظرت بهدوء ولكن عندما رأيته لا يتحدث، تركت الكرسي الدوار وذهبت للجلوس على الأريكة « الله وحده يعلم ما حدث » قلت لنفسي دعني آمل بأنه سوف يخبرني الشيء بصيغة المفرد، فاذا اخبرني بصيغة الجمع هذه المرة، فاقسم بشرفي اني سوف انفجر في وجهه ».

في هذا الوقت الذي كانت فيه هذه الأفكار تجول في رأسي ولكن بتعابير التي تشبه الدمية تبعته بعيني وهو يمشي جيئةً وذهاباً ومن ثم وقف أمامي فجأة وبدأ الكلام « من الناحية العملية فان المهن هي فريقان وجود معينة تتطلب من الناس الاخرين تأكيدها وفي المجتمعات التنافسية. فان هذه الفرضيات تكون

في خطر في ان تتناقض... ». وهكذا فلقد عاد مرة اخرى الى صيغ الجمع والتجريد، تملكني سخط عنيف ومفاجيء كان قوياً الى درجة انه لم يعد يهمني أن اعرف على الأقل ماذا حدث له بل فتحت فمي وصرخت بتهكم (هأ. هأ. هأ)!

قلت مسبقاً ان لزوجي رأساً أشبه برأس تمثال ففغر فمه من الدهشة وهو يقول:

ــ « ما بك؟ »

ــ « المشكلة هو اني لا اعرف ما حدث لك، ولكني رأيتك تبدأ بواحدة من تنظيراتك العامة الاعتيادية أنا لست مهتمة بمعرفة ما حدث... ».

ــ « ولماذا لا تريدين ان تعرفي؟ ».

ــ « لأنك لم تخبرني مطلقاً عن الشيء »

ــ « أي شيء؟ »

ــ « الشيء! »

ــ « ماذا تعنين؟ »

ــ « اعني الخاص لقد دخلت رأساً الى التجريد والى التعميم ».

ــ « انها طريقتي في معرفة ما يحدث لي تحت الأشياء التي تحدث، ما ان يكتشف المرء القوانين التي تحكمها... »

ــ « نعم ولكن لفترة من الزمن فاني أشك انك تختلق القوانين التي تتطابق مع مصالحك. فاذا سارت الأمور بشكل جيد معك، فان الأمور ستسير مع العالم كله، اما اذا كانت الأمور سيئة بالنسبة لك فان الأمر كذلك بالنسبة للعالم كله ان من الأفضل التحدث عن الشيء بطريقة بسيطة غير مزخرفة دون اشتقاق اية قوانين أو تنظيرات عامة منها على سبيل المثال. من الطريقة التي بدأت الحديث بها حزرت أن شيئاً ما قد حدث لك هذا الصباح وبدقة أمر يتعلق بوظيفتك، ربما فقدت مقاولة اعلان ولكن لا تهتم لو سارت الأمور بشكل حسن بالنسبة لك. عندها كنت تقول العكس تماماً ».

ــ « وماذا في رأيك، يتوجب علي أن افعل؟ »

ـــ « ما يجب ان تعمل هو أن تكون واعياً بحقيقة ان تصبح عارفاً بالأشياء المتعلقة باهتمامك الخاصِ كما يفعل أي شخص يجب ان تترك العموميات وتتحدث عن الشيء ذاته ».
ـــ « اذا صح ما تقولين فيجب أن اصبح نوعاً من ديك الجو؟ ».
ـــ « بطريقة ما، نعم ».

ان الشيء الذي حدث له لا بد ان يكون هاماً، لأن الماكنة الصغيرة في رأسه قد توقفت فجأة، لم يصدر نظرية عن النساء (بكوني امرأة) ولا عن واجبات الزوجات (بكوني زوجته) بل انحنى باتجاهي منتفخاً بالغضب وصرخ (اني امنعك من الحديث اليّ بهذه الطريقة!)

وأخيراً، هنا شيء مباشر، دقيق وثابت. اردت ان احثه على السير الى الأمام في ذلك الطريق، فقلت له ببرود اني سوف أقول ما اعتقد (اني اعتقد انك ديك جو، وأكثر من ذلك ديك ثرثار جداً!)

وفجأة اتجه نحوي كانت غرفة جلوسنا شاهدة على الخطب الطويلة من جانبه وعلى الاصغاء الصامت من جانبي وفجأة شهدت تلك الغرفة رجلاً صغيراً يندفع نحو زوجته شبيهة الدمية ويحاول أن يضربها، ولقد نجح في ذلك ولكن ليس بدون جهد وللحظة شعرت بنوع من الارتياح ان الصفعة على أي حال هي صفعة. شيء محدود وثابت ولكن في الحال سيطر علي الغضب فقمت وركضت تجاه غرفتي وأنا اصرخ لقد انتهى كل شيء بيننا.

أخذت حقيبة وبدأت اضع فيها كل ما تقع عليه يدي من ثم جاء إليّ ورمى نفسه عند اقدامي واحاطني حول ركبتي مما جعلني اسقطِ الى الخلف على الفراش وبصوت حزين قال « لقد طردوني قبل ساعة، لقد فقدت وظيفتي، وهذه هي اللحظة التي قررت أن تتركيني فيها ».

وهكذا عرفت في النهاية المسألة لقد توقفت ماكنة الثرم في وجه ثورتي، واخبرني حقيقة محددة سليمة لم تهضم، ولم تتحول الى لحم نقانق نظري بعد.

ـ « اذن فلقد طردوك » قلت له:
ـ « نعم ».
ـ « بأي طريقة »
ـ « استدعاني المدير وابلغني بأنه سوف يعين شخصاً بدلاً مني بسبب عدم كفاءتي ».
ـ « هذه حقيقة دقيقة على أي حال لا تبك سوف تجد مهنة اخرى ولا تقلق فاني لن اتركك اتعرف ماذا سوف نفعل من الآن فصاعداً؟ ».
ـ « وماذا نفعل؟ ».
ـ « عندما اعرف انك على وشك النطق بنظرية عامة أو ما شابه فاني سوف أقول ولو بهدوء وليس بالطريقة المزعجة « هأ هأ هأ ».

اصدر نشقة عالية ولكنه كان مرتاحاً وتوقف عن البكاء فسألته:
ـ « أي نوع من الرجال رئيسك هذا؟ ».
ـ « انسان عادي »
ـ « انا متأكدة انه ليس انساناً عادياً انه يجب أن.. يمتلك بعض الصفات المميزة ».
ـ « نعم، ان له شامة، ثؤلول في الحقيقة، فوق فمه مباشرة، وهذا الصباح قطعها على ما يدو أثناء الحلاقة، وكان يلحسها باستمرار دون اعارتي اي اعتبار »!
ـ « أمر غير لطيف، أليس كذلك؟ »
ـ « ان الشامات، اذا قطعت تصبح خطيرة جداً انها قد تؤدي الى السرطان، لذلك على المرء ان يكون حذراً أثناء الحلاقة لأن... »
ـ « ها.. ها.. ها.. »

اعادة اكتشاف

تركني زوجي البارحة بعد مناقشة حادة اخبرته أني سوف لن أعود معه الى المدينة، لأني اريد ان ابقى وحيدة في الشقة لأسبوع على الأقل، لكي افكر ملياً في حياتي، لكي اعيد اكتشاف نفسي، ولقد اجابني بأن اعادة اكتشاف المرء لنفسه هي مسلسلة هزلية شائعة. على أي حال كان الأمر يمكن أن يكون معقولاً اذا صدر من فتاة جميلة في سن العشرين ولكن في حالتي هذه، فما الذي اريد ان اعيد اكتشافه؟ اعترف اني في داخلي كنت اوافقه: نعم ان اعادة اكتشاف المرء لنفسه كان هزلاً باهتاً. هل من الممكن ان التعاسة التي اعاني منها منذ فترة من الزمن هي التي أدت الى عدم قدرتي على اختيار التعبير الأفضل؟ ولكن ربما ان احد اسباب تعاستي هو ذلك الأمر ذاته: أي هو عدم قدرتي على التعبير عن تلك التعاسة.

وهكذا فانا الآن وحيدة، وحيدة بحق. سوف يأتي الخادم لساعتين في الصباح فقط لأجل التنظيف، أما للتسوق فاني سوف أذهب الى القرية القريبة ومن ثم اطبخ وآكل وأغسل المواعين وحيدة. ثم ماذا؟ أما بقية الوقت فسوف استخدمه (عدنا مرة اخرى الى المسلسلة الهزلية) لاعادة اكتشاف نفسي.

جلست في المدخل وفي يدي كتاب. كان ضوء الشمس يتسرب من الشبابيك الكبيرة، ملقياً عدداً من الظلال المتقاطعة التي تشبه قضبان السجن على الجدران، وعلى الأريكة، وعلى الأرض. كان يوماً من أيام أواخر أيلول؛ هادئاً

وهشاً وخاملاً، تعطي هشاشته شعوراً باللاحقيقة؛ قدرت انها ستكون غير مناسبة لاعادة اكتشاف النفس. نظرت باتجاه الشبابيك خلف الزجاج، كنت استطيع رؤية اغصان وأوراق الأشجار وهي تتحرك في الريح، ولكني لم أكن اسمع أي صوت، وفجأة، احسست ان هنالك صمتاً كاملاً؛ صمتاً من نوعية خاصة، صمت ليلي، وبكلمات اخرى، صمت من ذلك النوع الذي ينتج من تعليق الحياة، لقد فكرت بأن اشعة الشمس الهشة كانت لها نوعية شبحية خاصة، كتلك المرتبطة عادة بضوء القمر. ان اشراق الشمس الناعم الذهبي كان يشابه حقاً الاشراق الذهبي الناعم للقمر المكتمل، لقد اخبرني احدهم ذات مرة انه، استناداً الى القدامى، فان ساعة الظهيرة هي ساعة ظهور الأشباح، لذلك، فاني لن افاجيء الآن اذا اتخذت اشعة الشمس التي تنتشر الآن مثل سائل ناعم من الضوء فوق الكرسي المواجه لي، اذ اتخذت تدريجياً شكلاً انسانياً كالشكل الموجود الآن، شكل شخص يجلس قبالتي والذي يبدو طبيعياً جداً ان ادخل في مناقشة معه.

وفجأة اكتشفت اني خائفة ليس من صمت وفراغ الشقة، بل من الصمت والفراغ في داخلي. كنت بعيدة جداً عن اعادة اكتشاف نفسي، لذلك فلقد نهضت وذهبت باتجاه الشباك الفرنسي الطراز، فتحته وخرجت الى الحديقة نظرت الى العشب الانكليزي النوع والى رذاذ الماء متواصل الدوران. كانت هنالك شجيرات كبيرة كثيفة مرصعة بورود بيضاء صغيرة تنمو هنا وهناك فوق العشب، ومن ثمَّ وفي ذلك الصمت سمعت صوتاً حاداً يشبه صوت القطع ثم صوت غصن احدى الشجيرات وهو يسقط الى الأرض، وفجأة ظهر رجل يرتدي قميصاً ذا اكمام قصيرة وذراعين عاريين، وهو ينظر اليّ، ذهبت اليه. كان شاباً ذا وجه وردي وعيون كثيفة مخيفة الزرقة تحت جبهة واطئة سوداء مثل مقدمة قبعة.

— « انت، من تكون »؟

— « البستاني »

— « هذه المرة الاولى التي اراك فيها »

— « اثناء الصيف اعتدت أن آتي مبكراً، عندما تكونين لا زلت نائمة ».

لم أعد خائفة الآن لقد سكنت الصحراء قبل الآن، وبفترة قصيرة، كان هنالك شروق الشمس والصمت فقط، وكنت أنا معهما قطعة لا حياة فيها مثل أي شيء آخر، أما الآن فهناك اثنان. وفجأة، كما لو في السحر، تم خلق موقف، ولقد فكرت بأن ما احتاجه بالضبط هو موقف من أي نوع لكي اعيد اكتشاف نفسي. على أي حال ما الذي يفعله كتّاب الروايات؟ انهم يخلقون موقفاً تظهر من خلاله شخصيتان أو أكثر، أي انهم يعيدون اكتشاف انفسهم. ان الموقف الذي وجدت فيه نفسي منذ عشرين عاماً مع زوجي واولادي اصبح الآن عقيماً، ولم يعد يسمح لي باظهار نفسي بأية طريقة، أما الآن فان هنالك موقف جديد أنا وحيدة وهناك بستاني شاب وشقة مهجورة في الخريف، لذلك يتوجب علي أن الملم نفسي معاً واستخدم الموقف هذا لكي اعرف نفسي، لكي اعيد اكتشافها.

القول أسهل من الفعل عادة، ففي اللحظة التي رأيت فيها وجه الشاب أصبحت داكرتي ممسوحة، وكل ما استطيع فعله هو أن أقول له، « ما اسم هذه الشجيرات؟ » نظر الي ولم يقل أي شيء استجمعت شجاعتي واستطردت: « ما اسم هذه الشجيرات التي تكون تلك الأجمة؟ »

— « لا اعرف ».
— « الست انت البستاني؟ »
— « نعم أنا البستاني »
— « ولا تعرف اسم هذه الشجيرات؟ »
— « ان مهنتي هي تقليم هذه الشجيرات هذا كل ما اعرفه »
— « كم تبلغ من العمر »
— « ثماني عشر سنة »

وفجأة لم اعرف أي شيء آخر أقوله صنعت نوعاً من اشارة التوديع استدرت ورجعت الى البيت، وهناك مرة اخرى، رأيت الشكل الشبحي مثل ضوء القمر المكتمل والضوء الهش يسقط ظلالاً متقاطعاً على الجدار وعلى الأريكة. سيطر علي نوع من الرعب، يجب أن اجد طريقة لتوضيح الموقف، لكي اعيده الى

الحركة، قلت لنفسي ذلك الشاب وأنا؛ سوف افعل اول شيء يخطر في ذهني. ان اول شيء خطر في ذهني تركني مقطوعة الأنفاس مرتعبة، يجب ان تعرف ان هنالك قبواً في الشقة، قبو مظلم تماماً ومقفل ولا يمكن الوصول اليه الا عن طريق باب صغير مصمت من الدور التحتاني الذي يحتوي على سخان للتدفئة المركزية. ان اول شيء خطر في بالي كان على النحو التالي بدون زيادة أو نقصان: ان أغري الفتى وأقوده الى ذلك.القبو ثم احبسه هناك واقفل الباب عليه مرتين ثم أعود الى المدينة كما لو ان شيئاً لم يحدث. كانت الشقة معزولة في الحديقة الكبيرة التي تحيط بها ولقد غادر السياح جميعاً كما ان الشقق الأخرى كانت مغلقة لأن الوقت هو الخريف ولن ينجح الشاب في اسماع صوته، وسوف يصرخ وينادي في يأس، وفي النهاية سوف يموت من الظلام، ومن الجوع والخوف هذا اذن أول شيء خطر في ذهني.

ومع ذلك فلقد ربطت نفسي بعهد، وبالرغم من اني كنت مرتعبة، لأني عندما اعدت اكتشاف نفسي وجدت اني قاسية وشريرة الى هذه الدرجة، ومع ذلك، قررت ان اواجه الأمر، عدت الى الحديقة وأنا أمشي بهدوء وببطء، كان الشاب لا زال مغطى حتى صدره بالشجيرات التي كان يقلمها

ــ « عندي حقيبة ثقيلة » قلت « واريد أن أضعها في القبو. هل تنقلها لي الى الأسفل؟ »
ــ « بكل سرور »
ــ « اذن تعالى الى الأعلى بعد دقيقتين سوف اذهب الآن واغلقها »

سرت مبتعدة وعدت الى الشقة كنت اريد ان املأ أية حقيبة مناسبة بأشياء ثقيلة مثل الكتب مثلاً بحيث اجعل حجتي مقنعة، وما ان اسجن الشاب في القبو، فاني سوف اسلي نفسي بالحديث اليه من خلال ثقب مفتاح الباب، ومن ثم أذهب من دون ان افتح له الباب شعرت اني قاسية مصممة ومثارة، وللمرة الأولى منذ سنين شعرت اني اعيش بحيوية ومتعة. صعدت درجات السلم اثنتين في كل مرة وذهبت الى غرفة نومي، ولدهشتي، كانت الحقيبة هناك مفتوحة

ومملوءة، لقد نسيت اني جمعت حاجياتي في المساء من قبل، عندما كنت لا ازال معتقدة بأني يجب ان اغادر مع زوجي في ذات اليوم.

ان هذه القطعة غير المهمة من النسيان كانت كافية لتفريغي، لقد اظهرت في الواقع، وضعي الصحيح الذي لا يمكنني تجنبه وهي اني ام برجوازية من عائلة تعيش في المدينة حيث ينتظرها زوجها وأولادها، ولكي اختصر: لقد اعدت اكتشاف نفسي مرة اخرى، واكتشفت انها كما كانت عليه تماماً فلو لم تكن كذلك فيجب عليَّ أن اقبل فكرة اني قاتلة سادية مجنونة لذلك فمن الأفضل تصور هذا الانبعاث المفاجيء للقسوة كدليل على العكس من حالتي الطبيعية البريئة.

اغلقت الحقيبة وذهبت لأضعها قرب الباب الذي انفتح بتردد وبطء شديدين كان الشاب هو الذي فتحه تنهدت ومن ثم قلت له بجهد « لقد غيرت رأيي سوف اغادر الشقة. هل تسمح ان تحمل لي الحقيبة الى السيارة »، وقف هناك وذراعاه متدليان ينظر الي:

ــ « يا للخسارة » قال

ــ « لماذا خسارة؟ »

ــ « خسارة انك تغادرين، امرأة جميلة مثلك ».

كنت بدوري انظر اليه أيضاً ارتفع وهج أسود الى خديه الورديين كان حاجبه الواطيء يبدو وكأنه يخفي عينيه الخارقتين الماكرتين. كنت على وشك ان انفجر في الضحك، ومن كل النواحي، بدا لي واضحاً على خلاف حالتي ان الشاب لم يستغرق وقتاً طويلاً لكي يعيد اكتشاف نفسه في موقفنا الدقيق هذا كخليلة وخادم متروكين وحدهما في شقة معزولة قلت له بحدة: « خسارة ان اغادر لأني امرأة جميلة يمكن ان تتم معها بعض الترتيبات اليس الأمر كذلك؟ اما من جهة اخرى لو كنت امرأة قبيحة فان الأمر ليس خسارة هل أنا على حق؟ »

وبابتسامة ذات براءة وحشية وافقني « نعم »

ــ « حسن انا متأسفة، والايجاز روح الذكاء، احمل الحقيبة ودعني ارحل »

لم يتحرك ولم يتكلم ثم خاطبني للمرة الأولى بقوله (انت) قال « لا انك لن تذهبي، ستبقين هنا »
ـ « هيا خذ الحقيبة ولا تخرّف ».
ـ « استلقي على السرير »

كان قلبي يدق بعنف، تظاهرت باني اتحرك باتجاه السرير تبعني تاركاً الباب ثم ملت على كعب قدميَّ، امسكني عندما مررت بالقرب منه، تصارعنا معاً ولكنه بدلاً من تهديم مقاومتي كان يبغي بالدرجة الاولى ارضاء احاسيسه لذلك فقد اعتصر صدري، هربت منه، وخرجت من الباب وهو في اثري كان السلم اللولبي الضيق يؤدي الى الأسفل نحو الدور التحتاني بدأت اتلوى وأنا اهرول باندفاع على درجات السلم، وصلنا الغرفة التحتانية العادية الواطئة التي تحتوي على سخان التدفئة المركزية حيث الاسطوانة الحديدية الرمادية تقبع في احدى الزوايا.

الى جانبها كان هناك باب القبو وشعاع من الشمس قادم من الشباك الضيق يسقط على الأرض، فتحت باب القبو ودخلت، ادرت المفتاح، انحنيت اضرب في الظلام بحثاً عن الجدار عندما سمعت صوت الشاب وهو يقول:

ـ « هيا اخرجي سوف انتظر هنا حتى صباح الغد اذا كان ذلك ضرورياً »
ـ « لو كنت مكانك لفكرت بما سوف اقوله للشرطة عندما يعتقلوني »
ـ « وماذا سوف أقول؟ سأقول باني قد اعدت اكتشاف نفسي »
ـ « اعدت اكتشاف نفسك »

انتظرت لحظة حتى بدأت اتنفس بهدوء، ومن ثم اتخذت تعبيراً متكبراً غاضباً، مددت يدي وفتحت الباب.

ابنة صالحة

انتظرت حتى غادرت امي ـــ أو بشكل أصح المرأة التي اعتدت منذ سن الثالثة ان اناديها بأمي ـــ البيت لكي تذهب الى قداس، ومن ثم قفزت من الفراش، ذهبت الى منتصف الغرفة ونزعت توب النوم. عكست المرايا المتعددة المثبتة حول الغرفة عري جسمي بالنبل المكتوم المتعب المميز للأشياء الثمينة القديمة، مرايا سميكة مأطرة في أبواب خزانات من طراز لويس، ذات لون حليبي وحدود مذهبة. لم استطع منع نفسي من النظر الى جسدي، ولكن ليس من زاوية النرجسية الاستعراضية، بل من وعي الجديد بحظي الطيب الذي لازمني لفترة من الزمن. ان جسدي شاب معافى، صلب ولامع، ويحمل دلائل على حياتي كفتاة غنية، أو كما يقولون « وريثة » تتمتع بعطل على شواطيء البحر وفي الجبال، كليات اجنبية، سفر، رياضة، وفي الحقيقة كل الأشياء التي لا يستطيع اقراني القيام بها، ان الأمور كان من الممكن أن تسير بشكل مختلف، وكما اكتشفت حديثاً فلقد قدر على ما يبدو أن تسير الأمور على النحو الذي سارت عليه، ومع ذلك، فاني لا استطيع حتى الآن القناعة بنصيبي الطيب.

ذهبت الى الحمام الذي كان اصغر قليلاً من غرفة نومي، كان الحمام فاخراً عندما بني منذ ثلاثين سنة بحيث ان نوعيته الممتازة ثابتة وثقيلة، الى درجة ان الزمن لم يكن له تأثير سيء، بل ربما يكون حسنها منظر الآجر المصمت والحنفيات المثبتة عليه، نزلت تحت رشاش الماء، وتغلف جسدي بسيل الماء

المدغدغ، ولقد دهشت عندما لاحظت ان الماء لا يبلل جسدي الا قليلاً، وهو ينساب فوق جسدي المتفجر، كما لو أنه يمر فوق تمثال رخامي، قفزت من تحت الرشاش، لففت جسدي في ثوب واسع من قماش الخاوليات التركي وعدت الى غرفة النوم، ارتديت بسرعة ابسط بلوزاتي وأضيق بنطلوناتي، ومن المنضدة المجاورة أخذت مفتاح السيارة وخرجت.

ما ان اصبح في الشارع حتى يتملكني الارتباك المعتاد المتعلق بسيارتي، اذ اني امتلك سيارة من النوع الغالي، والتي تستطيع السير بسرعة مائتي كيلو متراً في الساعة، ومن الواضح من تصميم هيكلها بأنها تكلف الملايين من الليرات، في المرة الماضية تركتها في شارع مجاور، ومع ذلك، كان شارعاً في منطقة من النادر ان يرى فيها هذا النوع من السيارات، بالطبع يمكنني أن اذهب بالباص أو تاكسي ولكن الأول يستغرق ساعة على الأقل، أما الثاني فكيف اجد واحداً لكي يرجعني؟ تملكتني فكرة: نظرت الى غرفة بواب البناية التي اعيش فيها. كان الحارس هنالك مرتدياً زيه الأحمر والرمادي وقبعته المزركشة على المنضدة، قلت له « لويجي، هل تستطيع اعارتي سيارتك هذا الصباح؟، ان سيارتي قد تعطلت لسوء الحظ »

وهكذا خرجت بسيارة البواب الرخيصة باتجاه الحي الذي تعيش فيه (ايدا)، واستمريت في السياقة مجنبة نفسي بصعوبة مركز المدينة، وعبرت من خلال بوابة في الجدران، ثم على امتداد شارع في الضواحي يبدو لا نهاية له. وتتابعت البيوت واحداً بعد آخر متشابهة جميعها، متعددة ومزدحمة بالشبابيك. لاحظت انها بالرغم من انها تبدو بنيت بنفس الفترة التي بني فيها بيت امي التي تبنتني، فانها لم تصبح قديمة بالرغم من انها تبدو قذرة ومهدمة. ان الأشياء ذات النوعية الممتازة فقط هي التي تعرف كيف تشيخ، أما الأشياء ذات النوعية الفقيرة المصنوعة من مواد رخيصة فانها لا تعرف الشيخوخة.

أوقفت السيارة أمام احدى هذه التكنات الكبيرة القبيحة من خلال المدخل الواسع، واصبحت في الساحة العريضة: الطوابق أ، ب، ج، د، ه، و، سرت خلال ممرات رثة مبنية من السمنت الى الطابق د، اصطنعت حركة آلية كما

لو اني اريد أن آخذ مصعداً لا وجود له، قفزت خطوتين في كل مرة من السلم الواسع القذر، ووصلت الى الطابق الثاني حيث باب ايدا، وقرعت الجرس بنفاذ صبر.

فتح الباب مع الاحتياطات الاعتيادية الملفتة للنظر، العين في الفتحة، الباب يفتح الى الحد الذي تسمح به السلسلة، الأسئلة بصوت واطيء، ومن ثم فتح الباب بشكل كامل، تغلفت بنفحة من الهواء المشبع برائحة الطعام، رميت نفسي بين ذراعي (ايدا)، عندما ضغطتها نحوي شعرت بثدييها الكبيرين الناعمين على صدري، وتنشقت رائحة شعر الحصان من خصل شعرها غير النظيفة، ووضعت شفاهي على وجنتيها الباردتين الذابلتين فكرت بمن يكون أول من تحدث عما يسمى « بنداء الدم »، نداء الدم!، قدمي!. انهينا عناقنا وقلت كيف حالك يا أمي؟ ــ ولكن بجهد وأنا انظر بشكل مباشر الى وجهها الشهواني الزائف الشره، وبآهة قالت «حسنا، ماذا تتوقعين؟» ولكن في نفس الوقت كانت تنظر بامعان الى يدي، وبسرعة وضعت في راحتها النقود التي كنت اضعها في قبضتي، فوضعتها في جيبها وهي تقول آه، لا يمكن للمرء أن ينكر بأنك ابنة صالحة. كان المفروض ان لا اتخلى عنك ابداً، كنت اجمل الكل، ولكن ما عساني أن أفعل؟ كان عندي اربعة اطفال وكلهم كبار، ولكنك كنت جميلة، جميلة حقاً عندما رحلت، بكيت عليك ليوم كامل.

ثم ذهبت باتجاه المطبخ، وهي تقول « سأصنع لك بعض القهوة، كوب جيد من القهوة الجيدة الحارة ».

ذهبت الى باب معروف عندي جيداً ودخلت دون أن اقرع الباب، فراش تذكاري، فراش مزدوج، يملأ الغرفة كاملها ويعيق الرؤية من الشباك، بين الشباك والسرير ظهر رأس (جيوفانا) وهي جالسة في كرسيها المدولب، (انها تعاني من شلل مزمن) وهي تنظر الى ما يجري في الساحة.

مشيت حول السرير، كان شعر (جيوفانا) قد قص مثل غلام، وجه طويل أبيض نحيل، عيون ثاقبة تحت حواجب كثة سوداء، كانت أشبه بولد بستوني شرير سحري، ولكنها حينما تبتسم، كانت ابتسامتها جميلة تظهر اسناناً جميلة

ذات بياض أشبه ببياض أسنان الذئاب. الى جانب كرسيها كانت هنالك منضدة صغيرة عليها هاتف، وكتاب على ركبتيها الملفوفتين ببطانية قديمة، هممت بالكلام، ولكنها أشارت الي بأن أبقى صامتة، نظرت من الشباك وفهمت في الجانب المقابل خلف فتحة شباك مفتوح، رأيت رجلاً وامرأة يتشاجران. كان بامكان المرء ان يسمع صوتيهما البعيدين، ويرى المرء ايماءاتهما العنيفة التي تبدو اقرب من اصواتهما ربما بسبب عنفها، ومن ثم أمسك الرجل المرأة من شعرها، دفعته المرأة وأغلقت الشباك. عندها فقط التفت (جيوفانا) نحوي وهي تقول: « في كل مرة، عند النقطة الحرجة، يغلقان الشباك »..

ــ « كيف حالك، سألتها »

ــ « كيف حالي؟ مثلما تركتني في المرة السابقة! »

ــ « حسناً، لقد مضى شهران منذ ان كنت هنا، لقد تخيلت... »

ــ « تخيلت انني الآن احسن، لا، لا، ان المرء لا يتحسن مع هذا المرض. على الأقل ليس في شهرين، اين كنت؟ »

ــ « في ميلان. مع الأجداد »

ــ « الأجداد الأغنياء، انها فكرة جيدة حقاً، اما اثنتان جدان وجدتان، ليس رديئاً على الاطلاق ».

كانت نبرتها الأعتيادية وكنت معتادة عليها. جلست الى جانبها. نظرت الي واستمرت:

ــ « ولكن هل لنا أن نعرف لماذا تأتين الينا وترينا؟ هل لكي تعرفي كيف توفرت لك فرصة هرب ممتازة ».

اجبتها بنفس النبرة المازحة « أنا لا أعرف، ربما نداء الدم ».

ــ « آه، نداء الدم! »

رن جرس الهاتف. رفعت (جيوفانا) السماعة وتكلمت. على السماعة تغير صوتها. كان صوت سكرتيرة عديم العاطفة جاف. حددت موعداً باليوم والوقت وكتبت كل شيء في المفكرة ثم وضعت السماعة. سألتها:

ــ « هل اتى العديد من الزبائن البارحة؟ »

ـــ « زوج! »
ـــ « اي نوع هما؟ »
ـــ « انواع من الجزء الخاص بك في المدينة، ذوي مال »
ـــ « وكيف كانت الفتيات؟ »
ـــ « الاولى كانت جميلة والثانية بين ـــ بين »
ـــ « وأنت دائماً التي تجيب؟ »
ـــ « نعم. أن ذلك يسليني ».
ـــ « ولكن اين يلتقون؟ »
ـــ « هنا في هذه الغرفة ».
ـــ « وأنتِ كيف تدبرين أمورك حينئذ؟ »
ـــ « عندما يصلون، اخرج مثل الذهب الى المطبخ على كرسي المدولب. وهناك انتظر حتى ينتهوا ».

جلست صامتة للحظة من الزمن، وعادت (جيوفانا) للحديث مرة أخرى:
ـــ « هل تريدين أن أقرأ لك قصيدتي الأخيرة »
ـــ « نعم »
ـــ « إنها طويلة، أني أحذرك ».

رن الهاتف مرة أخرى. رفعت (جيوفانا) السماعة مرة اخرى واعادتها الى موضعها دون أن تجيب وهي تبرز لسانها مثل صبي شرير. ومن ثم أخذت بعض الاوراق من الكتاب الذي على ركبتها وبدأت القراءة في صوت من نوع ثالث. عندما نتحدث معاً يكون حديثها من النوع التهكمي القاطع، على الهاتف فقد كانت مجردة آلية، والآن كانت نائحة مكسورة الفؤاد وهي تقرأ الشعر، ومع ذلك فليس هناك ما يثير في كلمات القصيدة. اد أنها في النهاية وصف تفصيلي للساحة المواجهة التي تجلس قبالتها طوال النهار.

أنا من النوع الرياضي ولا أفهم شيء في الشعر، وهكذا فبيما كانت (جيوفانا) تقرأ، بصوت مملوء بالدموع، قصيدتها، كان عقلي يتجول ويتداخل في خيالات عديدة. تخيلت نفسي امرأة عجوز لها خمسة اطفال، ثلاثة منهم

تركوا البيت، الرابعة مقعدة، والخامسة، الأكثر جمالاً اعطيت الى سيدة تبنتها. أنا عجوز وفقيرة وأحتال لكي ادير الأمور بترتيب مواعيد غرامية في بيتي. والبنت التي لم تعد ابنتي منذ زمن طويل تأتي لزيارتي. انها غنية وهي تعطيني الهدايا، والنقود. آه نعم. انها ابنة صالحة. ان ذلك أمر لا يمكن نكرانه. أنها إبنة صالحة حقاً.

محبوبة الجميع

عندما كنت فتاة صغيرة، كان الغنج ينمو داخلي مثل واحد من تلك النباتات التي تجذر في كسر في الافريز ومن ثم بعد عدة شهور، تتحول الى شجيرة واذا ذهبت لتسحبها تكتشف أن الجذر اطول من النبتة ذاتها. كنت لا أزال فتاة جادة صغيرة في تشرين الثاني، دعنا نقول، في بداية السنة الدراسية، ولكن خلال شهر تموز، اي عندما بدأت العطلة، اصبحت مغناجاً الى درجة اني كنت متفاجئة لميلي الى هذا الطريق. في تشرين الثاني كنت واحدة من أطفال المدارس الأذكياء الباردين الذين يبدون مثل أمرأة عجوز، اما في تموز، فلقد كنت أهزُّ مؤخرتي، وأظهر صدري الى الأمام، وارمي النظرات يمنة ويسرة، اضحك بدون سبب، وأضع يدي تعمداً على ركبتي لكي اظهرهما ولكن فوق ذلك كله كنت أفكر في الرجال، او بالأحرى، كنت أحس بأني افكر بالرجال، ان التفكير لم يكن موجوداً في ذهني كانعكاس أو كحساب او تقدير، ولكن الشعور كان هنالك، ان الشعور هذا يلازمني بغض النظر عما كنت أفعله.

قد تكون هذه اللحظة التي يتوجب عليَّ فيها أن اعطي وصفاً لنفسي، ربما جزئياً، اذ من خلال وصف نفسي كما كنت عندئذ، اكون قادرة على تفسير التغير الذي حدث لي لاحقاً. حسناً، كنت فتاة ذات جمال بهيج ومتألق، وهو في نفس الوقت من النوع الهادىء الناعم المستقر. كانت شخصيتي بكاملها تتفجر بحيوية كثيفة عطشى مثل فاكهة ناضجة منتفخة بعصيرها. كنت على وعي بتلك الحيوية في بريق وحركة شعري، في الاتساع البراق لعيني، في انعدام

المعنى المتألق لأبتسامتي، في الارتفاع المتكبر لصدري، في الثمل الذي يرتفع الى مخي عند كل خطوة اخطوها. أنا أعرف بالطبع انني جميلة، ولكني لم أكن على الأقل واعية بأني كنت أعرض جمالي باستمرار. لقد ظننت، على سبيل المثال، بكل صدق، بأني كنت اتبع الموضة فحسب إذ أنا في الحقيقة ارتدي اقصر التنورات وأوسع فتحات الصدر وأكثر الثياب التصاقاً بالجسم.

حسن، حسن، كنت افكر في الرجال واذا كانت الموضة قد وسمت ذلك، فاني لم اكن اتردد في الظهور عارية، ولكن في سن الثامنة عشرة، لم اعط قبلة حقيقية، من الغريب القول، بأني ولدت في عائلة تقليدية وتربيت وفق تصور الزواج ومع ذلك فأني لم أكن ارغب فيه كان طموحي — على الضد من ذلك، أو على الأقل كما بدا لي — هو أن اعمل. كنت اريد أن أعمل وهذه الرغبة في أن اجعل نفسي مفيدة اجتماعياً غطت على الرغبة في أن أكون جذابة للرجال والتي كانت ظاهرة في حركات جسمي.

ولقد تحولت الرغبة في العمل الى نوع من الهاجس، كما يقول الناس عندما يتحدثون عن الرغبة الجنسية. حصلت على ديبلوم ككاتبة طابعة اختزال ودرست الفرنسية والانكليزية، وذهبت الى دورة تؤهلني كمترجمة، وأخيراً نجحت في الحصول على مهنة كسكرتيرة في وكالة اعلان.

ولقد حققت نجاحاً هائلاً، كما يقولون وبشكل سريع. فلقد قال لي المخرج ذات يوم « سوزانا، أنت اعلان متحرك » وسألته ببراءة « لاي نوع من المنتجات؟ » فأجابني « لنفسك! ». ولم أكن افهم معنى ذلك. فلقد ظننت انه يشير الى دلالي، وكان ملحوظا في تلك الفترة فأحمررت خجلاً.

كان هذا المخرج وسيماً طويلاً قوياً، وليس به الا عيبان كان أصلعاً بالكامل وذا اكتاف مدورة بحيث يبدو وكأنه أحدب. وبالطبع وقع في حبي، ولكن بطريقة نبيلة محترمة تماشياً مع اخلاقه. ولقد رفضت كل محاولاته المتواصلة، وفي احد الأيام، بعد أن اصبحت لا أعرف ما أقوله له، توصلت الى التفسير التالي « اني أحبك يا أتور ولكن ليس اكثر من بقية الناس. فأذا كان علي أن أحبك، عندها لن يوجد عندي اي سبب في أن لا أحب اي شخص آخر ».

وبعد مدة قصيرة من ذلك، وعلى ظن أنه سوف يسرني، وضعني المخرج على ملصق يعلن عن نوع من ثياب الأستحمام. ولقد تم تصويري بالألوان وأنا اقف في وضع بسيط وذراعاي مفتوحتان ورجلاي منفرجتان قليلاً على خلفية بيضاء. كان صدري وبطني يبرزان الى الأمام، اما رأسي فكان راجعاً الى الخلف، وكانت النقطة الأساسية في الزي انه كان مثقباً فوق الصدر وضيق فوق المعدة وفي نفس الوقت بحيث أن ذلك الذي لا يمكن رؤيته بوضوح وضع في موضع عال لكي يظهر. ولكي اضع الأمر باختصار، أنه كان ملصقاً غير محتشم، وفي الحقيقة انه لاقى نجاحاً ساحقاً. اذ كان يرى في كل مكان، وعلى الخلفية البيضاء كتب الناس ملاحظات فاحشة وكلمات خشنة او رسموا رسومات لا يمكن ذكرها. هل انزعجت لعدم احتشام الملصق والكلمات السوقية التي كتبها الناس او رسمها عليه؟ نعم ولا في نفس الوقت. لكي أشرح الأمر ببساطة، أن الشيء الذي لم يحدث لي في الحياة قد حدث بدلاً من ذلك ومرة واحدة بفضل الملصق، فلقد وضعت نفسي، كما قلت، في السوق، ولقد قوبل هذا العرض باستجابة تلقائية.

إن الملاحظات الخشنة والرسومات كانت برهاناً على هذا الأتصال، وتدل على أنه كان اتصالاً موفقاً وأنه قد تحقق الى الحد الأقصى. والأكثر من ذلك معرفتي بأن الكلمات الفاحشة والسوقيات تمتلك توقاً كامناً. ففي الملاحظات والرسومات الموجودة على ملصقي كان هنالك هذا النوع من التوق.

ولكن الملصق، وبشكل عرضي، قتل دلالي. ولقد عكست باستمرار حقيقة ان الحادثين كانا متزامنين ـــ نجاح الملصق وموت غنجي ودلالي. ليس هنالك من شك ان هنالك علاقة بين الاثنين ولكن من الصعب تحديد طبيعة هذه العلاقة. كنت مجنونة، تواقة ومتلهفة لكي أكون جذابة للرجال، كل الرجال لم أفكر مطلقاً أن أكون جذابة للرجال القلة الذين قابلتهم في الشارع من بين الناس الذين أعرفهم، بل الى ملايين الذكور في البلد كلها. ولقد حدث هذا الآن. ويمكن القول بأن ذلك الملصق، كان قطعة من غنج عام، ولقد أثار كتلة من الرغبة الجماهيرية ايضاً ولكن على الضد مما يحدث في العلاقات الغرامية بين الأفراد فان هذه الرغبة الجماهيرية لم تتحقق في أي اتجاه، فلقد توقفت

بذلك الملصق. ولقد كان المخرج لا زال يحاول الحصول عليَّ، فوضعني على ملصقين آخرين كانا اقل حشمة من الأول، ولكن بدون اي نجاح يذكر. وفي ذات الوقت أصبحت على وعي بأن نوعية غنجي ودلالي بتحوله من شخصي الى الملصق فقد صفة الوعي مما جعله غير مثير ومخدر مثل لعبة دوارة. لقد اصبح تملقاً بسيطاً خشناً. وربما لذلك السبب توقفت أن أكون مغناجاً. واصبحت خجولة وهو شيء لم يحدث لي مطلقاً قبل قصة الملصق. أو ربما لسبب غامض، تحولت كل حيويتي من جسدي الحقيقي الى جسدي المصور، والآن، حتى اذا اردت ذلك، فأني لن استطيع ان اتغنج كما كنت افعل في الماضي.

وبسبب خوفي الغامض من التغيرات العديدة، فأني قررت أن اقبل محاولات المخرج، الذي شعرت تجاهه بالحنان المخلص على اي حال. وكانت ممارسة الحب الاولى معه ليست اخفاقاً تاماً بل اقرب الى ذلك، ولقد قرأت في وجهه خيبة الأمل في كوني باردة ومحرجة وبعيدة بهذا الشكل. مختلفة في الواقع عما ابدو عليه. ولكنه كان مغرماً بي وكنت كذلك. وهكذا فلقد تركت عائلتي وذهبت للعيش في شقته الصغيرة، المكونة من غرفتين في المنطقة المجاورة لوكالة الاعلان. كانت شقة خالية، ولكن للغرابة لم انجح في تأثيثها وكل الذي فعلته هو أني اشتريت سرير فخم وكرسي، وكانت هنالك بعض الخزانات المثبتة للملابس. وكان من الممكن أن افضل وضع منضدة وزوج من الكراسي في المطبخ ولكني لم أفعل ذلك. وعندما آكل، كنت افعل ذلك واقفة والماعون في يدي عند الشباك ونادراً ما أجلب الكرسي الذي أحتفظ به في غرفة النوم ومن ثم عندما انتهي من الأكل اعيده الى مكانه.

عملت بجهد ونجحت الوكالة وتضاعفت ملصقات الفتيات الجميلات، وكان المخرج بالرغم من برودي المطلق، يحبني أكثر من اي وقت مضى، وما عدا ترك زوجته فلقد كان مستعداً لعمل اي شيء آخر من أجلي. ومن جانبي، وكما قلت سابقاً، كنت أشعر بالحنان تجاهه وكذلك الحماسة الطبيعية ايضاً، ولكني كت أشعر بأن علاقتنا بدأت تتحول يوماً بعد آخر الى الضروري فقط. ففي الدائرة لا اتحدث معه ما عدا كلمات ذات مقطع واحد، وفي البيت،

عندما يأتي لرؤيتي، لا اتكلم معه مطلقاً، ولكني اصغي اليه وكنت في الحقيقة ابتسم له.وحتى أحياناً تأتي لحظة اخذ فيها معطفه واساعده في ارتدائه بحنان ورقة وبطريقتي الخاصة اوصله الى الباب. ولقد جاءت تلك اللحظة اسرع فأسرع. وفي النهاية اصبحت زيارات المخرج لا تستغرق الاّ بضعة دقائق ومن ثم وباتفاقنا المشترك توقفت جميعها.

في ذلك كانت تسيطر علي قوة لا تقاوم لقطع كل العلاقات التي تربطني بالوجود. فبعد تقليل ومن ثم الغاء حياتي الجنسية، قللت تدريجياً تناولي للطعام. كنت اقف في الشباك، انظر بعيون حالمة من خلال الشباك الى البيت المقابل. اتناول شوكتين من المعكرونة او قليلاً من الرز المسلوق ونادراً ما آكل قطعة صغيرة من اللحم. ولكني نادراً ما انهي وجبتي، وعندما انهي نصف ماعوني، احس بمعدتي تتقلص وارمي ما تبقى من الطعام في برميل الأزبال. ولم أكن أخرج مطلقاً ما عدا الذهاب الى الوكالة، وفي المساء كنت ارفض اي نوع من الدعوات للعشاء او المسرح وكنت ابقى في البيت وحيدة، اراقب التلفزيون.

لقد تغيرت حياتي من زاوية انها اختصرت تدريجياً وكذا الحال بالنسبة الى جسمي. فلقد كان لي ما يوصف بأنه شكل ممتلىء، اما الآن فأني نحيفة مسطحة ضامرة. واصبح وجهي مثلثاً، مشدوداً وعيوني كبيرة وواسعة ولكن بدون بريق، وكان فمي واسعاً وشهوانياً ولكنه بدون احساس. لقد كنت لا أزال جميلة، ربما وفقاً للذوق الحديث، أجمل من قبل، ولكني كنت أحس بأني ميتة. ولقد اتخذ المخرج له عشيقة أخرى، فتاة تعمل في الوكالة في نفس الغرفة التي أجلس فيها. ولقد قبلت بهذا وسألته فيما اذا كان يريدني أن ابحث عن وظيفة أخرى، ولأنه طيب الخلق ولا يزال يحبني، فقد رمى نفسه وهو يبكي على اقدامي وأخبرني بأنه أحبني وأنه سوف يعمل أي شيء على شرط أن استعيد حبي للحياة، لذلك قررت البقاء.

وفي يوم من الأيام ذهبت في سيارتي الصغيرة الى الشاطىء. وعند تقاطع الطرق رأيت الملصق الشهير لأزياء البحر. لذلك اوقفت السيارة ونظرت الى نفسي. وأحسست وأنا انظر الى الملصق بنفس النوع من الحنين الى الماضي

والأسف الذي تشعر به المرأة العجوز عندما تنظر الى صورها عندما كانت شابة. ولكني لم أكن عجوزاً كنت قد دخلت تواً في السادسة والعشرين. ولقد بهت لون الملصق وتخدش وتمزق. وفي أحدى الزوايا كتبت احدى الكلمات الخشنة، والتي كما قلت سابقاً، كان يمكن أن تقال بتردد، وأكتشفت نفسي وأنا ادمدم، « اتمنى ان يكون ذلك حقيقياً! » ومن ثم ذهبت الى البحر، الى مكان لا يذهب اليه الناس عادة. كان يوماً جميلاً ذو سماء عديمة الغيوم براقة زرقاء. ولكن تحت تلك السماء وبفضل الدخان المتصاعد من بعض المعامل، كان البحر اصفر اسود مع بقع سوداء فيه. ولقد انزعجت من كوني صادقة إذ اني جئت الى الساحل لكي أموت. كان يجب ان اذهب الى الأمام في الماء حتى اصل الى النقطة التي لا أستطيع فيها مس الأرض وأترك نفسي تغرق. أن هذا لن يكون انتحاراً انه سوف يكون عودة الى الحياة التي اصبحت منفصلة عنها بحال او بآخر. ولكن في بحر مثل هذا فإن عودة الى الحياة في شكل الموت غرقاً كان أمراً غير ممكن. بقيت لفترة طويلة انظر الى البحر الأصفر والأسود ومن ثم رجعت الى المدينة.

اغتصاب

حالما استيقظت، شعرت في الحال بأن الظلام الذي يحيطني كان غريباً علي وغير معروف بالنسبة لي. ظلام مختلف عن الظلام الاعتيادي ليقظتي بفرق أنه لا يمكن تعريفه ولكنه كان معاد بالتأكيد. وسيطر على قلبي اسى عميق. لماذا أنا هنا، كيف أتيت الى هنا؟ كما لو أني اريد ان اجد جواباً على هذه الأسئلة، مددت يدي باتجاه وسط الفراش ومن ثم سحبتها في الحال وأنا مرتعبة، لقد صادفت اصابعي ظهراً منحنياً، لقد اصبحت اصابعي على وعي، من خلال المادة المتجعدة لبجاما لاحدى الفقريات، لعضلات، لم يكن هنالك شك، بأن هنالك رجلاً ينام الى جانبي، وأنا لا أعرف من هو.

وفي النهاية بدأت بفهم ذلك، فلسبب لا زال مجهولاً، جلبت الى هنا ضد ارادتي بالقوة، وقد اغتصبت في الحقيقة. ان فكرة كوني نائمة في نراش الى جانب رجل، والذي استناداً الى كل الاحتمالات، قد قضيت الليل معه، بررت اسوء الاحتمالات. نعم شخصان أو أكثر قد امسكا بي بينما كنت اسير في شارع مقفر وادخلاني الى السيارة ربطاني وكمماني ونقلاني اثناء الليل الى هذا البيت، ثم خدراني بالمخدر او اي شيء اخر نزعا ملابسي وضعاني على السرير ثم اغتصباني ان اعادة تصور ما حدث لي قد ادهشني ببداهته انه في الحقيقة لأمر طبيعي بالنسبة لفتاة جميلة شابة ان تتعرض الى هذا النوع من العنف حتى لقد بدا وكأنه لامر غريب ان لا يكون الامر كذلك.

ان هذه مع ذلك ليست لحظة التنظيرات الفلسفية بل يتوجب علي بطريقة

او بأخرى ان اخرج من هذه الشقة ومن ثم اخذ عنوانها واذهب رأسا الى الشرطة واخبر عن اختطافي لقد نقلت بالقوة من حياتي الاعتيادية من احبائي من اعمالي المفضلة، من محيطي ان الرجال المخطئون يجب ان يدفعوا ثمن ذلك بشدة بشدة جداً شكراً للسماء فهناك القوانين والقضاة والشرطة اذ ليس من المسموح به ان يتعرض شخص الى اذى جائر دون اتباع هذا التصرف متبوعاً بالعقوبة التأديبية اللازمة.

كلما مرت هذه الظنون في رأسي كنت تدريجياً احرر في الوقت ذاته رجلي اليمنى من تشابك الشراشف وكنت اعمل ذلك بهدوء وبدون أن امس الرجل الذي ينام بجانبي ثم ارتطمت قدمي بدون حذر بسجادة الى جانب الفراش لا تقل غرابة بالنسبة لي عن الظلام الذي منعني من رؤيتها.

وضعت قدمي اليسرى على الأرض ايضاً ومن ثم وبدفعة واحدة نهضت على اقدامي شعرت بأني ارتدي ثوب نوم ولكن هذا لم يعطِ أي دليل اذ انه لم يكن ثوب منامي ولاحظت ايضاً ان قطعة الملابس هذه غريبة وغير معروفة بالنسبة لي انتزعتها وسحبتها من فوق رأسي بعنف مفاجىء وفي حالة عري كامل تحسست طريقي نحو الباب فتحته وتركت الغرفة.

وجدت نفسي في ممر اعتيادي جداً وغير مثير للانتباه ذي اربعة ابواب وفي نهايته البعيدة كان هنالك الباب الأمامي للشقة لوحات صغيرة قليلة من النوع المتوقع على الجدران، حامل مظلات قصير مصنوع من النحاس الأصفر اربعة مصابيح جدارية متواضعة كئيبة مع الاحساس بالحال المستحسن وفي الحقيقة كيف يمكن ان يكون الامر غير ذلك؟ مجرمون يؤجرون شقة لمشاريعهم الاجرامية فهم بالتأكيد لا يجهدون انفسهم في تأثيثها بالطريقة الشخصية الأصلية ان هدفهم ليس العيش فيها اي خلق وسط اليف مليء بالحنان والاثارة بل لاستخدامها لارتكاب جرائمهم بأمان نسبي ولهذا فان نوعاً ما من الأثاث يكون مناسباً كغيره لهذا الغرض ان كل ما عليهم ان يفعلوه هو الحصول على بعض قطع الأثاث من اول محل. مناسب ان العنف كان دائماً عار وغير متحضر من كهوف ما قبل التاريخ حتى الشقق المجهولة العرضية مثل هذه الشقة كان الوقت

مبكراً جداً والفجر على وشك البزوغ ضوء رمادي يتنافس بعنف مع ظلام رمادي في غرفة معيشة صغيرة كنت انظر اليها الان وانا اتقدم على رؤوس اصابعي توقفت في الباب وحملقت في الغرفة رأيت اريكة، كرسيين بمساند، منضدة اربعة كراسي اعتيادية ومائدة طعام جانبية كان كل شيء غريباً وأليفاً بشكل مرعب بالنسبة الي في ذات الوقت أيضاً ومرة أخرى كان هنالك الاحساس بالخال الحسن بل الأمر الواقع لانه وبدون شك. في هذه الغرفة الصغيرة حدثت المرحلة الاكثر اجراماً والتي يقال عنها اقل ما يمكن. والشهود على ذلك اذا لم يكن شيئاً آخر هي بعض الأقداح وقنينة الشراب وبعض اقداح القهوة ومنفضة السكائر المليئة بالأعقاب وعلى الأرض كانت علب السكائر فارغة. ميزت كل شيء اكواب اقداح قنينة منفضة سكائر العلبة وفي ذات الوقت رفضت كل شيء.

ذهبت الى الشباك وضغطت صدري ومعدتي على الزجاج ونظرت الى الخارج اني يمكن أن اقسم على ذلك كانت الشقة في شارع يشبهها بمعنى انه مثل الشقة نفسها مثل مئات بل الاف الشوارع كانت هنالك السيارات الواقفة. بشكل يشبه عظام ظهر سمكة الركنة. قريبة الى بعضها تحت عيوني مباشرة ومن ثم على الجانب البعيد من الشارع وعلى امتداد الرصيف المقابل. كانت هنالك المحلات التي لا زالت مغلقة بواجهاتها المضاءة. في الطابق الارضي من البناية المقابلة لي: دكان القصاب. الصيدلي. محل الازياء. وكانت هنالك الشرفات على واجهة البناية ولكني لم استطع رؤية السماء لاني كما يبدو كنت في الطابق الأول كانت اضوية الشوارع الغامض في الشارع الغامض بعيداً عن كل شيء يشكل محيطي الاعتيادي. فانهم جعلوني بطريقة ما أفقد احساسي بهويتي، من أنا؟ لم اعد اعرف فاذا كنت لا أزال نفسي حتى الآن فمن الواضح اني يجب ان اتمرد ولكن من جهة أخرى كما يبدو قد بدأت افهم الان، اني اصبحت شخصاً اخر من يستطيع القول بأن الموقف الذي وجدت نفسي فيه ليس الموقف الذي هو الموقف الاعتيادي بالنسبة لي وبالتالي فليس لي الحق في التمرد عليه؟ من يستطيع القول بان خاطفي قد نجحوا مسبقاً في تزويدي بشخصية جديدة تكون مناسبة لأهدافهم ولكن على اي حال ما هي اهدافهم؟

تلملمت اكثر فأكثر في الاريكة الصغيرة وانا احملق بعين واسعة الى المائدة المغطاة بالاقداح ومنافض السكائر واكواب القهوة وفجأة مر عبر ذهني أن يجب ان أنهض من الاريكة بأسرع ما يمكن، وارتدي روبي. واذهب الى المطبخ واجلب صينية اجمع فيها الاقداح والمنافض واكواب القهوة واغسلها جميعاً ومن ثم افتح الثلاجة واصب بعض الحليب في القدر، واضعه على الطباخ املأ اناء القهوة انتظر حتى يغلي... الخ والان كيف أوفق بين هذه الأعمال المنزلية والعنف الاجرامي الذي تعرضت له في الامسية الماضية؟ كان الامر واضحاً ان غرض خاطفي هو ان يجعل مني اداة يستغلها بكل طريقة ممكنة ليس بما يمكن تسميته بالطريقة الوظيفية فقط في بيتي في محيطي كنت بالتأكيد شخصاً ذو أسم ومكانة اجتماعية ومهنة اما هنا فاني بدون اي شيء على الاطلاق او أني كما انا ولكن من اكون انا؟ هذه هي النقطة ولكي اتوصل الى ذلك يجب ان اعرف ماذا يظن مختطفي. ولكي اعرف ذلك فاني يجب ان اعمل وفق ما يرغبون وتدريجياً ومن خلال عمل ما يريدون فاني سوف اعرف من انا وفجأة استدعاني صوت ذكوري حاد وغاضب باسم امرأة من الغرفة الاخرى كان الأسم (لويزا) والان واستناداً الى كل المظاهر ليس هنالك غيرنا انا والرجل الذي نام بجانبي فاني استنتجت بأن صوت الرجل كان يستدعيني واني أنا (لويزا) وهكذا فلقد تأكدت النقطة الاولى وهي أن اسمي (لويزا) عند مختطفي ان لويزا هذه. من الواضح ان الوقت والموقف يتطلب منها العودة الى غرفة النوم لفتح الستائر وتعلن انه يوم جميل (أو، رديء) ثم تذهب الى المطبخ وتشغل نفسها بتحضير الفطور بالضبط مثلما توقعت، كما يبدو ان الامر مقدراً. وهكذا تدريجياً بدأت هويتي الجديدة بالتكشف. اما القديمة فلقد اضعتها ولن اجدها مرة أخرى.

توأم في النيبال

كنت في غرفة نومي قبل يومين من زفافي وكانت الخياطة تقيس علي ثوب زفافي. كان البيت مقلوباً، في احدى الغرف اقيم معرض لهدايا الزواج. طقم الخزف الصيني لاثني عشر شخصا. الملاعق والشوكات الفضية. الراديوان والتلفزيونات والحلي. وفي غرفة أخرى تم فرش جهاز عرسي الذي تم صنعه من قبل احسن الخياطين، واخيراً وفي غرفة الجلوس كانت أمي مرة اخرى تحدث الاقرباء والاصدقاء عن المفارقات الغريبة التي يرجع اليها الفضل في أن ابنة مالك سلسلة محلات القماش وقعت في غرام (اوتليو) ابن مالك سلسلة محلات الحلوايات ان الظروف كانت غريبة حقاً ولكنني كنت راضية بل سعيدة في الواقع فمنذ طفولتي تعلمت في البيت والكلية بأن الزواج يعني السعادة وفي اللحظة هذه على اي حال لا ادري سبباً يدعوني الى عدم تصديق ذلك. وفجأة وبينما كنت امد ذراعي نصف عارية لكي ارتدي ملابسي التحتية الحريرية البيضاء، دخل في تلك اللحظة اخي فرانسيسكو يجب ان تعرف بأني وهو توأمين وعلى الاقل في حالتنا فان ما يقولون عن التوائم صحيح من ان ما يفعله احدهم يفعله الثاني ايضاً حتى الى نقطة المرض وحتى الموت. ولقد ذهب اخي الى هولندا أنيقاً مثل رجل شاب من عائلة طيبة وبشعر قصير، ولما عاد كان مرتدياً اسمالاً وشعره طويل ومن يومها لم يعش مع العائلة بل مع مجموعة من الفتيات والشباب الذين يشبهونه في منطقة مستوية في جوار مخيم دي فيوري ولقد سبب لي ذلك اسى عميقاً لأني وكما قلت يعاني التوأم كثيراً عندما لا يعيشون معاً بالاضافة الى ذلك فاني اشعر باعجاب عميق لفرانسيسكو وكنت

انظر الى الأشياء من خلال عينية وكان يمثل بالنسبة لي الهاً على الارض.

وهكذا فقد دخل غرفتي بينما أنا كنت ارتدي ثيابي التحتية وفي الحال صب علي سيلاً من الكلمات المزعجة « انت طفلة برجوازية تافهة، أنت أوزة سمينة. أنت عبدة » وكذلك قال « أنت تتحولين من سلسلة الى اخرى » مشيراً بذلك الى سلسلة المحلات العائدة الى والدي وتلك التي تعود الى اوتليو ولكي اقول الحقيقة ولكوني اخذت في غفلة وفي لحظة كهذه. فلقد رددته واجبته جواباً خشناً وبعدها صفعني وصفعته انا ايضاً فأمسكني من شعري ففعلت به نفس الشيء ولقد تدحرجنا على الارض واحدنا يضرب ويخدش الثاني تحت بصر الخياطة المرتعبة. وفي النهاية هرب خارجاً وهو يصفق الباب خلفه. اما انا فلقد تكومت على رأسي في نوبة يائسة من الدموع.

كم يعني أن يكون للمرء اخاً يحبه وهو في ذات الوقت توأمه! وطوال ذلك النهار كنت تحت نوبة من الندم لكوني اجبته بخشونة وفي ذات الوقت شعرت بأن سعادة الزواج تشبه الهدايا التي تعطى من قبل الاقرباء الوضيعين الذين يضعون بين ذراعيك دمية قبيحة وهم يقولون « جميلة أليس كذلك؟ » وللحظة تقنع نفسك بأن الدمية جميلة حقاً ومن ثم عندما تصبح وحيداً تميز انها دمية قبيحة فترميها بعيداً وفي تلك الليلة استيقظت وانا مرتعبة وبدون ان افكر كثيراً بالأمر ارتديت سروالاً وكنزة وتسللت خلسة خارج البيت وذهبت مباشرة الى مخيم دي فيوري صعدت الى الطابق الثاني في بيت قديم حيث كان الباب نصف مفتوح ذهبت في الظلام الى سلسلة من الغرف الصغيرة التي بدت لي مملوءة بالأسرة مثل مهجع حقيقي وعند جانب احد الأسرة الذي بدا فارغاً خلعت ملابسي ودخلت تحت اغطية لكن الفراش لم يكن خالياً واحتضنني احدهم في الحال وفكرت ماذا سوف يقول فرانسيسكو اذا قاومت فقلت لنفسي بأنه سوف لن يرضى لذلك فلم ارفض بل مارست الجنس مع رفيقي في الفراش، عندها وكنا لا نزال في الظلام همس قائلاً « اسمي فابيو. ما أسمك؟ » كنت بالطبع استطيع ان اقول ان اسمي سيسليا ولكن بدلاً من ذلك ودون ان اعرف لماذا قلت « انا اخت فرانسيسكو » وهكذا بدأت حياتي مع جماعة مخيم دي فيوري.

أنا لا اعرف لماذا هجرت عائلتي وحفلة زواجي انا لا اعرف لماذا اعيش مع هذه المجموعة ولكني هادئة ومسترخية ومستقرة بعمق كنت اعرف بشكل مؤكد بأن شقيقي يعرف بالنيابة عني، وكان ذلك كافيا بالنسبة لي. لذلك لم اجد سبباً للاعتراض عندما اعلن فرانسيسكو بأننا سوف نذهب الى بلد اسمه النيبال سألته فقط فيما اذا سوف يخبر أهلي فأجاب بجفاف بأن أهلنا لم يعودوا موجودين كنت راضية بهذه الاجابة ولم انطق بكلمة واحدة.

حسناً اذن كان الوقت تشرين الثاني عندما غادرنا وكان تموز عندما وصلنا الى النيبال لا تسأل عن البلدان التي مررنا خلالها لكي نصل الى هناك لانني لم أسال أخي لذلك فأنا لا زلت لا اعرف ما هي حتى اليوم كل الذي امتلكه ذاكرة مشوشة من اننا ركبنا العديد من القطارات وسيارات البريد والباصات وحتى العربات كنا أربعة اشخاص فرانسيسكو، فابيو، وواحدة تدعى جيوفانا وانا وكنا انا وفابيو نحب بعضنا اما جيوفانا وفرانسيسكو فلم يكونا كذلك.

في النيبال ذهبنا الى كاثاماندوا العاصمة وهي تقع في منطقة مزدهرة جداً تذكر المرء بايطاليا كما أن النيبال تشبه ايطاليا في العدد الكبير من الاضرحه والمصليات والكنائس والاديرة والاماكن الاخرى المخصصة الى مسيحهم الذي يسمى بوذا وفي السماء الشاحبة كانت هنالك لمحات من الحدود الزرقاء للجبال العملاقة المغطاة بالثلج كانت المدينة صغيرة ذات شوارع ضيقة معبدة بالحصى في وسطها مجارٍ تفصل بين البيوت المصنوعة من الخشب البني العتيق كما هو الحال في منطقة الألب. ولأنه لم يتبق عندنا أية نقود وذلك لأننا صرفناها اثناء الرحلة. لذلك فاننا لم نذهب الى فندق، بل اجرنا غرفة في بيت امرأة نبالية في واحد من تلك الصفوف الحجرية. ان زوج هذه المرأة يعمل حمالاً وهو يتجول معظم الاوقات حاملاً أثقالاً مرتدياً سترة ولا شيء اخر سوى خبل يمر بين اليتيه العاريتين وتحاول المسكينة ان تدبر امورها بالقيام ببعض المهن الصغيرة وغرفتين تأجرهما. غرف! دعني اقول اسطبلات، فذلك افضل ان البيت يشبه كوخ في الألب ولكن ذو اعمدة كبيرة مظلمة متداخلة وكان لغرفتنا ارضية ترابية ولم يكن هنالك اي اثاث بل ينام المرء على القش عادة.

بدأنا نعيش حياة حجاج. نتجول حاملين وعاء نطلب الصدقات ونأكل ما هو متوفر ونجلس القرفصاء على الارض. في الشمس متكأين على جدران احد المعابد ولكن هناك قله من الناس الذين يتصدقون علينا وذلك لأن النيبال كانت مملوءة بالعديد من أمثالنا مما يؤدي الى نشوء المنافسة، لذلك كان يتوجب علينا أن نبذل جهدنا في بيع القلائد والاساور او القيام ببعض الخدمات للسياح الاخرين وفي اثناء ذلك. وجزئيا ربما لأني كنت آكل وأحس قليلاً فلقد بديت كما لو اني قد صعقت بالضعف ومن جهة اخرى دربت نفسي اثناء الرحلة ان اخضع الى رغبة اخي لذلك اصبحت لا مبالية اكثر فاكثر بما يحدث لي ولما يمكن ان تؤول اليه الأمور. ما الذي آلت اليه؟ في بعض الأحيان وبجهد شديد كنت احاول أن أفهم الأشياء ومن ثم ارى نفسي على حقيقتها رأيت شعري متشابكاً مع الأوساخ ووجهي ملطخاً بالقاذورات، واصابع يدي ذات اظافر سوداء وقدمي مغطين بالوحل كنت نتنة نتنة وثيابي تحولت الى اسمال وان جسمي لم اغسله مطلقاً.

وفي احد الايام انحنيت فوق حوض رخامي كان فيه تمثال لبوذا مضطجع على مؤخرته بين اوراق اللوتس والأزهار رأيت نفسي في المياه وأقول الحقيقة اني لم اميز نفسي الا بصعوبة كنت شخصاً اخر او ربما وهو الاكثر احتمالاً اني لم اعد اي شخص وفي مناسبة احرى كنت أتكأ على مدخل معبد وفي يدي وعاء فسمعت ما كانت تقوله مجموعة من السياح الايطاليين الانيقين حولي يا للمخلوقة البائسة انها ليست قبيحة ولكن اية قذارة وهل لاحظت كيف انها نتنة؟ عندها اطلقت للساني العنان ففروا.

انتهت نقودنا وفي احد الايام قال فرانسيسكو. كما لو أن الأمر شيء طبيعي ان المصدر الوحيد المتبقي لنا هو نحن المرأتان الاثنتان. جيوفانا وأنا. ولذلك فيجب أن نستعل ذلك وان نبحث عن الرجال الذين يدفعون لنا والا فأننا سوف نموت جوعاً، ارتعبنا! ناقشنا الأمر. انا بالطبع ايدت وجهة نظر فرنسيسكو ولكن فابيو وجيوفانا لم يوافقا وطرحا مسألة الأخلاق كما لو اننا لا زلنا في ايطاليا وان ما حدث لم يحدث لنا ابداً وفي النهاية قال فابيو وجيوفانا بأنهما سوف

يتركاننا ويرحلان وهكذا فلقد ذهبا بينما بقينا نحن؟ وفي اليوم التالي فعلت ما اراد مني فرانسيسكو ان افعل. أن بعض الناس قد يقولون ان ذلك ليس الشيء الصحيح الذي ينبغي فعله، وهو ان يذهب للبحث عن رجال لي كي انام معهم ولكن يجب ان تجد نفسك في ظروف مثل تلك قبل أن تصدر حكماً حول الموضوع. وانا لا اعني الفقر والجوع فحسب بل اعني فوق ذلك. الحالة الفكرية التي استسلمت لها. التسليم الكامل لرغبة اخي لذلك لم اعترض عندما طلب مني مثل هذا الطلب الغريب لأن كل امرء مخول أن يطلب الاشياء الاعتيادية ولقد ميزت بأن فرانسيسكو قد طلب مني شيئا لا يمكن لاي شخص اخر في موقعه أن يطلبه مني.

استمرينا في طريقتنا الجديدة لحوالي شهرين وفي احدى الأمسيات جاءني فرانسيسكو متأخراً عندما كنت نائمة وقال لي بعجل انهضي اننا مغادرون.

تكلم بهدوء ولذلك لم اشك أنا « الى اين نحن ذاهبون » سألته.

ــ « بعيداً؟ »

ــ « يجب ان نبتعد عن المدينة قبل انبلاج النهار »

ــ « ولكن لماذا؟ »

ــ « لاننا اذا بقينا سوف يأتوا ويمسكوا بنا »

ــ « من؟ »

ــ « هل انت جاهزة اذن؟ »

رفع جسمه على قدميه وكان لا زال واقفاً قرب الباب ورفعت جسمي انا ايضاً مستسلمة مسبقا وسهلة الانقياد ومن ثم فعل شيئاً عريباً فتح الباب ومن ثم مرة أخرى ذهب فاستلقى على فراش القش في نهاية الغرفة البعيدة وما ان استقر حتى قال « حسن. لقد مشينا لمسافة طويلة بأمكاننا الان ان نستريح لاننا الان بعيدون عن المدينة ».

لاحظت انه تخيل بأنه خرج معي واننا مشينا خلال الليل ووجد ضيافة من بيت نيبالي اخر يشبه كثيراً ذلك الذي كنا نعيش فيه؛ كل ذلك في فاصل زمني مقداره بضع ثوان كان يقف خلالها عند الباب كان باختصار يهذي ولقد

تكومت الى جانبه واخذت يده وراقبته استمر بالحديث في نوبة هذيانه، كان يظن بانه يهرب معي وان بعضهم يتعقبنا وان المسافة بيننا وبين متعقبينا تأخذ بالقصر وفي النهاية قال « انا يجب ان نفترق » ولكنني لم افهم فيما اذا كان يشير الى الهرب في هذيانه او انه كان في لحظات صحو ويعرف بأنه سوف يموت. من الغريب أن يربط المرء الأشياء بعضها مع بعض واثناء الليل وفي الصباح التالي لم افكر في الاعتناء به او جلب طبيب له كنت مستسلمة ولكن ليس الاستسلام الذي يشعر به المرء في اوربا في مواجهة ظروف لا يمكن ردها بل كان استسلاما من النوع الموجود في ذلك الجزء من العالم الذي كان نوعاً من الاختيار فكرت في الحقيقة ان فرانسيسكو اذا مات. فان ذلك يعني بأنه اراد ان يموت وانه يعرف لماذا تمناه وبينما كانت هده الافكار تملأ رأسي استغرقت في النوم. وهكذا فمن الناحية العملية مات فرانسيسكو لوحده بينما كنت نائمة ولم اكن اشعر بذلك بعد ذلك البقية لا تهم وكما كان الأمر اثناء هذيان فرانسيسكو مر الوقت بسرعة وبدا لي وكأنه لم تمر سنتان.

بل بضع دقائق من اللحظة التي ذهبت فيها للعيش مع المجموعة وهكذا وجدت نفسي مرة اخرى كما هو الامر من قبل في بيتي مع عائلتي في روما ولكي اجعل الوقت الذي قضيته في أسيا مثل نوبة هذيان فان خطيبي اوتيلو ظهر مرة اخرى على اي حال لقد هربت مع اخي وليس مع عشيقي وبدأ اهلي يتحدثون مرة أخرى حول الزواج ولم اكن اعرف ماذا افعل عندها وفي احدى الليالي جاءني فرانسيسكو في حلم واخبرني انني يجب ان اتزوج لان اوتيلو لم يعد موجوداً على اي حال. كنت متأكدة من فرانسيسكو فقط يمكن ان يقول شيئاً مثل ذلك لي. استيقظت وفهمت بأن فرانسيسكو لم يتخل عني وشعرت براحة كاملة.

حياة أخرى

كان الوقت نهار الأحد وزوجي في روما، والخادمة تتمتع باجازتها الأسبوعية وكنت وحيدة في البيت. وعلى كل حال، لم أكن آسفة على ذلك. فاذا لم يكن هنالك سبب اخر استطيع أن اقدمه لنفسي، فانه وبدون تحفظ او خجل، ذلك الرضى الذي لا ينتهي الذي نشأ في داخلي بسبب شقتي الكبيرة والممتازة جداً والتي نعيش فيها منذ ستة شهور فقط.

أنا لا زلت والحق أقول اجد صعوبة في تصديق وجود هذه الشقة، علامة صعودي في عالم النجاح، وهكذا فلقد تجولت فيها من غرفة الى أخرى، اقف عند الأبواب بتأمل مندهش وساحر وحتى كنت أتلمس الأبواب والأثاث والجدران بيدي، كما لو أني احاول اقناع نفسي بأن هذه الأشياء هي حقيقة وأنها ملكي الخاص. نعم حقاً لقد قطعت مسافة طويلة خلال العشر سنين الماضية من شقة أهلي الصغيرة ذات الثلاثة غرف والمطبخ في بيت شعبي، الطابق د، الشقة ١٦ الى هذه الشقة الفاخرة، ولكن اذا اردت القول كيف فعلتها، فاني سوف أكون محرجة.

من الغريب أن تكون هنالك علاقة رابطة، ومع ذلك لدي الانطباع بانه لا يوجد أي شيء بين شقة أهلي الصغيرة وهذه الشقة الفاخرة، كان كلي هنا، في سن الثلاثين، لا زلت شابة وجميلة، وأنا مستمرة في عملية التجول في غرف شقتي في يوم الأحد. كان كلي في الحاضر، دون أي خلفيه، دون أي ذكريات، هنا واليوم فقط، أنا لم أصل الى سن الثلاثين دون أن أكون سابقاً في سن الخامسة

عشرة والعشرين والخامسة والعشرين، وبالطبع لقد عشت في الكثير من الأماكن المتواضعة قبل أن آتي الى هذه الشقة الرائعة. إن ما حدث لي هو أشبه بتلك القصة المذكورة في الأنجيل والتي اخبرت فيها المرأة أن لا تنظر الى الوراء مطلقاً وإلا فانها سوف تتحول الى عمود ملح. ان أحدهم لا بد وان اخبرني بأني يجب أن لا التفت الى الوراء. ولقد أطعت ذلك. في تلك اللحظة بدأ كلبي (البوكسر) يهر وينبح في غرفة المعيشة، ذهبت قرب الباب وبدون أن أفتحه سألت: من الطارق؟

اجابني صوت نسائي « أصدقاء ».

— « أصدقاء — من؟ »

— « أنا تيلدي ».

— « أناُ لا أعرف شخصاً بأسم تيلدي »

— « لست أنت غرازيلا اذن؟ انا صديقتك منذ عشر سنوات. افتحي الباب وأنظري الي سوف ترين وسوف تعرفيني! ».

رفعت السلسلة، فتحت الباب قليلاً وأختلست نظرة الى وجه لا أعرفه. كنت على وشك أن اغلق الباب مرة أخرى ولكن عندها استمرت المرأة قائلة « افتحي الباب يا قردة »

يجب أن تعرف بأني طويلة قوية جيدة البناء ذات شكل ممتلىء! ولكن رأسي صغير يشبه رأس قرد صغير وفم كبير بارز، ولذلك فان كلمة (قرد) هي اللقب الذي يناديني به اصدقائي الحميمون فقط، ومن قبلهم زوجي ووالدي.. انا بالتأكيد لا أعرف تيلدي هذه، ولكن يبدو أنها تعرفني، رفعت السلسلة وفتحت الباب. دخلت بسرعة وهي تتلفت « يا لها من شقة جميلة ». قالت: « لقد احسنت صنعاً لنفسك. مبروك عليك اين غرفة المعيشة؟ »

— « من هنا ».

ذهبنا الى غرفة المعيشة وجلسنا على الأريكة متباعدين، انا في نهاية وهي في النهاية الأخرى. كنت فضولية مرتبكة ومندهشة وكلما نظرت اكثر الى تيلدي هذه كلما ازدادت عدم معرفتي بها. انها لا بد أن تكون بنفس عمري. ولكن

بينما تحولت انا من الفتاة الوسيمة المليئة بالحيوية التي كنتها الى السيدة المتزوجة البرجوازية المترفة، فأنها، وكما يمكن أن يحزر المرء، لم تتغير الى شخص آخر، انها تقدمت في السن فقط، تدهورت كانت لها اكياس سوداء تحت عيونها الزرق، ووجهها بيضوي الشكل يبدو أنه اصبح منتفخا حول الفم الذابل الساخر الذي يتبه برعماً لم يفتح ابداً ولكنه مع ذلك اصبح باهتاً، حتى أنفها لم يعد كما كان عليه في السابق، لا بد أنها كانت بيضاء شفافة، اما الآن فانها حمراء.

قلت لها، « دعينا نتحدث بدون مجاملة، انا لا أعرفك، بأمانة وجدية أنا لا أعرفك؟ »

ــ ولكن يا قردة، أنا تيلد..ي، الا تفهمين، تيلد..ي، نظرت اليها، تفحصتها مرة أخرى بارتباك، وفي النهاية هززت رأسي « حقيقة، أنا لم ارك في حياتي ».

كانت صامتة للحظة وهي تراقبني ومن ثم اعلنت وببطء لماذا يا قردة، هل هذا ممكن؟ والآن اصغ الي، سوف اذكرك. التقينا منذ ثمان سنوات مضت، كنت متزوجة مند سنتين آنذاك، ولكن بكلماتك ذاتها، سبب لك الرواج ضجراً وأنت تميلين الى عادات معينة ولخلفيات معينة، لذلك اعتدت أن تأتي الى تلك الشقة عندما تخابرك السيدة (لينا)، ولأني كنت أعيش في تلك الشقة فقد اصبحنا كما يقولون اصدقاء ».

كانت غريبة بالنسبة الي، وأنا لا اتذكر تماماً لا هي ولا الأشياء التي تصفها، ولذلك لم أتمكن مقاومة نفسي من سؤالها بطبيعة تامة « شقة؟ السيدة (لينا)؟ ولكن ما كان ذلك؟ بيت متعة »؟ وبحذر صححت الي « حسن، ليس بالضبط حتى وان كان يبدو كذلك كان للسيدة (لينا) عدد قليل من الأصدقاء كانت ترتب اللقاءات. أنا نفسي كنت (موديلاً)، اما أنت فلقد كنت سيدة زبونة ». عند هذه النقطة ابتسمت ومن ثم فجأة وعند رؤيتي للغمازتين القبيحتين السوداوين اللتين تقسمان خديها تملكني شعور اشبه بالأمر الواقع. ولكن دعني أكون واضحة. كنت اعرف بشكل مؤكد أني ارى هذه الغمازات للمرة الاولى ومع ذلك فانها لا تبدو غريبة علي: أن الأمر يشبه ما يحدث في مكان ما،

عندما يعرف المرء أنه لم يكن هنالك مطلقاً، ومع ذلك، فانه لا يستطيع أن لا يميز ذلك.

وفي النهاية فان المرء يعتقد أن هنالك « حياة أخرى ». نعم. يجب أن يكون ذلك في حياة أخرى حيث رأيت تلك الغمازات. استمريت في استفساراتي بطريقة منفصلة غير مهتمة.

ـــ استناداً الى ما تقولين فاننا كنا نوعاً من فتيات تستدعى بالهاتف

ـــ اليس كذلك؟

اذا اردت أن تصوغي الأمر كذلك ـــ فنعم.

بقيت صامتة وأنا أقوم بجهد نهائي، وبدلاً من النظر اليها، نظرت الى نفسي، نظرت الى نفسي بتدقيق وبجدية وبأخلاص، ولكني لم أعثر على أي شيء، ومع ذلك قلت لها كيف كانت تبدو السيدة (لينا)

ـــ « متوسطة العمر، شقراء صغيرة، وقصيرة البصر جداً ».

ـــ « وأين كانت تلك الشقة ».

ـــ « في الفيا الفيسينزا، قرب المحطة ».

ـــ « و... ماذا كان يجري هناك؟ »

ـــ « حسناً، لا شيء خاص. كانت السيدة (لينا) لا تريدنا أن ننتظر في غرفة الجلوس. عندما يقرع احدهم الباب فانها تذهب وتفتح الباب بنفسها، ولكنهم يجب أن يقولوا كلمة المرور أولاً، أنا اتذكر العبارة أنا صديق جيورجيو ».

ـــ ومن جيورجيو هذا؟

ـــ لا أعرف. ثم تفتح السيدة (لينا) الباب، ويذهب الزبون الى غرفة الجلوس وتستدعينا السيدة (لينا) وتقدمنا الى بعضنا. هذا كل شيء.

ـــ هل تعرفين لماذا اسألك هذه الأسئلة؟

ـــ لماذا؟

ـــ لأني احاول أن أتذكر حقيقة أني احاول. ولكن كلما تحدثت أكثر كلما أتذكر اقل. انا لم ارك مطلقاً، ولم ار السيدة (لينا) مطلقاً. ولم ار الشقة في الفيا الفيسينزا. هل هذا واضح؟

والآن كانت تيلدي هي التي جلست صامتة وبحركة عصبية فتحت حقيبتها وأخرجت سيكارة اشعلتها ومن ثم قالت بجفاف ولكن على أي حال ماذا يهم بالنسبة لي اذا كنت لم تعودي تتذكرين؟

أنا جئت اليك طالبة منك شيئاً وأعرف أنك لن ترفضي طلبي؟

ــ ماذا؟

ــ مائة

ــ مائة ماذا؟

ــ مائة الف ليرة

استمريت بالشعور بالصراحة الهادئة السهلة رابطة الجأش لشخص يتحدث عن اشياء لا تتعلق به.

ــ ما هذا؟ ابتزاز؟

ــ سمه ما شئت.

ــ ولكني لن اعطيك مائة الف ليرة. ليس لدي سبب لكي اعطيك ذلك.

نعم، بالطبع لأنك لا تعرفيني ولا تتذكرين. حسناً أن هذا يعني أني سوف اذهب الى زوجك كنت متزوجة حينذاك منذ سنتين عندما بدأت تأتين للمواعيد عند السيدة (لينا) انه سوف لن يكون مسروراً اذا حدث وعرف ذلك.

وفجأة ولدهشتي وردت في خاطري هذه الفكرة. لا يمكن أن يجبرني حتى الابتزاز ولا التهديد بأنها سوف تذهب وتتحدث الى زوجي على الاعتراف بشيء لم افعله.

ان زوجي سوف يفهم ذلك، انه سوف يصدق بأنها تتحدث عن شخص آخر. ان هذا كافٍ بالنسبة لي.

هل تصدقين ذلك؟ كانت تنظر الي وتتفحصني وفجأة وكما لو أنها اقتنعت باني لست الشخص الذي ظنته. وللحظة كانت في حالة ضياع وخائفة تقريباً، وعدها وبطريقة عامية قالت بالطبع أنا أفهم ذلك، لا شك أنك اخبرت زوجك عن كل شيء. ولقد جعلتيه يغفر لك لقد جئت متأخرة.

كانت صامتة نزلت دمعتان على الأكياس تحت عينيها، بللتها وجعلتهما ملألئتين. هذه المرة لم أقل شيئاً لأني حقيقة لم يعد لدي شيئاً أقوله. ومن ثم، انتظرت، كان هنالك تغير أخر، نظرت تيلدي من جانب الى اخر وقالت أنت غنية وأنا فقيرة. لقد لعبت دور المبتز بدون نتيجة. هل تقرضيني بعض المال؟

تحسست جيب سروالي واخرجت النقود التي اعطاني اياها زوجي لادارة شؤون البيت ليومين، ثلاثون الف ليرة، اعطيتها اياها. كما الآن واقفان، نواجه بعضنا الأخر. ترددت تيلدي ومن ثم رمت ذراعها حول رقبتي وقبلتني على خدي وهي تتلعثم بعاطفة أنك لا تعرفيني، ولكن هذا لن يهم. انها لمناسبة سعيدة لي أن اراك مرة اخرى واكثر من أي شيء اخر أن اجدك في مثل هذه الظروف الطيبة. لقد عملت احسن ما عملت. وداعاً.

تركتني وحيدة مرة أخرى. مستغرقة في التفكير. ذهبت الى باب المطبخ فتحته وذهبت ووقفت بشكل آلي عند الشباك. كان الشارع بين صفي البيوت مهجوراً، والشمس مشرقة على احد جانبيه، حيث لم تكن هنالك سيارات واقفة، والظلال على الجانب الاخر حيث كانت السيارات واقفة متقاربة من بعضها على الرصيف. ومن ثم رأيت تيلدي تخرج من باب البناية الرئيسي عندما ترى من الأعلى، كانت لسبب ما، تظهر على حقيقتها بشكل اكثر وضوحاً. امرأة لم تعد شابة متدهورة الصحة، تعبة فقيرة عامية، مشت حتى اختفت. ومن ثم وقفت مرة أخرى. وقعت عيني على مجلة كارتونية تركتها خادمتي على حافة الشباك. على الصفحة الأولى كانت هنالك قصة تحكى بواسطة الصور ذات عنوان هزني « عودة الماضي » عندها تذكرت غمازتي تيلدي، اللتين تخيلت أني رأيتهما في حياة أخرى. وعندها في النهاية فهمت. أنها، مثل تيلدي التي كان لها ماضي ويمكن للمرء أن يراها وأن يتذكرها. من جهة أخرى، هنالك آخرون مثلي ممن كانت لهم حياة أخرى لا يستطيع المرء أن يراها ولا يمكن أن يتذكرها.

توازن

استيقظت بشكل مفاجيء كما لو أني قد تحفزت بفعل غريزة اخترقت نومي الى درجة ايقاظي، وبحركة عنيفة اشعلت المصباح ونظرت في الحال الى زوجي النائم الى جانبي. كان نائماً ورأسه مطمور في وسادته وأحد ذراعيه خارجاً الى الملاءة المطوية. لزوجي وجه بني ذو تقاطيع دقيقة رقيقة، ولكن الذراع التي استقرت على الملاءة كانت كبيرة وعريضة وعضلية، وكنت أعرف ان هذه الذراع مرتبطة بجسم قوي وخشن. كان زوجي مراهقا بجسم رجل في سن الاربعين، او اذا كنت تفضل، رجل كبير في سن الأربعين ذو وجه مراهق. ان الأختلاف بين الرأس الرقيق والجسم الخشن كان ذو اهمية بالتأكيد، ولفترة قصيرة حملقت مبهورة في زوجي النائم، محاولة أن افهم اهمية هذا التناقض فيه ولكنني لم أنجح في اكتشافه، ربما أن هذا يعني أني احب رأسه وأكره جسمه، أو ربما من يعرف كل شيء ممكن — قد يعني هذا العكس تماماً على أي حال، ما كان مؤكداً هو يمثل مشكلة بالنسبة لي، مشكلة كانت تقلقني الى درجة أنها توقظني فجأة في الليل لكي أنظر اليه كما ينظر المرء الى مجموع قائمة ليس صحيحاً حتى ولو كان الخطأ غير ظاهر ولا يعرف المرء أين يكمن.

ان المشكلة مع زوجي هو أني اعطيته كل شيء، الشباب، الجمال، الذكاء (نعم حتى الذكاء، لأني كنت ادرس للحصول على شهادة وقد تركت من أجله دراستي) — كل شيء، اعيد، بالمقابل لم أحصل منه على أي شيء. أو في الحقيقة نعم، مقابل دلك اعطاني مهنة بائعة في محل المجوهرات الذي يملكه.

ولقد اعطيته كذلك طفلين، صبي وفتاة، والآن في التاسعة والعاشرة من العمر. ربما بسبب حمل الأطفال اصبحت ظلاً لنفسي. كان لي جسم مدور بشكل جيد أما الآن فآن ملامحي قد سحبت كما لو أني جائعة وعطشانة بشكل دائم. آني مثل الكروم بعد الجني، عندما يمكنك أن تمشي بين اغصان الكروم ولا ترى سوى الأوراق الصفراء الذابلة ولكنك لن تجد عنقود فاكهة واحدة. فأنا أعود الى ذلك الصنف من النساء ذوات الوجه المألوف والبناء الجسدي المهيب من النوع الذي يقول عنه الناس باعجاب « نعم بالتأكيد كانت جميلة ايام شبابها ».

كنت افكر في هذا وأنا اراقب زوجي بينما هو نائم، وطورت افكاري اكثر، لقد اعطيته اذن كل شيء وبالمقابل لم يعطني هو أي شيء والأسوء من ذلك أنه جعلني اعمل بائعة في محله. وهكذا فانه مدين لي. أن كفتي الميزان بيننا ليست متعادلة، كفته فارغة وخفيفة وكانت صاعدة نحو الأعلى.

كان من الواضح أنه يتوجب علي أن أعمل شيئاً ما بحيث تكون كفتي من الميزان على الأقل على نفس مستوى كفته.

خطرت لي فكرة، ولكنها ربما اكثر من فكرة، كان دافعاً طبيعياً يمكن القول أنه سبق الفكرة، نهضت من الفراش، ارتديت ملابسي بسرعة، اخذت ملابسي من الكرسي حيث وضعتها عندما خلعتها في المساء. ومن ثم أطفأت النور، وغادرت الغرفة على أطراف اصابعي. لم يلحظ زوجي أي شيء. في الحقيقة، عندما توقفت للحظة في الباب سمعته يشخر بشكل مفاجيء وبصوت عال. وصلت الباب الأمامي ومن ثم الى خارج الشقة وعلى السلالم.

كنا نعيش في الضواحي ولكن المحل كان في مركز المدينة في الليل، تتحول هذه الشوارع الحديثة المتكونة من كتل من الشقق الممتلئة بالشرفات الى مقابر من السيارات الواقفة في خطوط تشبه عظام سمك الرنكه. كانت سيارتي امام الباب الرئيسي تماماً. دخلتها وسقت بسرعة عظيمة بين صفوف السيارات التي تشبه اسنان المشط منحتني احساسا بالموت. ان مركز روما، لحسن الحظ بدون محلات وقوف منظمه. والبنايات على عكس السيارات لم تكن تبدو ميتة في الليل الصامت الفارغ ولكنها كانت مجرد نائمة.

تركت السيارة في ا(البيزادي سبانيا) ومشيت الى المحل الذي كان في شارع مجاور. كانت خطتي لاعادة التوازن بيني وبين زوجي من النوع البسيط جداً: سوف اذهب الى المحل، اضع اكثر قطع الحلي غلاء في كيس بلاستيكي، ومن ثم اذهب وارمي الكيس في نهر التيبر. سوف يخسر زوجي عدة ملايين من الليرات، وسوف ابرهن لنفسي انني لست مجرد بائعة وسوف يتم التوازن بيننا، وبالتالي، اتمكن من حب زوجي مرة ثانية وبدون رومانسيات، لعدة سنين قادمة على الأقل، بالقدر الذي يستمر به شعوري بالذنب.

يجب أن تعرف أن للمحل مدخلين، واحد على الشارع مغلق بقفل متزحلق والمدخل الآخر في ساحة البناية، فضلت استخدام الاخير، فتحت الباب الصغير الذي قادني الى الباب الرئيسي، ذهبت الى ساحة البناية القديمة واتجهت الى الباب الصغير الذي يقودني الى الغرفة الواقعة خلف المحل وبالتالي الى المحل نفسه. وقد كنت استطيع أن أرى من بعد بأن الباب الصغير كان مفتوح جزئياً فقلت لنفسي هل ترين ذلك؟ كان هنالك لص وكان يسرق اشياء ولكن هذه الأفكار لم توقفني، دفعت الباب المفتوح ودخلت.

وفي الحال قفز شخص ما، كان يقف خلف الباب ومؤخرته باتجاه الجدار معطياً اياي دفعة ومحاولاً الهرب. ولكن عندها وبنفس الطريقة الغريبة وكما حدث من قبل عندما نهضت من فراشي، كان عندي دافع طبيعي جداً، حجزت طريق اللص وأمسكت بشيء كان يضغطه بشدة باتجاه صدره بيد واحدة، كانت حقيبة شعرت من خلال اصابعي بأنها كانتمملوءة بالمجوهرات. جاءتني ضربة قبضة في وجهي ولكنني لم ادعه يذهب ومن ثم ضربة أخرى من قبضته على فمي، لم تؤدِ الآ الى تقوية قبضتي على الحقيبة المتنازع عليها بقوة يائسة اكثر. وفي نفس الوقت صرخت، لا كما يصرخ الناس عندما يصرخون « امسكوا اللص » بل اخرجت صوتاً وحشياً غير واضح عنيف مثل حيوان يدافع عن صيده. هذا الصوت، على ما يبدو، اخاف اللص فأعطاني دفعة عنيفة الى درجة أني سقطت على الأرض فهرب حارجاً من الباب المفتوح.

لفترة من الزمن بقيت حيث سقطت على الأرض في الظلام والدم يملأ فمي

وجبهتي تؤلمني ولكن ليس ذلك الذي منعني من النهوض بل التفكير بالطريقة التي افسر فيها ما حدث ـــ الاحساس بالدهشة الذي نشأ من حادث غير متوقع. هذه الدهشة، مع ذلك، منعتني من فهم ما كان يدهشني، ومن ثم حاولت أن ارفع يدي لكي ارجع شعري الذي كنت احسه فوق وجهي، ثم أكتشفت باني لا أستطيع تحريكها، كانت تحافظ على قبضة متشنجة وأصابعي مثل المخالب على حقيبة المجوهرات التي تشبثت بها بقوة على صدري.

وفي النهاية فهمت كل شيء وكان الأمر سهلاً لقد جئت لكي أسرق، كنت اريد أن ابرهن لنفسي بأني على أي حال لست مجرد بائعة في محل زوجي وبدلاً من ذلك تصرفت مثل بائعة أمينة عندما هوجمت دافعت عن بضائع رب عملها بأظافرها. شيء مختلف تماماً عن أعادة التوازن! أن كفتي الميزان هما الآن غير متعادلتين اكثر من أي وقت مضى.

وجب علي أن أؤجل كل شيء للمستقبل عندما افهم نفسي بشكل أفضل. أما الآن فيجب أن أستمر في الحياة.

صممت، وبجهد قمت على قدمي، ترنحت في المحل أشعلت الأضوية. كان هنالك حاجز أقف خلفه كل يوم، جميلة ولكني باهته، اعرض البضائع للزبائن بازدراء حقيقي بانفصال تام. افرغت الحقيبة على فمة الزجاج على الحاجز، حلقات، اساور، قلائد، تتألق تحت بصري في كومة براقة معينة. وبهدوء وبجدية وبعناية اخذت الحلي واحدة واحدة اعدتها الى شباك العرض حيث كانت مسبقاً. لقد قام اللص بمهمته بهدوء ايضاً وبجدية وعناية. بحيث يبدو كما لو أن الرجل بنفسه بتوارد خواطر غير قابل للتصديق قد اعاد الأشياء الى مكانها الصحيح بعد سرقتها.

وفي النهاية رجع كل شيء في مكانه. القيت نظرة اخيرة على المحل، لا احد يمكن أن يتخيل أن سرقة قد حدثت قبل مدة قصيرة.

أطفأت الأنوار وغادرت شاقة طريقي خلال الغرفة الخلفية ثم الى الساحة بالطريقة التي جئت بها. في (البيزا دي سبانيا) دخلت سيارتي وحركتها بسرعة

هائلة. اردت أن اعود الى البيت قبل أن يستيقظ زوجي ويحس بغيابي بالطبع كان من الممكن أن أخبره الحقيقة ولكن اية حقيقة!؟

لسوء الحظ بينما كنت أخلع ملابسي لكي اعود الى فراشي الى جانبه، اسقطت حزمة المفاتيح على الأرض. فأستيقظ في الحال ورآني واقفة هنالك، ولو أني كنت قد ارتديت ملابس نومي. ودون أن يتحرك سألني بصوت منزعج ماذا تفعلين؟

ــ « لقد شاهدت كابوساً » اجبته، « نهضت لأشرب شيئاً »

ــ « اي نوع من الكوابيس؟ »

ــ « تخيلت اني في المحل وكان هنالك لص ولقد تصارعت معه وفي النهاية تمكنت من اجباره على الهرب ».

ــ « اوه، أنت وكوابيسك »

هذا كل ما قاله، كان قد نام مرة أخرى. اطفأت الأنوار وعدت الى فراشي في الظلام.

فتاة من الضواحي

أنا اخطىء في كل طريقة وكنت أعرف ذلك دائماً، ولكن هل هنالك شيء أخر في الحياة غير الحسابات الخاطئة؟ ولدت في عائلة فقيرة ولكن دعية، وبدلا من التخلص من الادعاء الفارغ وقبول الفقر، رفضت الفقر وكرست نفسي للادعاء. ان لي بعض الأعذار، على أي حال، بسبب جو العائلة، كل ما أحتاجه هو قول من ابي من أنه قد عمل كمدير لأعمال امير روما وكان مطيعاً ومخلصاً له مثل كلب مراقبة عجوز اما أمي، المسكينة، فلقد كانت تهفو الى عقد صداقات مع السيدات الأرستقراطيات، حتى بواسطة اساليب غير متوقعة مثل السؤال بواسطة الهاتف عن معلومات تتعلق بفتاة خادمة، وكذلك الأمر بالسبة لأخي بيرو، الذي كان نتاجاً كاملاً لمثل هذا الموقف اذ أنه يلاحق بزهو الوريثات ذوات الأسماء التاريخية. ولم أكن أقل ادعاء منهم، ولكني كنت امتلك فضيلة كوني على وعي بادعائي. ما فائدة هذه المعرفة الي؟ هذا يمكن الاجابة عليه بسرعة: لا شيء على الأطلاق.

في عائلتي كنا دائماً ننتظر دعوات لا تلتئم مطلقاً ولقاءات لا تحدث، وصداقات لا تترسخ. فأمي تصطف لعدة سنوات أمام أبواب غرف الرسم محكمة السد امامها، وتم ابتزاز والدي عندما كان يبحث عن قبول في نفس النادي مثل مرؤسه الأمير، وكان اخي يخاطب أقرانه النبلاء بعبارات الميانة فلا يستلم الّا الجواب الرسمي، كنا بأختصار، عائلة مختصة بفقدان ماء الوجه الوراثي، وبأقراص مرة تبتلع دون رفيف جفن واحد.

كان بيني وبين بيرو علاقة فريدة. وبالرغم من أن كلينا يأكلنا الادعاء الاّ اننا لا نتحدث عنه مطلقاً ولكي اوضح ذلك، فاننا نعطي لأحدنا الاخر الدعم المتبادل بموجب اتفاق ضمني وبتحالف مخلص، هو يحثني بقدر ما يستطيع وأنا أفعل الشيء نفسه له. ومع ذلك، وبالرغم من جهودنا، بقينا في الغرفة الموصلة الى المجتمع العالي الاصيل مهددين ان نبقى هناك طوال حياتنا.

وفي النهاية جاءني الهام: يجب أن لا يقتصر حصاري على القدمين بل يجب أن اتوجه نحو الرأس. في ذلك الوقت كان قائد المجتمع المترف الشاب المتميز الذي لا منازع له (ادواردو) الوريث الساخر الكسول المتقلب لعائلة عظيمة. وبالرغم من أني لم أقدم اليه بطريقة رسمية، الا أني كنت التقيه في كل مكان، وكان يبدو انه يتجنبني وكان هذا الموقف المريب منه يقلقني. وفي احدى الليالي استيقظت مجفلة، وبتلقائية فعل كنت اخطط له منذ امد طويل، امسكت سماعة الهاتف وادرت رقم حبيبي. من الغريب القول باني كنت اخابر واحساس بالنقمة يتملكني تجاهه، كما لو انه شخص استنفد صبر شخص اخر الى حده الاقصى. كنت افكر وانا اصغي الى صوت السماعة، ان هذا الوقت الذي يجب ان يصل الامر فيه الى نهايته، نعم، لقد عانيت بما فيه الكفاية. انتظرت وقتا طويلا، وثم في النهاية قال صوت معروف جيدا بالسبة لي ولكنه كان مهتاجا ومتعبا: « من فضلك هل استطيع ان اعرف من انت؟ »

ــ « أمرأة تعرفك جيدا ولكنك تتجنبها دائما ربما لانك خائف منها »

ــ « واحدة من فتيات الضواحي الاعتياديات على ما افترض اين انت الان؟ »

ــ « في ثوب منامي »

ــ « ماذا تفعلين في ثوب منامك ستصابيين بالبرد »

ــ « ماذا تقول اذا وضعت معطفي الفراء فوق ثوب منامي واتيت لزيارتك؟ »

ــ « سأخبرك ان تبقي حيث انت. من انت على اي حال؟ »

ــ « سأصف لك نفسي، عندها ستحصل على فكرة عما أكون عليه انا. انا طويلة ذات رأس صغير ورقبة طويلة واكتاف عريضة وصدر نام جدا. وخصر رشيق جدا ورجلاي طويلتان ونحيلتان تمتدان مستقيمان من بطني ولي عينان مدورتان سوداوان وانف عريض وشفاه سميكة وجلدي غامق ».

ـــ « اذن انت زنجية »
ـــ « حسن، حسن. لقد فهمت في النهاية »

الله وحده يعرف لماذا وصفت له نفسي بهذه الطريقة. ربما لتعريفه اياي بأني من فتيات الضواحي الافريقية كانت هي الموضة، وسوف تنفي عني اي ادعاء لكونه كان دعيا كبيرا، يستطيع رؤية ما يدور في مخيلة دعي صغير مثلي، سرعان ما أنتزع القناع عني « دعني اقول انك اذن فتاة سوداء من الضواحي »
ـــ « حسن هل اتي ام لا؟ »

كان صامتا للحظة ومن ثم اجاب « ليس الليلة، تعالي غدا ولكن ليس هنا في روما، تعالي الى (ب) وذكر لي قرية في الكاستيلي روماني غدا بعد الظهر لن تخطيء الطريق، ان قصرنا يقع في ساحة القرية ادخلي ثم اصعدي الى الاعلى وسوف اكون هناك في انتظارك. علق سماعة الهاتف وذهبت انا مبتهجة الى غرفة نوم اخي. ذهبت الى فراشه في الظلام وايقظته. استيقظ واشعل الضوء اخبرته كل شيء بنفس واحد « لقد اتصلت هاتفيا بادواردو وقد اعطاني موعدا في قضره في « ب ».

بالرغم من استيقاظه من نوم عميق، وبالرغم من اني قلت مسبقا بأننا لا نثق احدنا بالاخر في قضية الادعاء، فقد فهم اخي في الحال ما هو الامر، لذلك صاح ببهجة « اتصلت هاتفيا بأدواردو »
ـــ « نعم ولكني لم اخبره من انا. لقد مررت نفسي عليه كزنجية. الله وحده يعرف اذا قد صدق ذلك، على اي حال لقد اعطاني موعدا ».

نظرنا الى بعض بانتصار فاستمريت « ومع ذلك فيجب عليك ان تعيرني سيارتك »
ـــ « انا سأوصلك الى هناك بنفسي ».

عدت الى غرفتي تمددت واستغرقت في النوم ولكن نومي كان قلقا مملوءاً بالكوابيس. وفي الصباح اكتشفت المرض قست درجة حرارتي واكتشفت اني كنت محمومة. يا لسوء الحظ؟ كنت اتمنى ان اضرب رأسي غضبا. استدعيت اخي واحبرته اني يجب ان انسى هذه المرة الرحلة الى قرية ادواردو، فأحتج

بعنف وفي الحال قال « انك يجب أن تذهبي حتى اذا كانت درجة حرارتك مرتفعة ».

ــ « نعم، ان درجة حرارتي مرتفعة »

ــ « يجب أن تتدثري جيداً وتعتني بنفسك »

لذلك استسلمت للفكرة وانا افكر بأن الحمى سوف تجعل ممارسة الحب اكثر انفعالا ــ اذا كانت هنالك ممارسة حب كما بدا ذلك محتملا. قطعنا الثلاثين كيلو مترا في الهواء المظلم خلال مطر مثلج مستمر، كنت ارتجف واسناني تصطك من الحمى. كان كل شيء يحدث كما لو انه في كابوس، عندما وصلت القرية توقف المطر. وجدنا هناك القصر الكئيب المسود بالدخان ذا الجدران المنحنية والقضبان المثبتة فوق الشبابيك الكبيرة في ساحة مهجورة مرصوفة بحصى اسود لامع محاطة بدائرة من الزرائب التعيسة.

دخلنا انا واخي ساحة كبيرة ذات رواق طويل وصعدنا السلالم الموجودة في النهاية البعيدة للساحة. كان للمكان مظهر غريب مهجور وريفي، وهناك قش وبراز الدجاج على الدرجات، ومغالق الشبابيك مفتوحة، وكانت الاكياس متراكمة على الارضية. وجدنا بان شقة ادوارد نصف مفتوحة، فدخلنا الى غرفة واسعة فارغة كليا. كان الجو باردا جدا والضوء شاحب بغرابة، وهناك بركة من الماء تجمعت على الارضية جعلتني انظر الى السماء، ومن ثم بين اعمدة السقف السوداء رأيت السماء رمادية بدأت تحمر من غروب الشمس المبكر، فتح الباب ودخلت امرأة وسألتنا عما نريد، ذكر اخي اسم ادوارد، هزت المرأة رأسها: « انه لا يأتي الى هنا مطلقا »

ــ « ولكنه اعطانا موعدا هنا »

ــ « انه يعيش في روما، ان القصر لم يصلح منذ ان قصف اثناء الحرب،نحن في غرفة واحدة، زوجي وانا واطفالي، اما الغرف الاخرى فانها تشبه هذه الغرفة، المطر ينزل فيها ».

قلنا وداعا للمرأة التي كانت غير واثقة ما الى درجة انها لم تجب على تحيتنا، رجعنا الى الساحة، جلس اخي في السيارة دون ان ينبس بكلمة واحدة،

وغادرنا المكان، وفجأة بدأت الضحك بضحكة هستيرية غير مسؤولة، ضحكت لفترة طويلة، ومن ثم توقفت عن الضحك بالمرة، اما اخي فلم يفتح فمه مطلقا. في البيت ذهبت الى الهاتف مباشرة وادرت رقم ادواردو سمعت صوته المتشدق المزدري قلت له « أنا التي تحدثت اليك البارحة »

ــ « آه نعم فتاة الضاحية السوداء كيف كانت رحلتك؟ »

ــ « انت غبي نذل ومنحط »

رأيت اخي يؤشر الي بطريقة عصبية كما لو انه ينصحني بأن اكون حذرة، ولكني هززت كتفي واستمريت « اذا اردت ان تجعلني ارى اي نوع من الناس انت، ما كان بامكانك ان تفعل شيئاً افضل ».

ــ « ذلك القصر الخرب الفارغ والمطر المتساقط فيه هذا كل ما انت! »

ــ « كم قليلة التحمل أنت! ان المرء يجب أن يعرف أنك افريقية! »

ــ « أنا لست أفريقية. انا من روما »

ــ « حسن. حقاً وماذا تفعلين الان؟ »

ــ انا في الفراش، ودرجة حرارتي مرتفعة »

ــ « حقاً، آسف جدا. ومع ذلك يجب ان لا يمنعك ذلك من وضع معطفك الفراء الشهير فوق ثوب نومك الشهير وتأتي الى هنا لتريني هنا في روما، في شقتي »

ــ « هل تريدني أن آتي؟ »

ــ « نعم بالطبع هل تعتقدين اني امزح؟ »

ولقد فعلت. حسن. حسن ليس كافيا ان تعرف بأن الشخص يقوم بحسابات خاطئة. ما يحتاج اليه، كما قلت سابقا، هو ان يكون هناك شيء ما في حياته يتعدى الحسابات الخاطئة.

دعنا نلعب

مملوءة بغيظ واهن يائس. جلست في غرفة المعيشة ادخن سيكارة بعد اخرى واراقب طفلتي الصغيرة (جينفرا)، التي كانت تلعب بكل هدوء على السجادة مع دميتها لقد كنت انتظر منذ ساعة بعد ان انتظرت لنصف نهار هذه الساعة القدرية التي تأتي، وقريبا سوف يتحول وجود رودلفو من نظرية معقولة الى امل مجنون.

كان الزجاج امامي يعكس صورتي كامرأة مرهقة مستسلمة متلهفة. وجه مجهد ذو حدود هزيلة عيون خاسفة، محاجر محمومة. فم مشوه ناتىء عبوس وفي نفس الوقت مائل بشكل مرتبك. كان جسمي هيكلا منحنيا ذو حركات مفاجئة مثل دمية مسعورة كان شكلي شكل امرأة تعرضت الى الخزي لانها خالية من اية فضيلة وهل هنالك اكثر انعداما للفضيلة من كلب يهز ذيله وهو يعوي ويتراخى عند قدمي سيدة؟ ان هذا الكلب هو انا. خذ، على سبيل المثال. رودلفو وانظر كيف قادني هذا الممثل من الدرجة الثالثة التعيس الغبي الاخرق وقبيح الشكل ايضا. كيف قادني من الانف وفعل بي مثلما اراد بالضبط لقد كان الامر كذلك منذ البداية كنا الاثنان في البار لا يعرف احدنا الاخر. ننظر الى بعضنا من فوق اكواب القهوة وعندما وضعت كوبي الفارغ على الحاجز وتظاهرت بالمغادرة، عندها صفر لي. نعم صفرة واحدة فقط، كما لو انه كان يصفر لكلب وفي الحال هززت له ذيلي وانا اعوي ورجعت لكي استلقي عند قدميه، هكذا كان الامر، بذلك الصفير بدأت علاقتنا الغرامية التعيسة.

اما تعاستي الاخرى فهي كوني وحيدة في هذا العالم كأرملة ليس لدي زوج يعيلني، كما اني لست مخلصة لكي اجعل عشاقي يحترموني، وليس لدي اصدقاء من الجنسين. عندي (جنيفرا) فقط ابنتي الصغيرة ذات السابعة.

اوه، الاطفال! لنتحدث عن الاطفال! اوه نعم دعنا نخفف عن عقلنا قضية الخداع الهائلة المتعلقة بالاطفال! اني اتساءل من هن. اول شخص اكتشف بأن الاطفال أبرياء؟ مهما يكن من هو، فان من الواضح انه لا يعرفهم ان الاطفال هم ناس كبار، نعم كبارا بكون احاسيسهم هي احاسيس كبار. ولكنهم في نفس الوقت يهربون من مسؤوليات الكبار بعذر أن اذرعهم وارجلهم واجسادهم ورؤوسهم وتكوينهم الجسدي باختصار لم تتطور لحد الآن. وهكذا ففي الوقت الذي (نشعر) بأنهم مثلنا، فاننا لا نستطيع التواصل معهم، أي أننا لا نستطيع التحدث معهم بجدية، ولا نستطيع الثقة بهم، ولا يمكن أن نطلب منهم تضحية أو مساعدة أو نجدة، وهكذا فاني اريد ان اعرف فائدة الأطفال وماذا يمكن عمله معهم.

في هذه اللحظة، على سبيل المثال، او تمكنت من أن انسى أن (جنيفرا) تبلغ سبع سنوات فقط، عندها استطيع على الأقل، أن انفسّ عما في صدري من الكرب والغيظ الذي نشأ في نفسي من تصرفات رودلفو. أشعر أن ذلك سوف يكون طيباً عندما تأتي الي وتجلس الى جانبي، أن تشرب معي، شيء قوي مثل الفودكا أو الويسكي، لكي يرخى لسانها، أن تشعل سيكارة، أو حتى نفتح صندوقاً لطيفاً من الشكولاته ومن ثم نقول ما يجوْل في خواطرنا بطريقة حميمة جداً. أن اخبرها كل شيء عن رودلفو وعن نفسي، أن ادخل في كل التفاصيل، ان اقوم بشرح دقيق لحالتينا النفسية وأن اوضح الفرق بينهما، وأن اتفحص بعمق كل الأخطاء التي ارتكبها رودلفو ضدي، وكذلك اتعامل مع القضية الحساسة المتعلقة باحساساتنا الجنسية، وسوف تمتليء الغرفة بالدخان وتفرغ قنينة الفودكا وصندوق الشكولاته، وسوف يمر الوقت وفي النهاية ربما اشعر بالأرتياح.

ولكن لا شيء من ذلك يمكن حدوثه. وعلى الرغم من أني متأكدة من أن (جنيفرا) تعرف كل شيء عني وعن رودلفو، فاني استمريت بتمثيل الدور البليد للأم الحنونة الصغيرة العزيزة « لا يا جنيفرا لا تسحبي أرجل دميتك بهذه الطريقة. انك تؤذيها فتاة سيئة السلوك وماذا سوف تقولين اذا سحبت املك رجلك بهذه الطريقة؟ ولكن امك تحبك وسوف لن تفعل لك ذلك... الخ.

ملاحظات سخيفة لا يؤمن بها أي منا، ومع ذلك عندما يقال ويفعل كل ذلك. فأنا، واحسرتاه، ام طيبة من النوع التقليدي. وأنا لا اميل الى النسيان أن طفلتي هي طفلة في النهاية.

مرت هذه الأفكار خلال رأسي نظرت الى الساعة ولاحظت انه لم يتبق أي أمل بأن رودلفو سوف يأتي وعندها وقد تغلب علي الغضب. امسكت بمنفضة رماد مصنوعة من الألباستر وقذفتها في الأرض. فتحطمت المنفضة بالطبع الى قطع صغيرة. رفعت (جنيفرا) رأسها قليلاً وقالت بهدوء (دعنا نلعب يا امي)

نظرت اليها بشعرها الاشقر الناعم ووجهها الأبيض وعينيها الزرقاوين. كانت جنيفرا تمثل بشكل كامل ملاك شجرة عيد الميلاد. كل الذي تحتاجه اجنحة من السكر نبات « أية لعبة يا كنزي ».
سألتها.

ــ اللعبة التي تصبحين فيها انت انا، واصبح انا أنت أنا الأم ،وانت جنيفرا؟
ــ وماذا يحدث بعدئذ يا حبيبتي؟
ــ عندها سوف اخبرك بالاشياء التي تقولينها لي لو كنت كبيرة مثلك، وسوف تقولين الأشياء التي ستقوليها لو كنت صغيرة مثلي.

وهكذا نحن هنا: العاب. التسلية العظيمة، والمكر العظيم والحيلة العظيمة التي يستخدمها الأطفال، انهم يقولون ويفعلون كل الأشياء التي يقولها ويفعلها الكبار ولكن كلعبة هل ترى الحماقة والنفاق والحيلة في التنصل من المسؤولية؟ ومع ذلك تظاهرت بالموافقة هذا عظيم، هيا، دعينا نلعب اللعبة.

وبهدوء وعمد جلست امامي وبدأت الحديث بصوت مصطنع يفترض أنه صوتي « جنيفرا هل لك أن تخبريني لماذا تكونين بيننا عندما يأتي رودلفو لزيارتنا؟ »

بالطبع، فان جنيفرا كانت تستفاد من اللعبة لاخباري بالأشياء التي افكر فيها ولكن ليس لدي الشجاعة لأن اقولها لها صنعت علامة احتجاج ولكنها اوقفتني تذكري أنك جنيفرا. أجيبي على سؤالي؟

عندها تحدثت بصوت مصطنع كذلك. « يا أمي، أنا اكون بينكما لأني احبك وأنت أمي ».

فأجابت ببراعة « هراء! ان ذلك ليس صحيحاً. أنت تكونين بيننا لأنك تغارين مني، من أمك، وتريدين أن تأخذي رودلفو بعيداً عنها لنفسك ».

لقد كانت على صواب، فلقد كنت مقتنعة بأن جنيفرا ، حتى بطريقتها الطفولية، كانت مفتونة برودلفو. ولكن كيف استطاعت أن تميز أني افهم ذلك؟ متظاهرة بأني مرتبكة، اجبت « ولكن من قال ذلك؟ »

ـــ « أنا اقول ذلك. ومن جهة اخرى، أن ما لا ترينه هو أن رودلفو حنون عليك ويجلب لك الهدايا لكي تتركينا بسلام. أو أنك تتظاهرين بعدم الفهم، وفي ذلك الوقت نضطر أنا ورودلفو أن نقفل على أنفسنا في غرفتي ».

كنا حقاً نقفل الباب: يجب علينا أن نفعل ذلك!.، أما أنا بدوري، فلقد استفدت من اللعبة كي اوبخها، لذلك قلت لها في انتصار « ومع ذلك لا فائدة من كل ذلك، فأنا اطرق بابك طوال الوقت بقضيب الموقد أو أني اصرخ واعوي وأبكي ».

اظهرت أنها قد فهمت المقصود بجوابها « أن بامكانك أن تفعلي الأشياء التي تروقك انك لا تهتمين بي على الاطلاق ».

مخلصة لدوري أؤديه، تأوهت قائلة « هل هذا صحيح، هل أنا لا اعي لك شيئاً يا أمي؟ »

وبصُورة شريرة اجابت « مطلقا. ماذا تتصورين؟ اذا كنت تعنيني لكنت تجنبت خلق هذه الضوضاء مع رودلفو اثناء الليل وانت تصرخين بكلمات بذيئة عليه وترمين بالأشياء على رأسه وتلاحقينه حتى في غرفتك لكي تتشاجري معه »

واستمرت باخباري حقائق مرة حاولت أن ادافع عن نفسي « نعم، هذا صحيح. و لكن صحيح ايضاً أني قد اخبرتك بأني افضل أن اغضب واتشاجر من أن اترك وحيدة في البيت اثناء الليل ».

بدت أنها تفكر ملياً، ومن ثم هتفت « لا تهتمي ولا تقلقي من الان فصاعداً لن يكون هناك شجار. فلقد اقتنعت اليوم بشكل نهائي، بأن رودلفو لا يحبني. لذلك اتخذت قراراً »

نظرت احدانا الى الأخرى وازداد فضولي، فسألت بلهفة « أي قرار؟ »

وبطريقة حكيمة. واستناداً الى خطة مسبقة اجابت « قررت أن اقتل نفسي أني ذاهبة الان الى الحمام سوف اخذ قنينة حبوب المنوم الصغيرة وابتلع الحبوب كلية ».

خائفة من تهديدها الواضح صرخت « لا يا أمي لا تفعلي ذلك، لا تتركيني وحدي »
« لا أني اتمنى أن افعل ذلك وسوف افعله »

وبهدوء نهضت من الكرسي وركضت الى غرفة الحمام تبعتها رأيتها تحرك الكرسي تحت صندوق الادوية وتصعد عليه ثم تأخذ قنينة الحبوب ثم نزلت من الكرسي. فتحت صنوبر الماء ملأت القدح بالماء ثم افرغت القنينة فيه، ثم شرحت « أما الان فسوف تتحول لعبتنا أنت ترجعين لتصبحي نفسك وأنا ارجع لكي أكون نفسي. دعينا نلعب لعبة حقيقية. وأنت يجب أن تأخذي الحبوب ».

قالت ذلك بطريقة هادئة مباشرة ووضعت القدح في يدي.

شجار تحت المطر

لفترة من الزمن الان، لاحظت اني اتجاهل خطوط الموضة عند ارتدائي لملابسي. وبدلاً من أن اقول لنفسي « اليوم سوف ارتدي هذا الثوب الجميل ذا الخطوط الجديدة والحديثة والذي يملؤني جيداً »، بدلاً من ذلك، افكر بطريقة قاسية: اليوم سوف ارتدي هذا البلوز ذا الزر الواحد، وهذه التنورة التي تغطي بالكاد مؤخرتي. أن هذا سوف يسمح لي بعرض سيقاني وصدري وهما اجمل نقطتين فيَّ. أنا ارملة، في التاسعة والثلاثين من العمر ويبدو لي اني لا زلت جميلة، وكان من الممكن ان يكون هذا الدافع لعرض نفسي شرعياً، وان لم يكن كذلك، فلمجرد الفرض لو لم يكن طائشا ومجنونا. ماذا سيحدث لي، باختصار؟ أنا واعية بما افعله ولكني لا استطيع السيطرة على نفسي. أن هذا الوعي مع ذلك عديم القوة، وفي الحقيقة، متعاون الى ابعد الحدود هذه هي اذن البدعة التي اجدها مخيفة ومثيرة للاضطراب.

حسن، في أحد الأيام كنت واقفة أمام احدى واجهات العرض الزجاجية، أتأمل باستغراق عميق ملابسي الاستعراضية، عندما شعرت بثلج نظرة عدوانية على ظهري، استدرت ببطء ورأيت ابنتي (تينا) التي كانت تقف على العتبة، وكانت تراقبني لفترة لا اعرف طولها « اه، هذه أنت، قلت لها، لقد اخفتني، ماذا تريدين؟ »

اجابت بجفاف « السيارة »

ـــ « السيارة لاستخدامي الشخصي »

ـــ « اذن خذيني الى الاجتماع. أنا متأخرة، كما ان الاجتماع يعقد في بيت

لوسيا في الريف، فكيف استطيع أن أؤجر تاكسي؟ »
—« أنا آسفة. لكني لا استطيع أن لدي اشياء يجب أن اعملها »

وفي الحال كما لو عند اشارة ما، اصبحت عنيفة.
— « هيا ليس لديك ما تفعلينه، وفري كلامك لشخص غيري، أنا اعرف ما تفعلين اليوم وكل يوم، تخرجين فتذهبين الى شارع (بيزا دي سبانيا)، تتجولين ببطء في (فيا كوندوتي) والشوارع المجاورة له، وحقيبتك اليدوية معلقة في كتفك، تتظاهرين بالنظر الى واجهات المحلات، ولكنك تريدين الناس أن يعجبوا بك، بل وحتى يبادر لك [illegible] الحمقى بالكلام الذي ليس لديهم شيئا افضل منه ليفعلوه

« ربما من الافضل أن تذهبي معي، وخصوصاً، أنك تتصرفين بوقاحة مع اولئك الحمقى، وثم تعودين الى البيت نقية مثل الذهب، مثل أم العائلة الطيبة التي هي انت، لماذا؟ ما الذي يعجبك في كل هذا؟ »

كانت الحقيقة ولكنه ليس مسرا دائماً أن تقال الينا الحقيقة، اجبت بحدة « حسناً سوف اوصلك على شرط أن تذهبي وتنتظريني أينما يعجبك. أنا لم انته بعد »

بعد بضع دقائق تركنا البيت معاً، كانت تينا ترتدي بنطلونا ذا حمالات وكنزة ذات رقبة عالية تصل الى اذنيها، لاحظت ذلك في اللحظة التي كنت اصعد فيها الى السيارة، القت نظرة قاسية على ملابسي المختصرة. سقت السيارة في صمت وفي النهاية سألت « ما هذا الاجتماع؟ »
— « أنت تعرفين يا أمي، لم هذا السؤال؟ »
— « حول النساء، ايه؟ »
— « نعم، حول النساء. اذا كان ليس لديك مانع ».

كنت اضجرها بشكل مؤكد ولكن غالباً ما يحدث في مثل هذه الحالات. لم اكن متأكدة هل هنالك شيء ما في داخلي هو الذي يضجرها ام أنها نفسي بالذات، نفسي كلها التي تؤثر على اعصابها. في هذه الأثناء اصبحنا في الريف، كانت الحقول منتفخة وخضراء تحت السماء المنتفخة السوداء.

« سوف تكون هنالك عاصفة رعدية » قلت لتينا « كم هي رائعة العواصف الرعدية! أنها تعطيني الأحساس بالثمل العاطفي، بالفرح، بالربيع، في الحقيقة أنها تجعلني اود أن اخرج مغنية تحت المطر عارية القدمين. ثم لمحت بتهكم « أن هذا عنوان فلم قديم، في الوقت الذي كنت فيه شابة يا أمي »

اطبقت شفتي. اعتقد اني اصيلة في احساسي وربما كنت كذلك! ولكن لكي اشرح ذلك فلقد استخدمت ملاحظات مبتذلة اغضبتها. ثم بدأ المطر الان. تسطحت القطرات الأولى على زجاج السيارة الامامي، مكونة للحظة زهوراً ذات تويجات من الماء. ولكن الشمس استمرت تشرق في الجانب البعيد من الحقول الخضراء التي كانت تهب فوقها الريح العاصفة طويلة شاحبة تهتز لها الغصون. رأيت بين عمودين بوابة مفتوحة على مصراعيها، استدرت اليها وسقت بين صفين من شجر الدفلى التي كانت اغصانها المشبعة بالماء تضرب نوافذ السيارة، ثم توقفت في الساحة المفتوحة امام الواجهة الحمراء للبيت الريفي من الطراز الرومي ــ شقة لوسيا. وبغضب قلت لها:

« لقد جلبتيني الى هنا. والآن ماذا تريديني أن افعل؟ »

ــ « اذهبي الى بيزا دي سبانيا كالمعتاد ».

ــ « لا، سوف لن افعل ذلك. سوف آتي معك. اريد ان اسمع ما تقولين ».

ــ « ولكن هذه اشياء لا يمكن ان تعنيك مطلقاً ».

ــ « لماذا؟ انا امرأة ايضاً. الست كذلك؟ او قولي انك لا تريدين ».

هزت كتفيها وقادتني الى البيت. ذهبنا الى غرفة المعيشة حيث كانت الارائك والكراسي مرتبة حول الموقد. كانت هنالك فتيات، جميعهن في عمر تينا محتشدات معاً، كل عشرة على اريكة وكل اربعة على كرسي. اخلين لي مكاناً صغيراً وبدون انتباه، دون النظر الي اذ كن يصغين بتركيز الى فتاة صغيرة رقيقة ذات شعر قصير ممشط الى الخلف ووجه يرتجف طوال الوقت بتقلصات وتشنجات، كانت تقف وظهرها الى الموقد وتتحدث بصوت بطيء مشدود. بدأت انا بالأصغاء اليها ايضاً، في البداية من اجل التظاهر ومن ثم بانتباه مندهش وكاره. لقد تصورت انهن يجتمعن معاً لكي يحصلن على نوع من المتعة، ولكني اكتشفتُ من جهة اخرى، انهن كن جادات تماماً. لم تكن الفتاة تقول

اشياء صحيحة فحسب. كانت تلك الأمور التي افكر فيها منذ زمن طويل، وهكذا، في النهاية، قلَّ الفرق بيني وبين اولئك الفتيات، بشكل اساسي الى ما يلي: انا افكر بأشياء معينة مع نفسي دون ان اذكرها لاي شخص، في حين وجدن انفسهن يفكرن بتلك الامور معاً وقد التقين لمناقشتها. تلت الفتاة الصغيرة اثنتان او ثلاث اخريات.

ولكنني لم اكن اصغ لهن لأني شعرت بالرغبة في الحديث. كانت رغبة متسلطة مجنونة متشابهة في نوعيتها التي لا تقاوم الى تلك الرغبة التي تجبرني، على الرغم من نفسي، لكي اظهر سيقاني وصدري.

وفجأة لم استطع المقاومة لفترة اطول، نهضت على قدمي، مستغلة لحظة عدم انشغال المكان الذي امام الموقد فأستغليت الفرصة وذهبت ووقفت هناك في مواجهة الغرفة. وبصوت متكسر بالعاطفة شرحت اني ام تينا واني اريد ان اشرح وجهة نظري ايضاً. لم اسمع همهمة واحدة. توهمت ان الصمت دليل الاصغاء، وعندما بدأت تصورت ان ليس لدي الكثير لاقوله، وبدلا من ذلك حدث كما لو اني فتحت صنبوراً، بدأت الكلمات تسيل مني بطريقة ليست مندفعة فحسب، بل مرتبة وواضحة ومقنعة. ان حقيقة الامر، وبدون ان اعرف، هو اني كنت انتظر الفرصة الملائمة لاظهار افكاري. ولقد جاءت الفرصة ولقد شرحت نفسي بلباقة وقوة ودقة. كنت مسرورة جداً لأن اتحدث وان يصغي الي، وبينما كنت اتحدث، فكرت اني ربما وجدت في النهاية الطريق الصحيح، من هنا فصاعداً سوف اكرس نفسي لقضية تحرير المرأة، وربما حتى اصبح احدى ممثلاتها البارزات في اعين الناس، إن معظم الأفكار الأصلية قد تحدث بالصدفة، كما هو الأمر في هذه الحالة، ولكن هذه التخمينات منعتني من ملاحظة انهم كانوا يصغون الي بصمت ثلجي. وعندها وفجأة، عندما توقفت لاخذ نفس، علق صوت عالٍ « ما هذا الهراء! »

اجبت بعنف « هذه افكاري وان لي الحق في أن أشرحها ».

ــ « لا حق لاحد بأن يقول هراء! »

ــ « انك انت التي تقولين هراء ».

وقد بدأن الان باضطهادي « اخرسي، اصمتي، اذهبي، اخرجي! » نظرت الى تينا، كانت جالسة ورأسها منحني الى الأسفل متظاهرة بتسجيل الملاحظات، وفجأة اصبحت هادئة وقلت « لقد ميزت بأن ما يهمكن هي ليست الأفكار ولكن العمر، نحن نعود الى جيلين مختلفين. هذا كل شيء كان المفروض ان افكر بالأمر. انا ذاهبة ».

ما ان اصبحنا في الخارج شعرت مرة أخرى بنفسي الأصيلة، امرأة محاطة بحياة عائلية، تجتر افكارها لوحدها دون وجود شخص ما تستطيع ان تفضي بها اليه. ركبت في السيارة وأدرت المحرك.

كانت لا تزال تمطر بشدة ولكن اقل عنفاً، واشعة شمس من مكان ما او أن هنالك ضوء اخر يضيء المطر ويظهره وهو يسقط مائلاً، سقت بسرعة متوسطة في الممر ومن ثم وصلت البوابة، وبطريق الخطأ ضغطت قدمي على المعجل بدلاً من الفرامل. ولرعبي قفزت السيارة الى الامام وخرجت عن سيطرتي فضربت جانب السيارة التي كانت تمر في الطريق في تلك اللحظة

توفر لدي وقت لرؤية السائق الذي كان شاباً ذا شعر طويل بني فاتح، وذا تقاطيع رقيقة، ولتفسير العلاقة العاطفية غير المقابلة للاصلاح والتي يمكن ان تنشأ هنا وهناك في المطر من جزاء هذا الحادث اني اعترف بها خجولة ـــ فقد توفر لدي الوقت لكي اتذكر ملاحظة ابنتي المتهكمة حول الغناء تحت المطر، وتخيلت اني اود ان افعل ذلك مع هذا الشاب، عندها باحساس موزع جيدا ومسرور خرجت من السيارة واصبحت في مواجهة الرجل « غبية » صرخ بي.

« انك انت الغبي! »

وهكذا بدأنا الشجار والمطر يسقط فوقنا دافئاً وثقيلاً كما لو انه يسقط من حوض مثقب. كانت بلوزتي قد تشبعت بالماء والتصقت بصدري، ولكن هذا العري، الواضح بشكل شفاف، لم يكن له ادنى تأثير عليه. بالرغم من وجهه الوسيم كان مجرد رجل من الطبقة الوسطى، غاضب بشكل عاصف بسبب

انبعاج سيارته الخاصة. ليس هناك مشي او غناء معا، نحن بعيدان عن ذلك تماما!
وفجأة صرخت به:
اصمت يجب ان تخجل من نفسك. الا ترى اننا نتشاجر تحت المطر؟
فتح عينيه بارتباك « وما علاقة هذا بالامر »
« في الحقيقة ليس له علاقة بالامر والان اخرج من البوابة هناك سوف اعطيك كل المعلومات المطلوبة. ان سيارتي مؤمنة بالطبع! »

شهر العسل

يا لها من فكرة عظيمة، شهر عسل! وفوق ذلك في الهند. ارض المهراجات والنمور والبهارات. بعد احتفال الزفاف، ولان الطائرة لا تغادر حتى المساء. ذهبنا انا وزوجي الى الشقة التي حصلنا عليها لتونا في (فيا فلامينا) واستقرينا هناك منتظرين في غرفة النوم. الغرفة الوحيدة المؤثثة

كان زوجي عجولاً وأراد أن يمارس الحب ولكني رددته بعنف وباستمرار، بعدها قفلت على نفسي باب الحمام وعندها طرق الباب واخبرني أنه يحبني، أجبته من خلال ثقب المفتاح وبصوت هستيري « في الهند! في الهند! سنمارس الحب! في الهند » قرع الباب مرات ومرات، ثم صرح بأنه سوف يخرج ليشم بعض الهواء وسوف يعود عندما يحين وقت المغادرة بعد حوالي خمس ساعات.

بعد ذهابه انتظرت حوالي عشر دقائق ومن ثم خرجت من غرفة الحمام أخذت حقيبة سفري وغادرت الشقة ونزلت بالمصعد الى الكراج في الدور التحتاني، وضعت الحقيبة في السيارة وسقت. كنت لا اعرف الى اين اذهب، فكرت وأنا اسوق خلال الشوارع المزدحمة أن اذهب الى (فريين) لزيارة بعض الاصدقاء هناك ولكن بعد وصولي الى الشارع (فيا اوريليا) رأيت لافتة خضراء (مطار ليونارد دافنشي) عندها قلت لنفسي (سوف اذهب الى المطار واصعد في اول طائرة متجهة الى الهند) بدا لي انه من الصحيح جداً أن اغادر الى الهند سوف اذهب الى هناك لاني لم ارد الذهاب الى هناك نعم هذه الطريقة التي يجب أن يتبعها المرء ان على المرء ان يفعل الأشياء لأن المرء لا يريد ان يفعلها.

وصلت الى المطار نظرت الى جدول المغادرة المضيء ورأيت ان هنالك طائرة امريكية مغادرة الى الهند خلال عشرين دقيقة ذهبت الى الحاجز واخرجت بطاقتي وجواز سفري ومن ثم اسرعت خلال الممرات ووصلت في الوقت المناسب لكي احشر نفسي بين المسافرين الذين كانوا يصطفون بهدوء خلال البوابة رقم (٦) بعد نصف ساعة كانت الطائرة تطير فوق الغيوم بايقاعها الواطىء المنتظم الذي يشبه التنفس الهادىء عندها اخرجت قنينة حبوب منومة صغيرة من حقيبتي وابتلعت ثلاث حبات كبيرة. وفي الحال تقريباً استغرقت في النوم.

نمت ونمت ونمت، ربما أثناء نومي خرجت من الطائرة في أثينا وفي أنقرة. ربما تغديت أو تعشيت، ربما دخنت بعض السكائر او حتى تحدثت الى جاري الذي كان هنديا صغيراً اسود ممتلىء الجسم. ولكن بسبب تلك الحبوب القوية فقد بدا ذلك اقرب الى الحلم منه الى الحقيقة. وهكذا في النهاية تولد عندي انطباع. بأني كنت نائمة على الدوام حالمة كل وقت السفر.

في النهاية وفجأة استيقظت تماما.. كانت الطائرة ممتلئة بضوء الفجر المبكر المتألق الشديد. اخذت علبة مسحوق الوجه من حقيبتي اليدوية ونظرت الى نفسي في المرآة كنت استطيع رؤية علامات الهستريا والخوف والعدوانية في عيوني الزرق المحرقة وفي فمي المزدري الصغير ذكرتني اليد التي كانت تمسك علبة المسحوق وخاتم الخطوبة في اصبعها بأني متزوجة منذ بضع ساعات وأن ذلك الزواج لم يتم.

رتبت نفسي قدر استطاعتي ومن ثم نظرت من الشباك في الأسفل كنت استطيع رؤية بحيرة كبيرة ذات لون ازرق عامق سوداء اللون تقريباً محاطة بجبال جرداء واضحة لاحظت ان سواحل البحيرة بدأت مهجورة اوقفت واحدة من المضيفات وسألتها عن اسم البحيرة أجابتني مبتسمة أنها لا تعرف ثم اخرجت وهي مبتسمة خارطة طيراننا من جيب المقعد وأخبرتني وهي لا تزال مبتسمة، بعد فحص طويل (انها بحيرة فان) شكرتها، استدرت في مقعدي ونمت مرة ثانيه.

ومرة اخرى نمت وفي نومي خرجت من الطائرة في طهران وفي بومبي وفي

نيودلهي، واكلت وجبة اخرى حتى تحدثت مع جاري الهندي وسألته عن عنوان فندق جيد في كلكتا، لأن الحجز قد قام به زوجي ولا اعرف اسم الفندق الذي سوف يقيم به. بدأت الطائرة بالنزول بحركات الطفو والوثب ثم هبطت وكنت لا أزال نائمة طوال الوقت. عملت كل الأشياء الاعتيادية خرجت من الطائرة عبرت الطرق المزفتة، مشيت خلال الممرات الطويلة حاملة حقيبتي خلف طابور طويل من المسافرين، كان كل شيء مثل اوربا، ما عدا الحرارة، حرارة فرن متوهج، والرائحة نتانة حلوة لاذعة، مزيج من التعفن والطبخ. ذهبت الى الساحة المفتوحة امام بناية المسافرين وظننت للحظة بأني مطلوبة لجريمة ارتكبتها وأن هنالك عدد كبير من الناس يعرفونني وهم ينتظرون وصولي. كان عدد كبير من الناس السود جداً بلفافاتهم التي تشبه الملاءات البيضاء التي تمر بين ارجلهم النحيفة ومن ثم ترجع فوق اكتافهم يتدافعون نحوي يركضون ويتشاجرون يحاولون حمل حقيبتي ويحثونني أن أسير باتجاه صف سيارات الأجرة. شاهدت بعض الأشجار الخضراء الكبيرة ذات ازهار حمراء وسوداء وبعدئذ، وفي لحظة صعودي الى سيارة الأجرة، لاحظت ان الزهور السوداء لم تكن زهوراً بل غرباناً استرخيت على مقعد السيارة بينما كان هنالك نصف دزينة من الأيدي الغامقة تمتد متشنجة باتجاهي من شباك السيارة. اعطيت اسم الفندق الذي ذكره لي جاري الهندي في الطائرة. وتحركت سيارة الأجرة.

في كلكتا على ما يبدو كان هنالك فندقان يحملان الاسم نفسه، او أن الهندي في الطائرة، لسبب يعود اليه اراد أن يلعب معي لعبة ذات طعم مشكوك. الحقيقة الباقية هي ان سيارة الأجرة استدارت في الحال تقريبا الى منطقة شعبية بشكل واضح. شارع يتلوه شارع، وفي الضوء الساطع المغبر كنت استطيع رؤية صفوف وصفوف من البيوت التي كانت تستند الواحد على الآخر لأنقاذها من السقوط، بيوت تنتيء الى الأمام، واخرى هابطة منتفخة تنوء تحت ثقل شرفات معقوفة حشد اسود وابيض ــ بياض الملاءات واسوداد الوجوه، اذرع وارجل تتدافع بحمى على تلك الشوارع، نادراً ما تعطي السائق فسحة للمرور.

في النهاية وصلنا الى الفندق، بيت متداع بائس، منتفخ ينوء بشرفته مثل بقية البيوت. ذهبت الى المدخل في الظلمة تقريبا، وعلى طول الجدران كنت ارى

الملابس البيضاء وبياض العديد من العيون، اما الباقي فقد كان مغمورا بالغموض. اخرجت جواز سفري عند منصدة الاستقبال ومن لوحة خشبية أخذت يد غامقة مفتاحا حديديا كتب عليه رقم بالقلم الحبر، ومن ثم تبعت فتى حمل حقيبتي على سلم حشبي متداع كان يصدر صريرا.

ما أن اصبحت في غرفة النوم، حتى بدأت النظر من حولي، كان الفراش موضوعا بطريقة غريبة في منتصف الغرفة، مغطى بشكل كامل بناموسية بيضاء مهلهلة. كانت بالأثاث غامقة، وظهر انها من خشب الماهوكاني ومن الطراز الانكليزي. كانت الجدران مصبوغة بلون براق شاحب رصاصي الى رمادي متقشر هنا وهناك. ذهبت الى الشباك وتفرجت. رأيت زقاقاً ضيقاً جداً على جانبية صف من البيوت تشابه الفُندق، معقوفة ومنتفخة وعلى الجانب الآخر، كان هناك جدار من الطابوق الأحمر ظهرت فوقه سطوح حديدية مسننة لسقائف بضاعة صناعية. كان الزقاق مهجورا ما عدا رجلاً واحداً كان يمشي ببطء يسند نفسه بيده على الحدار، كان ذو جلد غامق جداً يرتدي قطعة تمر بين رجليه وترجع فوق كتفيه، تاركة ذراعيه وارجله عارية وقف الرجل قبالتي تماماً وبعد لحظة تفكير، ترك نفسه تهبط تدريجياً الى الارض. مد يده، نظف حصى الرصيف براحته ثم اضطجع وجهه مقابل الجدار كما لو انه يريد النوم، بقي بدون حركة وربما كان نائماً اساساً. ثم ذهبت أنا كذلك الى الفراش، فتحت الناموسية واضطجعت على اغطية الفراش ونمت أنا كذلك.

استيقظت اربع مرات وفي المرات الأربعة كلها دهبت الى الشباك ونظرت الى الرحل النائم. في المرة الأولى كان لا يزال في مكانه لم يتحرك، مستلقيا على جانبه ووجهه باتحاه الحدار. في المرة الثانية استدار على جانبه الثاني ووحه باتجاه حافة الرصيف. أما في المرّة التالثة فكان مستلقياً على ظهره متمدداً وذراعه مطوبة خلف رقبته. في هده المرة لاحظت انه تحت الرصيف مباشرة كانت هنالك ساقية من الماء القذر، مجرى مفتوح ربما. ولكن في المرة الرابعة استيقظت وذهبت لكي انظر، كان الرجل مستلقياً على ظهره ورأسه مدفوع الى الخلف. كان بياض عبنيه يبدو وكأنه ينظر الي، ولكن بطريقة مختلفة من بياض العيون في قاعة الفندق. اذ كان الأخير حياً اما الأول فكان خالياً من

اي انطباع، ابيض مجرد. كانت يده ممتدة ما وراء حافة الرصيف وكان الماء القذر يجري بين اصابعه النحيفة الجافة. راقبت الرجل لفترة طويلة، ثم جاء بعدئذ كلب نحيف الى درجة مخيفة، اشعث الشكل ذو لون اصفر متسخ، شم الرجل الميت ثم رفع رجله وبال على وجهه ثم ذهب بعيداً. لم يتحرك الرجل، تصورت منطقياً ان الرجل اما ان يكون فاقداً الوعي او انه كان ميتاً. الاحتمال الثالث ان يكون سكراناً وهو امر غير محتمل لأنهم اخبروني بأن الهنود لا يشربون.

بدون التفكير في الموضوع كثيراً اغلقت حقيبتي ونزلت الى الطابق الأرضي، دفعت حسابي وطلبت سيارة اجرة وبعد اقل من ساعة كنت في المطار مرة اخرى. غادرت الطائرة المسافرة الى روما في الحال. وما ان اصبحنا فوق الغيوم حتى اغلقت عيوني وفكرت في زوجي. انه في هذا الوقت يبحث عني بالتأكيد مع اصدقائه وأقاربه، ثم دخلت ذهني فكرة براقة، لقد انهيت شهر العسل، على أي حال، لقد كان الأمر صحيحاً، لقد انهيته بمفردي، هل يشترط ان يكون الاثنان معاً؟ متأكدة، ابتلعت ثلاث حبات منومة واستغرقت في النوم في الحال.

نمت ونمت ونمت. نائمة خرجت من الطائرة في نيودلهي وكراجي وفي طهران. تغديت، وتحدثت مع جاري الذي كان هندياً طويلاً جداً نحيفاً جداً وغامق اللون. ثم انتهى نومي. فتحت. كان هنالك ضوء ساطع. نظرت من الشباك فرأيت في الأسفل بحيرة عظيمة ذات لون ازرق ازرق غامق، استدعيت المضيفة وسألتها عن اسم البحيرة مبتسمة قالت انها لا تعرف. مبتسمة اخرجت خارطة طيراننا من جيب المقعد، ولا زالت مبتسمة اعلنت، بعد فحص دقيق « انها بحيرة فان ».

معدني

بصفتي سكرتيرة لمدير شركة تجارية هامة (بالمناسبة، أن اهميتها ظاهرة في المكتب الفاخر، والأرض المفروشة، والأرائك والكراسي ذات المساند المصنوعة من الجلد الحقيقي، واللوحات الأصلية على الجدران والزهريات المملوءة بزهور حقيقية الح). وأنا اعرف تماماً لمن يعود الفضل للموقع الذي احتله الآن، ليس الى معرفتي باللغات (الانكليزية والفرنسية) ولثقافتي (درجة في الأدب مع اطروحة عن لورينزو العظيم) او الى اخلاقي الممتازة جداً (درست في كلية مشهورة للفتيات المنحدرات من عوائل طيبة) ولكن الى حقيقة ... أن ـــ ودعوني اقول ذلك بصراحة، أنّي في نفس اليوم الذي قدمت فيه نفسي الى المدير، ذهبت الى الفراش معه.

إن هذا مع ذلك لا يعني أني وفوق كل شيء لا أشعر أني سكرتيرته فقط، والأكثر من ذلك كيف حدث ذلك؟ لكي اقول... الحقيقة، هو أني ولست هو الذي طلب مني ذلك. عندما وقفت امام مكتبه.

بعد اخباره بقدراتي، انتهيت الى القول وبدون ابتسام « وفي النهاية فان لي مظهراً جذاباً، كما تستطيع أن ترى بنفسك »، فاكتفى هو بالأشارة بتهكم ربما الى أنه قد تملكتني « روح شريرة » وأنا الذي فسرت هده الملاحظة الغامضة على أنها دعوة لعلاقة لا تكون بيرقراطية محردة وأنا انظر اليه بثبات وبصمت، رفعت يدي الطويلة الجميلة الرشيقة الى صدري وبدأت احرر الزر الوحيد في بلورتي المنتفخة من نقبة. ولكن لماذا فعلت هذا؟ هذه هي النقطة. لقد فعلت

هذا لأني لا اثق بمعرفتي للغات أو شهاداتي الجامعية أو تربيتي الجيدة، وأنا اعرف وبشكل مؤكد، وعندما يقال ويفعل كل شيء، فاني لن اتمكن من الفوز من بين منافساتي ــ فانهن كذلك يعرفن اللغتين، وذوات شهادات جامعية وتربية جيدة الا بهذه الطريقة المتميزة.

ان احدهم قد يرفع الاعتراض التالي كيف تعتبرين نفسك مجرد سكرتيرته لا أكثر ولا اقل في حين أنك خليلته أيضاً؟ واجيب على مثل هذا الاعتراض بهدوء تام، أني اعتبر نفسي سكرتيرته فقط لأني بالضبط خليلته كذلك، أو لأني خليلته بطريقة معينة. وهذا يكون على الشكل التالي: أن ممارسة الحب بيني وبين مديري لا يمكن تمييزها بأية طريقة عن اعمال الدائرة الأخرى. اذ أنه يملي علي اتفاقية، ثم يسألني أن امارس الحب معه وفي الحال بعدئذ، وكما لو أن شيئاً لم يحدث اعود مرة اخرى الى مكتبتي اطبع وهو يمشي في الغرفة يملي علي. وهذا ليس كل شيء، في المكان الأول اثناء وبعد ممارسة الحب، لا نتوقف مطلقاً أن نسمي بعضنا بالصفة الرسمية، وهذا ليس كل شيء تماماً.

اذ حتى لحظات الذروة العظمى، اسميه سيد ويسميني سيدة، نعم أن ممارسة الحب هي جزء من عملنا، أنه في الحقيقة يختفي في داخل عملنا. ان محادثي الخيالي قد يسأل بعدئذ، ولكن هل يعجبك كل هذا؟

وأنا اشرح. بالتأكيد أنا احب ذلك، لأني ارتعب من المودة الحميمة: فالحياة بالنسبة لي مهنة عمل.

وان كل شيء يجب أن يمتص ويتداخل في مهنة العمل هذه، يتحول اذا امكن قول ذلك الى احتراف!

حسن، حسن، ابي احتاج كل هذا التمهيد الطويل لكي افسر تصرفاتى في ذلك اليوم. لقد جرت الأمور على النحو التالي، كنت جالسة كعادتي امام الة الطابعة، وكان هو يمشي في الغرفة يملي علي، عندما نظر في الحال الى ساعته، واطلق سعلة صغيرة ثم دعاني للذهاب الى الغرفة الصغيرة المتصلة بغرفة الاستقبال. يجب أن تعرف بأن النظرة الى الساعة والسعلة الخفيفة والدعوة الى

غرفة الاستقبال هي ترتيبات تم الاتفاق عليها بيننا لتجنب الشكليات الدارجة مثل، اذهبي الى هناك وابدئي *بخلع ملابسك وسوف أكون معك خلال دقيقة، وهكذا وباذعان انهيت طبع الكلمة الأخيرة نهضت، رتبت مكتبي قدر الممكن ومن ثم ذهبت الى الغرفة الأخرى، ولكن لدهشتي لم يتبعني وبدلاً من ذلك وحالما دخلت الغرفة، سمعته يقفل الباب عليَّ. وهكذا كنت مرمية بشكل غير متوقع خارج طقوس العمل، في منطقة كانت تبدو الي جديدة وكريهة ونتجت من مكيدة لا يمكن تفسيرها.

للحظة وقفت هناك في دهشة ثم تبادرت الى ذهني فكرة. اخذت من المنضدة سكينة لقطع الأوراق حادة مثل خنجر، وضعتها في جيبي وذهبت الى الممر. في نهايته البعيدة وخلف صفين من الابواب المغلقة، اشتعل فجأة المصباح الأحمر الصغير معلناً وصول المصعد. توقف المصعد وفتحت الأبواب وظهر شكل امرأة منه. توفر الي الوقت لأتأملها وهي تقترب مني. كانت فتاة طويلة جيدة التكوين ترتدي معطفاً طويلاً كان ينسحب فوق سجادة الممر ولكنه كان مفتوحاً من المقدمة كما ليظهر في كل خطوة، ارجلها الرائعة حتى اربيتها تقريباً. كان شعرها يتناثر حراً على كتفيها، وكلما اقتربت اكثر ميزت وجهها، كبير، اسمر ذات عيون عذبة، وانف كبير نسبياً وفم كبير. كنت اعرف اهمية هذا الوجه غير المرتب وذلك الصدر الضخم وتلك الأرجل المعروضة بشكل جيد. وتحولت احاسيسي التي كانت عداء في البداية الى احتقار. كانت من نوع النساء الذي أنا لست منه، وقد حاولت طول حياتي أن لا أكون منه النوع الحميم الشهواني المتوهج الوظائفي.

اصبحت الآن قريبة امامي. واجهتها سائلة اياها عمن تبحث. اعطت اسم مديري بسرعة البرق، سحبتها من يدها مسلحة بسكينة الورق من جيبي ووجهتها نحو حنجرتها وفي ذات الوقت امسكت بها من ذراعها واجبرتها على الدخول في غرفة التواليت المجاورة. وما أن اصبحنا في الداحل، اقفلت الباب بسرعة، ومن ثم اتجهت اليها، اسندت ظهرها على المغسلة وكنت لا ازال أوجه السكين الى حنجرتها، سألتها مطالبة «والآن اخبريني الحقيقة، هل جئت بحثا عن وظيفة سكرتيرة؟ »

خائفة احتجت « ولكن انت ــ من انت انا لا اعرفك؟ »

ــ « اجيبي على سؤالي، واجيبي بصدق، والا سوف اقتلك، هل جئت بحثاً عن وظيفة سكرتيرة؟ »

ــ« ولكن من أنت؟ »

ــ « أنا السكرتيرة »

لا ادري لماذا ولكنها فجأة لم تعد خائفة مني. وبصوت كان متقطعا تقريباً قالت لي « لا تقلقي، لم آتِ بحثاً عن أية وظيفة ».

ــ « اذن لماذا جئت؟ »

ــ « وما علاقتك انت بالأمر؟ »

ــ « اخبريني، والاَّ... »

ــ « اتركي تلك السكينة اولاً حسن. استطيع ان اخبرك: انا واياه نحب بعضنا ».

بدأت احس بالارتياح. تحبان بعضكما بعضاً؟ ولكن هل هذا صحيح؟ كيف تعرفين أنه يحبك؟

ــ « أنه يخبرني ذلك يومياً منذ سنتين »

ــ « لسنتين؟ وكيف يخبرك ذلك؟ »

ــ « كيف يخبرني انه يحبني؟ بكل انواع الطرق بالكلمات على سبيل المثال »

ــ « أي نوع من الكلمات؟ »

ــ « على سبيل المثال « يا حبي » « يا كنزي » « يا حياتي »

ــ حتى « يا حياتي »

ــ « بالتأكيد، الم يقل لك احدهم هذه الكلمة »

ــ « لا تقلقي بشأني. وأنت متأكدة من أنه لم يقترح عليك أن تكوني سكرتيرته؟ »

ــ « المرة الاولى. لو تعرفين اي مشهد عمل لي على الهاتف! »

ــ « اذن لماذا جئت؟ »

ــ « انك تريدين أن تعرفي كل شيء، اليس كذلك؟ حسن لقد جئت لأني احتاج بعض النقود هذا هو السبب »

هدأت مخاوفي وبدأت الان اتنفس بحرية هكذا اذن انه يحبها ويسميها حبي وكنزي وحياتي ولا يريدها ان تأتي الى المكتب. لقد كان يخزنها، ليس هنالك شيء مهين في كل هذا لا شيء يدل على ممارسة الحب بالطريقة التي افهمها انا. ان هذا خال من أية علاقة حميمة متضمنة ومتداخلة بالعمل « ولماذا تحتاجين الى نقود؟ » سألتها « الا يعطيك اية نقود؟ » وبدون حجل هزت كتفها « هناك دائما حاجة للنقود للطفل اذا لم يكن لشيء اخر ».

ــ « هل لديك طفل منه؟ »

ــ « بالطبع، هل يفاجئك هذا؟ »

الآن شعرت بأني اكثر من هادئة شعرت اني سعيدة انهما لا يحبان بعضهما فحسب بل لديهما طفل ايضاً. هل هنالك شيء اكثر حميمية من الزواج؟

ــ « ان الأمر لا يفاجئني اطلاقاً، اجبتها « انه في الحقيقة يمنحني السعادة »

عندما قلت لها ذلك تركتها تذهب. سحبت نفسها وسألت:

هل يمكنني الذهاب الآن. او أن هنالك شيء آخر تودين معرفته؟ »

نظرت اليها ولم اقل شيئاً نظرت مرة اخرى الي ثم هزت كتفها وخرجت. ذهبت الى المرآة وتفرست في نفسي لفت انتباهي نوعية جمالي المعدنية، شعري الأشقر المنسحب الى الخلف مثل قبعة مصنوعة من ذهب ملفوف بعناية. في وجهي الأبيض الناعم نقشت عيني وأنفي وفمي بحده كما في خشب الأقنعة وبدا لون عيني الأزرق مثل الحجر الكريم وبياض اسناني يذكر المرء بالعاج هل هناك مزيد يمكن قوله؟ خلال وقت قصير سوف اذهب الى المكتب وتحت عذر او اخر يجب أن أفتح الشباك لابدل هواء الغرفة. لأني كنت متأكدة من تلك الفتاة قد تركت خلفها رائحتها الشعبية القوية الحادة التي كانت ماخري قد احست بها طول الوقت الذي كنت اتحدث به اليها.

خط أحمر، خط اسود

أنا امرأة تأخذ الحياة جدياً، ولكن بالرغم من غرابة الربط الا اني لا اعرف الطريق الذي يتوجب ان اسلكه، وهكذا وعندما اكون في شك، اقرر في النهاية ان اعمل دائماً عكس الأشياء التي اريد ان افعلها. قد يكون هناك روح التناقض، نعم بالتأكيد ولكنه تناقض تجاه نفسي، أو اذا شئت اتجاه الجزء الكسول الخامل السلبي من نفسي. ان هذه الفكرة الثابتة في ان اناقض نفسي سرعان ما تملكتني الى حد الهلوسة، وهل يمكن ان تكون شيئاً اخر غير الهلوسة، ذلك الخط الأحمر الذي اهتز واستطال بيني وبين خطيبي كوسيمو بينما كان يشرح لي خطته؟ والصوت الذي حثني « اقفزي عليه، هيا اقفزي ايتها البليدة؟ »

كانت خطة كوسيمو بسيطة: ان نذهب ونرمي بالقنابل اثناء مظاهرة السفارة الأمريكية.

ولكوني سائقة ماهرة، فلقد طلب مني ان اكون شريكاً بان انتظرهم بالسيارة في شارع قريب. عندما انتهى كوسيمو نظرت اليه ودهشت للتناقض بين خطته وبين مظهره الشخصي كرجل شاب من عائلة ممتازة ذو شعر قصير، وبدون لحية يرتدي بدلة رمادية وقميص أبيض وربطة عنق غامقة اللون. كان صوته ايضاً ذو لهجة رومية هشة من الطبقة العليا ولم يكن متلائماً مع القنابل شعرت بالخوف، ولذلك السبب بالذات قلت في النهاية: « حسناً أنا موافقة ». في المظاهرة انضم الى كوسيمو عضو اخر من الحركة ودهشت عندما رأيته، اذ كان العامل في محطة تعبئة البنزين الواقعة تحت بيتنا كان يدعى (تيتو) وهو

شاب وسيم اشقر الشعر، ولكنه بسيط مثل قطعة الخبز. وبدا كوسيمو متفاخراً وهو يقدمه لي ولكني بدأت بالضحك وقلت اني اعرفه جيداً.

ذهبنا الى المظاهرة ولقد تركاني في شارع هادىء تحت الجدران، وعلى بعد خطوتين من سيارة شرطة كانت تنتظر ايضاً. حملقت مسحورة بالشرطة يتحادثون ويدخنون، خمنت أنهم مثلي موجودين هناك لأمر يتعلق بالقنابل، ولكنهم موجودون لكي يمنعوا رميها؛ في حين كنت هناك لكي ارميها، وفجأة صعد الشرطة الى السيارة التي تحركت بسرعة عالية، وبعد فترة قصيرة رمى كوسيمو وتيتو انفسهم في السيارة واعلن كوسيمو بصوته ذو الطبقة العليا: « لقد قتلنا شرطياً في النهاية ».!.

لقد فعلوا ذلك فعلاً، وكما علمت في الصباح التالي من الصحف أن شرطياً قد جرح جرحاً طفيفاً أوصلت كوسيمو الى البيت ثم عدت الى بيتي. توقفت في محطة تعبئة تيتو حيث عاد الى العمل، ولكن عندما وضع تيتو مرفقه على شباك سيارتي ليعيد الي الباقي بعد ملأه سيارتي، رأيت الخط الاحمر يهتز بحيوية بيني وبينه، وسمعت الصوت يقول: الا ترين كم هو افضل من كوسيمو؟ احزمي امرك اقفزي! ومرة تانية هذه المرة احسست بالكره وخصوصاً بسبب الفرق الاجتماعي، ولاحساسي بهذا التعور قلت بصوت ناعم: (غداً الاحد. محطة التعبئة ستكون مغلقة. ماذا سوف تفعل غداً) بعدئذ رأيت الحط الأحمر مرات عديدة، كان بيني وبين والدي عندما اخبرته أني ذاهبة للعيش بمفردي، وبيني وبين كوسيمو عدما اخبرته عن تيتو، وفي النهاية كان بيني وبين زوجين اسكندنافيين شابين، ذهبت لرؤيتها بعدئذ مع تيتو. كانت رسامة بهقاء وهو كذلك كان رساماً ابهق، ولهما طفل صغير ذو شعر كتاني. كانوا يعيشون في استوديو كبير نظيف مثل المراة، وكان فارغاً كلياً تقريبا. كانت الألوان والفرش موضوعة بترتيب على رف صغير نظيفة، كما لو أنها لم تستخدم قط. وعندما اعطاني الزوج الصندوق الصغير المفتوح المحتوي على المسحوق الأبيض فيه، رأيت مرة احرى الخط الاحمر يمتد ويهتز بيني وبينه وهمس لي الصوت المعتاد « هيا كونى شجاعة، احزمي امرك » وشجعتني الزوجة وهي تغمز لي بطريقة

رائعة. كانت تلك العين الزرقاء الغامزة بطريقة لا انسانية باردة وزرقاء مثل قطعة الثلج، هي التي اخافتني. اردت أن اتغلب على مخاوفي فمددت يدي.

شر يتخلص من الآخر، المخدر خلصني من تيتو، الذي شعر في يوم من الايام أنه فائض، فذهب بعيداً، والان وبسبب المخدر، كنت اتوق طوال الوقت، أن أطير. كنت احس برغبة خارقة في أن ادهب الى الشباك، وهناك في الأسفل، في الشارع، سوف يكون حشد هائل ينظر الي، بينما اقف عارية بالكامل متأطرة بالشباك، وبعد أن استعرض نفسي كلياً، سوف اطير. في البدء ادور سبع مرات فوق الحشد، وانزلق مثل النورس فوق البحر العاصف، ثم اطير مثل سهم باتجاه الافق.

ان فكرة الطيران تحولت الى نوع من الهاجس، وهكذا ففي أحد الايام، عندما تخدرت اكثر من اللازم، قفزت من الاريكة، خلعت ملابسي وذهبت الى الشباك، ولقد صادفت في تلك الفترة أني قد حظيت بانتباه فتاة كبيرة ذات سيقان تشبه سيقان لاعب كرة القدم ووجه ملاكم، وكان اسمها (توسكا) ولقد كانت موجودة عندما خلعت ملابسي استعداداً للطيران. فركضت خلفي وامسكت بي من الكتف بقبضة حديدية، واعادتني مرة اخرى الى الأريكة، وقد حصل كل ذلك خلال لحظة واحدة. ومن ثم وعندما انحنت فوقي وبدأت تصفعني بانتظام، رأيت الخط الأحمر يتألق بيني وبينها. وقال الصوت « احزمي امرك؟ امرأة مثل توسكا افضل من المخدر »، ولكني كنت خائفة من توسكا، وكان هذا الخوف هو الذي اجبرني على أن القي بنفسي متشنجة بين ذراعيها.

ولقد استعبدتني توسكا الى نقطة اننا كنا نرتدي ملابسنا بطريقة متماثلة تماماً، نفس البلوزات، ونفس السراويل ونفس الأحذية. كانت هي طويلة وقوية في حين كنت أنا صغيرة وهشة: فكنا نظهر متل ثنائي كوميدي. ولقد استعبدتني حقاً ولكنها لم تتمكن من هزيمتي، أنني حقاً كنت ماسوشية ولكن كانت هنالك حدود لكل شيء، وفي كل مرة كنت أحاول أن أوكد استقلاليتي، كانت توسكا تعيد وبوحشية بليدة المشهد الذي ابتدأت به علاقتنا، فكانت تبدأ بصفعي وأنا ارمي بذراعي حول رقبتها. ان توسكا باختصار لم تتبدل وبسبب هذا الغباء من

جانبها، فما أن ظهر تيتو عامل محطة التعبئة مرة أخرى حتى وافقت في الحال على الذهاب معه.

ان تيتو لم يعد ذلك الشاب البسيط الذي كنت اعرفه قبل سنتين، أو في الحقيقة انه بقي بسيطاً ولكن بساطته اصبحت الان من النوع الأجرامي، ولقد كانت فكرته متل وقت القنابل، يجب أن انتظر في سيارة يدور محركها بينما يقوم نفسه بمعية صديق له رجل يسمى (ترباني) بسلب دكان جواهري. أن الخط الأحمر لم يحدث أن أهتز بهذا التألق بيني وبين الشيء الذي اريد فعله مثل هذه المرة. كان الصوت المعتاد يقول لي « اقفزي! احزمي امرك لقد فعلتيها من قبل فلماذا لا تفعليها مرة اخرى؟ » كنت خائفة حد الرعب اذ لو لم اكن خائفة لرفضت، وبدلاً من ذلك اجبت بضعف « أنا موافقة ».

حدث كل شيء كما في نوع جديد من البالية في الساعة الثالثة بعد الظهر من يوم هادىء بارد، وكان هناك بضعة ناس في الشوارع. اوقفت السيارة امام باب جواهري، وخرج تيتو وترباني، ضرب تيتو واجهة الدكان برافعة السيارة، فتناثر الزجاج في قطع صغيرة غطت الأرض. مد ترباني ذراعه خلال الثقب، واختطف بعض المواد ورماها كلها في كيس بلاستيكي، ومن ثم مد ذراعه مرة اخرى، في تلك اللحظة بالذات توقف محرك السيارة الذي تركته دواراً، حاولت ان اشغل المحرك مرة اخرى ولكن بدون فائدة، كانت تدور بكسل وبهرير ضعيف، ثم نظرت فرأيت شرطيين يركضان في الشارع وهما يتجهان نحونا، وفجأة رأيت الخط بيني وبين رجال الشرطة ولكن الان وللمرة الاولى كان الخط اسود ، اخرجت رأسي من السيارة وصرخت في تيتو وترباني « اهربا السيارة لا تعمل » رأيتهما يركضان في الشارع وهما يرميان عدداً من المصوغات الذهبية على حجر الرصيف الرمادي النظيف، وهما يهربان، وعندما وصل الشرطة قرب السيارة نظرت خارج الشباك وصرخت مرة ثانية: (هل تبحثان عن اللصوص؟ لقد احتميا في تلك البوابة الكبيرة) فتابع الشرطة مطاردتهم، وفي نفس الوقت بدأ محرك السيارة بالدوران من جديد اعدت السيارة الى المكان الذي سرقناها منه ثم اخذت سيارة اجرة ورجعت الى بيت والدي بعد غياب دام لمدة سنتين.

منذ ذلك اليوم لم اعد ارى الا الخط الأسود، كان بيني وبين بيتي عندما دخلته. كان بيني وبين أمي وأبي عندما عانقتهم، كان بيني وبين كوسيمو عندما جاء ليراني، وبعد أن قال لي بأننا الاثنان عملنا أشياء يجب ان يغفرها احدنا للاخر واخبرني بحماقة بأنه قد اكتشف بأنه رجعي ومحافظ وتقليدي. لماذا لا نتزوج اذن؟ من الغريب القول اني عندما وجهت بالخط الأسود وفي نفس الوقت حثني الصوت المعتاد أن احزم امري، كان عندي نفس الاحساس بالكره الشديد الذي شعرت به عندما اخبرني كوسيمو عن القنابل ولذات السبب وافقت ان اتزوجه.

كم كاردينالاً قد حضر احتفال زفافي؟ يجب ان اقول انهم كانوا دزينة على الأقل. وقد كنت اقبل وانحني على الأيادي العجوزة المرتدية الخواتم طوال الوقت. قبعات حمراء تطفو بين رؤوس الضيوف العديدة مثل الزهور العديدة في المستنقعات الاستوائية، وكان كوسيمو يتجول مخبرا كل شخص بأنه اكتشف نفسه بأنه رجعي ومحافظ وتقليدي، وكنت أنا طوال الوقت اقفز فوق الخطوط السوداء التي كانت جميعها بغيضة بالنسبة لي، ولذلك السبب بالضبط كنت اقفز فوقها. نحن الآن متزوجان ولدينا طفلان. كوسيمو لا يعمل انه يدير املاكه وأنا ادير املاكي، وهو ينام! اوه كيف ينام ذلك الرجل! ثماني ساعات على الأقل في الليل، ومن ثم قيلولة لمدة ساعتين او حتى ثلاث ساعات اثناء النهار. في بعض الأحيان كنت ارفع رأسي على مرفقي وانظر اليه حينما يكون نائماً، وهل تصدق الأمر؟ الخط الاحمر، خط التمرد الأحمر القديم عاد مرة اخرى يمتد ويهتز بيني وبينه. ان لم يكن الأمر كذلك فانا لا أعرف كيف افسره. وكان الصوت يقول لي احزمي امرك ولكنه لم يخبرني كيف افعل الأمر. ماذا أفعل؟ هل اخذ شمعدانا واضربه على رأسه؟ او ربما ببساطة اكتر اتسلل على رؤوس اصابعي ولن أعود مطلقاً؟ او مرة أخرى ايقظه بيأس صرخة حادة ثاقبة، صرخة جديتي والتزامي المستمر اللذان يخانان دائما؟ والأكثر من ذلك لماذا يجب ان تكون حياتي كلها سلسلة من الأخطاء او أنها اخطاء الأخطاء؟

الاخفاق

كان بيتي في الأصل شقة انيقة ليست بالكبيرة في حي باريولي، غرفتا نوم، غرفة معيشة، والغرف التي تسمى بغرف الخادمة، شقة مصممة لعائلة مكونة من ثلاثة افراد على الأكثر. كان والداي ينامان في غرفة وأنا في الغرفة الأخرى. اما الخادمة فكان لها مكانها الصغير الذي يشبه الخزانة. اما غرفة المعيشة، وكما يكون الأمر عند العائلات البرجوازية، كانت رمزية اكثر منها اي شيء آخر، لأنها لا تستخدم لاي غرض اطلاقاً ولا حتى لتناول الطعام لأننا نأكل في المطبخ.

ثم ماتت جدتي بعدئذ فأخذنا جدي للعيش معنا في البيت، وكان مثل والدي، موظف حكومي ولكنه متقاعد الأن. ولقد اسكناه معنا لأنه كان عاجزاً ولأن راتبه التقاعدي لم يكن كافٍ لدفع اجور ممرض.

طردت امي الخادمة واعتمدت على المساعدة اليومية فأنتقلت الى خزانة الخادمة، في حين احتل جدي غرفتي ولقد قتل احد عمات امي، وكان يعمل مديراً لمدرسة ثانوية في حادثة سيارة ولقد ترك عمتي لوحدها مع ابنتها التي تبلغ نفس عمري وليس لديهما الا القليل من النقود، ولقد توصلت عمتي الى اتفاق مع والدي ان تأتي وتعيش معنا تغير آخر. تحول حدي الى الخزانة. واحتلت عمتي وابنتها الغرفة التي كانت تعود الي في السابق ومن ثم احتلها جدي، وهكذا انتهيت على اريكة في غرفه المعيشة.

ولكن سرعان ما نزل علينا قادمين من ليبيا حيث كانا قد استقرا لعدة سنين، اخ لوالدي وزوجته وكلاهما صيدلي وفي الفترة قبل ان يستطيعا فتح صيدليتهما، قررنا استضافتهما كذلك لأنهما كانا لاجئين وبدون اية موارد مالية. هزة ارضية اخرى. نام والدي واخاه في نفس الغرفة وسكنا انا وأمي وزوجة عمي في غرفة المعيشة.

وهكذا اصبحنا ثمانية في تلك الشقة المخصصة لثلاثة اشخاص. في الليل تتحول الشقة الى مهجع، اما في النهار فان هنالك ازعاج الانتظار في باب الحمام، وفي الصباح، في المطبخ، اثناء الوجبات ليس هنالك مجال للاستدارة ولكي يحلو مشكلة المعيشة معاً، فان اقاربي قرروا اهمال المسألة، فلقد تظاهروا امام انفسهم وأمام الآخرين بأن كل شيء اعتيادي وفقاً لمعايير الطبقة الوسطى المهذبة التي يعودون اليها. كانوا اناساً طيبين مستقيمين مهذبين محترمين مضافا الى ذلك تفاهة الكليشات الجاهزة والمألوفة التي يذكرونها اثناء محادثاتهم. وبين فينة واخرى كنت هنالك حصرة او اثنتان ولكن من النادر ملاحظتها. اما بالنسبة لي فان الحياة اصبحت مزعجة الى نقطة الجنون.

ان الشعور بعدم الأحتمال لا يمكن تفسيره بعدم الراحة فقط، فانا الحقيقة شخصية صعبة، وأن صفاتي الرديئة واضحة حتى في مظهري البدني، فوجهي قبيح في الغالب وهو اقرب الى وجه صبي بل قاطع طريق، وعيوني خضراء صغيرة تلمع خلال دخان السيكارة التي امسكها دوماً بين شفاهي الغليظة، وانفي ذو مناخر معقوفة كما لو اني في قرف لا ينتهي وشعري سميك اسود ولامع ينمو بين حاجبي مما يعطيني جبهة عنيدة واطئة. وانا خجولة، متحفظة حساسة وصامتة. ولكني كذلك اثار بغباء وبجنون. انتظر بصبر، اضبط نفسي لفترة طويلة واراكم غضبي ببطء ومن ثم وعند اقل فرصة، اشتعل، ثم اندم على ذلك واخبر نفسي بأنه كان من الأفضل ان اكون صبورة وأن لا انفجر ولكن الأمر يكون متأخر عندئذ.

هذا ما حدث في بيتي، فأنا من الأساس لم اكن مغرمة جداً بوالديَّ بسبب مظهرهما العيد المفلس الدال على الطبقة الوسطى، ولكن على اي حال انهما

والدي، فلقد كانا موجودين وعليَّ ان التصق بهما، ولكن الآن يتوجب علي ان احتمل خمسة اشخاص اخرين من نفس النوع المحافظ الذي يسبب ازعاجاً لا يطاق، ومن العريب القول، بأن ازعاجهم لا يهمني طالما يضعون ذلك في كلمات لان بامكاني ان افصل نفسي وأن لا أصغي اليهم، لكن لسوء الحظ لا يمكن أن انجح في عدم النظر اليهم او مراقبتهم اذ ان انتباهي يتركز على حركاتهم ونظراتهم وعلى ابتساماتهم وتصرفاتهم على ملابسهم وعاداتهم. وانا اغلي في كره صامتة، كنت احملق مأخوذة بربطة عنق او في ملعقة ترفع الى الفم بطريقة معينة او الى تسريحة من نوع معين.

جرى الجادث البسيط الذي فجر غضبي ذات صباح عندما كنت كالعادة انتظر ان يفرغ الحمام، وفي داخله كانت ابنة عمتي ليليانا، وهي بلهاء كانت تقضي النهار كله تصبغ اظافرها، او تجرب الملابس او تلصق رموشاً كاذبة على عيونها فتحت الباب وكانت تقضي مدة لا تنتهي امام المرآة مهملة اياي، وقد تم تبادل بعض الكلمات بيننا ومن ثم انفجرت، قفزت فوقها، امسكت بها من شعرها تصارعنا معا ومن ثم نجحت في دفع رأسها الى حوض المرافق الصحية وضغطت مقبض الحوض الى الأسفل، كانت لا تزال تصرخ عندما قمت بوضع اشياء قليلة في حقيبة صغيرة.

خرجت من الشقة بسرعة مصممة ان لا أعود اليها مطلقا. كنت اعرف الى اين اذهب، فلقد كنت افكر في الموضوع منذ مدة وربما السبب كنت قد انفجرت، كنت ذاهبة الى بيت كارمن لهذا وهي صديقة غنية لي، قامت منذ فترة من الزمن، بتنظيم نوعا من الجماعة المشتركة في شقة كبيرة في حي قديم في روما، وكانت ترحب بالناس من امثالي الذين هربوا من عوائلهم من غير القادرين على تحمل حياة الطبقة المتوسطة. كانت الشقة واقعة في فيامونسيراتو. في الطابق العلوي من بيت قديم متداع كانت كارمن قد ورثته، وكان قبل ذلك ادارة لأمير من أهل روما. كان للبيت مدخل مظلم، وسلم منتن ذو منبسطات رطبة. وفي الداخل كانت هنالك سلسلة من الغرف، غرف صغيرة وغرف كبيرة ذات عوارض خشبية في السقوف، وجدران ذات بقع باهتة اللون استندت عليها قطع من الأثاث منذ نصف قرن، وقرميد يمكن ان يتهشم تحت قدمي من يمشي

عليه. ليس هنالك مطبخ ولا حمام او مرشة الاغتسال بل مرافق صحية واحدة. ان كارمن التي تعاني من مركب النقص الذي يعاني منه بعضْ الأغنياء الذين يريدون المعيشة عيشة الفقراء نادراً ما كانت تنظف الشقة، بل كانت ترفع اسوء انواع الأوساخ فقط، وباستثناء بعض اسرة المخيمات وكراسي القش وبعض المواقد، فانها لم تقم بتأثيث الشقة.

انها ايضا هربت من اهلها بالرغم من انها لم تعان من مشكلة الازدحام ولقد قررت كما اخبرتني باستمرار انها لن تسقط مرة اخرى في المجتمع (الاستهلاكي). كانت كارمن من النوع الغريب، عندما افكر فيها الآن! بالنسبة لي، يمكن قراءة التمرد في وجهي، اما هي، من جهة اخرى، فكانت هادئة، رصينة، متراخية، مدورة وممتلئة ــ لا أحد يمكن ان يعتبرها متمردة. ومع ذلك، فها هي تجثم على الأريكة الرثة، مرتدية الأسمال في احد اركان الغرفة الكبيرة القذرة منسجمة بالاصغاء طوال النهار الى اسطواناتها المفضلة.

وهكذا بدأت العيش في كومونه كارمن من كان هناك غيري؟ كان هناك زوج من الغرباء من الشمال ومعهم اطفال يبحثون عن اشراق بخس، وهناك ايضا فتيان وفتيات من بلدنا هربوا من مقاطعاتهم، وكان هنالك اثنان او ثلاثة زنوج لا يدل مظهرهم انهم قد عاشوا في الولايات المتحدة، وهناك ايضا بعض الثوار من امريكا الجنوبية ويونانيين واسبان. وكان هؤلاء الناس ينامون على اسرة المخيم ويأكلون وجباتهم في مطاعم الوجبات الخفيفة او مطاعم المسافرين، يلتقون معا في احدى الغرف الكبيرة هنا وهناك ليصغوا الى الموسيقى او يتناقشوا او يدخنوا بصمت.

نمت في نفس الغرفة التي تنام فيها كارمن وثلاثة شباب اخرون والذين لا يبقون انفسهم دائماً، بل يتغيرون كل اسبوعين او ثلاثة. وحول كارمن التي كانت شعبية جداً ومحبوبة يلتف العديد من الناس، اما أنا، من جهة أخرى، فبسبب وجهي العابس وخجلي فلم أكن اسمح او ابحث عن اي من المحتالين. ففي اغلب الوقت ابقى على فراش المخيم اقرأ وادخن، او اجلس على المنضدة الصغيرة اخربش في اطروحة ادبية حولت الي من قبل طالب كسول.

في الحقيقة لم تعجبني الحياة في الكومونة، فلم اشعر بالميل لمرافقيَّ في فراش المخيم، بل ان بعضا من صفاتهم بدأت تزعجني حدّ النخاع. على سبيل المثال، وساختهم. فانا انسانة صعبة الارضاء، ولكن يجب الاعتراف بأن العديد منهم مصحوبين برائحة قوية جداً، الى درجة اني غالبا ما احتاج الى فتح الشباك وتبديل هواء الغرف. والمثال الثاني هي الالفة. فلقد تقرر بشكل مطلق، ان نكون الفين مع بعضنا وأن نكون اصدقاء مدى الحياة، خلال المر والحلو. ولكن يمكن انهاء ذلك من البداية وبأسرع ما يمكن وذلك من خلال بعض الشكليات التي لا تتعدى الاثنين او الثلاثة: فأنا اخاطبك بطريقة غير رسمية وأنت تفعل نفس الشيء معي وأن كل ما عندك هو ملكي والعكس صحيح وانت تقبلني وانا أقبلك. ومع ذلك فان الالفة لم تحرز اي تقدم على الأطلاق وشعرت بنفسي وحيدة كما كنت من قبل، بل في الحقيقة، اسوأ من قبل، وبقوا غرباء بالنسبة لي حتى ولو زعموا انهم لم يعودوا كذلك، وكمثال نهائي على ذلك هو الاختلاط اللاشرعي. اذ يمكنني ان أرى احدة من مساوىء العيش معا في كومونة امام ناظري، فلقد كانت كارمن حاملا في شهرها السادس ولكن غير معروف ممن، ربما حتى هي لا تعرف. وفي الحقيقة ان ذلك الاختلاط اللاشرعي هو الذي قادني الى الانفجار في النهاية.

في احدى الليالي استيقظت من النوم وبأحساس بأن احدهم كان يتسلل تحت الغطاء الى جانبي دفعته بقوة، فسقط شيء على الأرض، اشعلت الضوء كان شاب قادم لتوه من لايتوم، وهو فلاح كنت قد أخطأت بعرضي سيكارة عليه في الأمسية الماضية، وبغيظ بدأت بشتمه بصوت عال، ومن ثم فقدت صبري فقفزت عليه بينما كان لا يزال جاثيا على الأرض وهو ينظر الي بدهشة، وبدأت بلكمه وضربه، في هده الأثناء استيقظ الجميع وبدأوا بالصراخ، ولقد حاول الشاب مرعوباً من عضبي ان يهرب نهضت كارمن من السرير، امسكتني من ذراعي محاولة ايقافي، وفي ذات الوقت بدأت باعطائي موعظة، مثل: لماذا غضبت؟ وحتى لو مارست الحب معه فان الأمر ليس رهيبا الى هذا الحد، ماذا احسب نفسي.. الخ. وعند سماعي هذه النصائح المعروفة المغزى، لا اعرف ماذا سيطر علي، فلقد استدرت نحوها ودفعتها على الفراش وسقطت عليها

منفرجة الساقين على معدتها مجازفة بتسبب اذى لها، وبدأت بصفعها. ولقد قام الآخرون بانقاذها مني وكانت مندهشة الى درجة انها حتى لم ترد. ولقد استفدت من الفوضى لكي اضع حاجياتي في حقيبتي واهرب.

وجدت نفسي في الشارع ومشيت حتى التيبر، وضعت حقيبتي على الأرض واشعلت سيكارة ثم حدقت لفترة طويلة في ظلام الليل وفي النهر الجاري الذي يمكن رؤيته في الأسفل مع انعكاسات الضوء المتحركة. لم اعد افكر بأي شيء، كان من الممكن ان ارغب بالبكاء ولكني لم استطيع ذلك. وبالتدريج بدأت استعيد هروبي ذهبت لأنظر الترام الذي يذهب الى (سان جيوفاني)، اذ كنت اعرف شخصا معينا في ذلك الجوار والذي من الممكن ان يأويني اثناء الليل، وبينما كنت انتظر، قلت لنفسي، بان الاوقات الصعبة قد خلقت لناس مثلي، ذوي قلوب غضة

سعيدة

خريف رومي رائع، احمر، احمر، احمر! عندما خرجت من البيت كان الشارع الذي نعيش فيه اصفر أو احمر بالكامل. اصفر؛ الأوراق الميتة مبعثرة فوق الأسفلت الأسود، احمر، الأوراق لا تزال ملتصقة بالأشجار على خلفية من سماء زرقاء وضياء الشمس الهادىء المتلألىء يشرق على الأوراق وفجأة احسست بالسعادة. نعم لقد شعرت بالسعادة حقاً سعيدة، لأني كنت جميلة، لأني شابة، ولأني ممتلئة بالصحة، ولأني زوجة معماري معروف جداً، ومحترم جداً. كنت سعيدة بحيث أني كنت اسوق سيارتي من شارع الى اخر خارج المدينة. بدأت بالغناء فجأة، ولكني فحأة شعرت بالصمت، وبدأ قلبي بالهبوط فعلى لوحة بداية طريق ريفي قرأت « فيلا ميمرسا. مصح » ميتة اكثر من كوني حية اوقفت السيارة في الساحة المفتوحة أمام العيادة التي كانت تبدو مثل فندق اعتيادي حديث بشرفته البارزة وابوابه الزجاجية وبصفوف الشبابيك، على الطابقين. ولكن هذا المظهر الزائف هو الذي يخيفني بالضبط. كنت أفضل مستشفى عقلية حقيقية ذات قضبان على الشبابيك، وممرضات ذات ملابس بيضاء وهواء سجن.

دخلت الى الصالة، كانت تشبه صالة اعتيادية في فندق، ولكن في الزوايا وعلى الكراسي أو الأرائك، جلست مجاميع من الناس ممن لا يتحدثون الى بعضهم.

لماذا لا يتحدثون الى بعضهم؟ ذهبت الى منضدة البواب وسألت بصوت

ضعيف عن (تانيا)، وبعد مكالمة هاتفية قصيرة اخبرت بأن صديقتي تنتظرني في الغرفة رقم ١٤ في الطابق الأول. فاتجهت نحو المصعد.

كان للمكان تأثير عليَّ. ليس هناك شك في ذلك. كان له تأثير. ما ان بدأ المصعد بالارتفاع، اقتربت من المرآة وأخرجت لساني، لسان فظيع، كبير، أحمر، ومستدق الرأس. لا أعرف اني امتلكه ثم واجهت نفسي وسألت بصوت عال « من أنت؟ ». توقف المصعد، فتحت الأبواب خرجت وسرت في الممر.

وصلت الى الباب رقم ١٤، طرقته ودعاني صوت تانيا الى الدخول. دخلت الغرفة. أثاث من خشب الصاج على الطراز السويدي، الشبابيك مغلقة، المصباح بجوار الفراش كان مضاءً، تانيا نائمة على الفراش بالعرض. ولكن حالما دخلت قفزت على رجلها واسرعت تدفع المنضدة خلف الباب بدأ قلبي ينبض بسرعة أكثر « لماذا وضعت المنضدة خلف الباب؟ سألتها.

ــ « لأنه ليس هناك مفتاح. هل تفهمين؟ ليس هناك مفتاح ».

راقبتها وهي تستدير وترمي نفسها على السرير مرة اخرى. كانت سمراء لدنه ذات شكل مدور ممتلىء ووجه حنون يشبه وجه دمية، بيضوي تماماً، عيون حلوه جداً، فم رائع جداً. لم الاحظ أنها تغيرت كثيراً، باستثناء شحوبها ونظرتها الفضولية التي كانت باهتة وتعيسة في نفس الوقت، شعرت بالتأثر، وبينما جلست على السرير قلت لها « هل ما تقولينه صحيح! ليس هناك مفتاح؟ هل الأمر حقاً هكذا؟

ــ « نعم، هكذا هو الأمر ان أي امرء يستطيع الدخول »

ــ « وهل يدخلون؟ »

هزت كتفها « نعم، انهم يدخلون تحت أعذار مختلفة. ولكن لا تجبريني على قول أشياء لا أريد قولها »

ــ « اعذار؟.. اذن فهم يدخلون لـ.. أسباب اخرى »

ــ « بالطبع، كلهم جميعاً، الأطباء، الممرصون، الخدم »

ــ « وأنتِ؟ »

ـــ « ادافع عن نفسي قدر استطاعتي. البارحة رميت الهاتف على رأس خادم أراد الدخول بحجة قنينة مياه معدنية لم اطلبها مطلقاً ».

دورت عينيها بطريقة غريبة وتبعت أنا دورة عينيها بلهفة متزايدة، وبصوت واطيء سألتها:

ـــ « ولكن اخبريني: لماذا فعلت ذلك؟ »

ـــ « افعل ماذا؟ »

ـــ « لماذا تناولت الحبوب المنومة؟ »

ـــ « اوه! لأني لم أكن اريد العيش في عالم مثل هذا »

لم يكن بوسعي الاَّ تأييد كلامها. وبسرعة محمومة قلت لها « صحيح تماماً، كيف يمكن للمرء أن يعيش في عالم مثل هذا؟ »

ـــ « هذا ما أتساءله أنا أيضاً »

وفجأة، كان هنالك طرق على الباب. شحب وجه تانيا « ها هم » تمتمت « نحن مستعدون لهم »

ـــ « من هم؟ »

ـــ « زيارة الطبيب »

من خارج الباب، طالب صوت رجالي عالٍ « هل أستطيع الدخول؟ »

أجابت تانيا في الحال وبحيوية « بالطبع لا يمكنك الدخول ».

ألحّ الصوت بنعومة ولكن بحزم « انها بالطبع « لا يمكن » لأي شخص ولكن لي « يمكنك الدخول ».

وفي نفس الوقت، دارت قبضة الباب ودفعه أحدهم. قفزت تانيا على قدميها، ذهبت وأسندت نفسها على المنضدة، ولكن الشخص الذي يدفع الباب كان أقوى منها، وبالتدريج بدأ الباب ينفتح قليلاً، ومن ثم وخلال الفتحة تسلل الطبيب والممرضة الى الغرفة.

كان للطبيب مظهر رجل رياضي، قصير وبدين، ذو وجه بني ومظهر يدل

على الحيوية، شعره مقصوص على شكل فرشاة (بروس)(*)، عيون بنية غامقة، أنف قصير، وشارب اسود. كان يرتدي سترة بيضاء، ولكن كنت أتخيله جيداً بسترة من القديفة وبنطلون من الكودري، وحذاء طويل. وكلب الى جانبه وبندقية ذات انبوبين تتدلى على كتفه. كانت الممرضة شقراء الشعر نحيفة وذات وجه مثلث. وما أن رأتهم يدخلون، قامت تانيا بحركة تدل على اليأس ثم ركضت ورمت نفسها على الفراش مرة ثانية.

مد الطبيب يده القوية الصلبة المشعرة لها وهو يقول « هيا، هيا، لا تغضبي. دعينا نتصافح مثل أصدقاء حميمين ».

استسلمت تانيا وفي نفس الوقت رفعت يدها مرعوبة وببطء فقبلها الطبيب بتودد. لم استطيع ايقاف نفسي من التفكير، انه لسبب ما، لو كنت مكان تانيا، لكنت أنا الذي يقبل يد الطبيب. قدمت نفسي بصوت متأثر « أسمي الينورا. أنا صديقة تانيا. كيف حال تانيا يا دكتور؟ ».
ــ « أنها تتحسن بشكل ممتاز. اننا سوف نعيدها الى البيت قريباً. اذا اخذت حبوبها الآن، فأننا سنعيدها الى البيت قبل يوم ».

وما أن قال ذلك، اشار الى الممرضة التي تقدمت في الحال حاملة قدحاً من الماء في يد وحبة كبيرة بيضاء في اليد الأخرى. قالت تانيا مصممة « أنا لن اخذ أية حبوب »
ــ « هيا، هيا، »
ــ « لا، عندما اقول لا، اعني لا ».
« هيا، هيا ».

اشار الطبيب الى الممرضة ثم مد يده ممسكاً بأصبعين وجه تانيا من مفصلي الفكين، رأيت تانيا فضولية، ادخل الطبيب في الحال الحبة في فمها ومن ثم صب فيه قليلاً من الماء. ابتلعت تانيا وكنت استطيع رؤية حركات حنجرتها

(*) بالفرنسية في الأصل en brosse

المتشنجة وهي تزدردها، خفف الطبيب قبضته. رمت تانيا نفسها على الفراش ورأسها مدفون في الوسادة.

ربت الطبيب بحنان على رأسها ثم قال لي « صديقتك على ما يرام. ستعود الى البيت قريباً »

في اللحظة التي اغلق فيها الباب رميت نفسي على تانيا وببعض اللهفة قلت لها « عندي فكرة. قال الطبيب أنك على ما يرام. اذن لماذا تبقين هنا؟ هذه مفاتيح سيارتي. تظاهري بأنك زائرة، اتركي البيت، أركبي السيارة وأذهبي اولاً لرؤية زوجي. اخبريه اني احسست بالمرض، وأني قد طلبت من الطبيب ادخالي المستشفى، وأني حجزت غرفة مسبقاً وأنه يجب أن يأتي ليراني، دعينا نقول، خلال اربعة أو خمسة ايام. اما بالنسبة لك اتركي السيارة مع زوجي وعودي بهدوء الى بيتك ».

لو كان بأمكانك رؤية تانيا! نهضت فجأة من الفراش وقالت: « حسن، اتفقنا. ولكني يجب أن احزم حقيبتي »

ــ لا تهتمي بشأن حقيبتك. سأجعلك تحصلين على اشيائك غداً، لأني سأبقى في غرفتك. أنت تذهبين وأنا أحل محلك.

لم تقل شيئاً. متأثرة ولكنها سعيدة، لمحت، حسن، سوف ارتب نفسي قليلاً ثم سأكون جاهزة. وأختفت وهي تقول ذلك داخلة الى الحمام.

لقد سارت الأمور بسرعة بحيث لم يكن لدي الوقت الكافي للتفكير. ولكن حالما اختفت تانيا، فلقد تبع الأندفاع الأول رد فعل بسيط من الحذر المعقول. حسن جداً، سوف أخذ محل تانيا، في ذلك المساء سوف يأتي الطبيب ويجبرني على فتح فمي بأصابعه القوية ويجبرني على ابتلاع الحبة، والى هذه الغرفة التي يمكن قفل بابها سوف يدخل الممرضون والخدم تحت اعذار شتى في تلك الليلة. أن هذا حسن جداً، ولكن ماذا سوف يحدث بين تانيا وزوجي؟ كانت تانيا عير متزوجة، وهي تعيش لمفردها، وهي حميلة ومعروفة باندفاعها العاطفي، ولوضع الأمر بطريقة واضحة فأنها قد يتبادر الى ذهنها ان تقوم بنوع من التبادل

انت تأخذين مكاني في المستشفى، وأنا اخذ مكانك في البيت. هل تعرفين ماذا تفعلين!

لم اتردد للحظة واحدة سمعت تانيا تغني لنفسها في الحمام واضعة اللمسات الاخيرة لزينتها ليس هناك شك في الأمر انها تعد نفسها لكي تكون جميلة ومغرية للحظة التي تقدم فيها نفسها الى زوجي قفزت من الفراش وخرجت على رؤوس اصابعي من الغرفة. بعد دقيقتين كنت في سيارتي خارجة من موقف المصح.

وهنالك كانت مرة اخرى الأوراق الحمراء على الأشجار، والأوراق الصفراء على الأسفلت وضوء الشمس الناعم المتلألىء الساقط على الأوراق وكانت السماء زرقاء مشعة خلف الأوراق وفجأة شعرت بالسعادة نعم حقيقة أنا سعيدة! سعيدة لأني جميلة، لأني شابة، لأنني ممتلئة بالعافية، ولأني زوجة معماري معروف ومحترم جداً ينتظرني هذه اللحظة في البيت.

هفوتان

أنا وزوجي لا نخفي أي شيء عن بعضنا. كل مساء واثناء العشاء يخبر احدنا الأخر ما فعله اثناء النهار. نحن لا نفعل ذلك تعمداً أو ألياً. ولأن احدنا يحب الأخر وليس لديه اسرار يخفيها عن الثاني، فنحن نفعل ذلك طبيعياً وغالباً ما نكون غير واعين بذلك، ربما للحصول على معلومات لكي نلغي بحديثنا الأنفصال اليومي الناتج من الفارق في المهنة. يمكنني القول بأني اقدم زوجي الى الحياة التي اعيشها دونه وهو يفعل نفس الشيء بالنسبة لي، وما أن تنتهي تلك التقارير، فأن حياتنا مثل نهرين توأمين يجريان لفترة منفصلين ثم يتحدان مرة أخرى ليصبحا مرة ثانية حياة واحدة.

اليوم وكالعادة كنا نجلس الى المائدة. كان الجو حاراً، وكان الشباك الفرنسي المطل على الحديقة مفتوحاً على اتساعه، وفي الليل، كان يمكن رؤية صف الزهور مرصعاً بزهور شاحبة ظهرت اثناء تلك الأيام في شهر أيار، نظر زوجي الى الزهور ونظر الي ثم قال: « أنت تشبهين هذه الأزهار؟ »

ــ ماذا تعني؟

ــ أنك ايضاً تبرعمين في الربيع. أنك (تزهرين) حقاً كما يقولون. أو مرة اخرى في حالة ازهار (*) مثل صبايا بروست المزدهرات (*) أن هناك لوناً في خديك

(*) في الفرنسية بالأصل enfleur

(*) في الفرنسية بالأصل. geunesfilles

وبريقاً في عينيك وشعراً لامعاً واسناناً براقة. أن المرء حقاً يود أن يعرف ماذا صنعت لكي تصبحي بهذا الجمال، لكي تمتلكي مظهر السعادة هذا.

يا حبيبي، أنا لم أعمل أي شيء، لقد مارست حياتي الأعتيادية ـــ أي لا شيء جديد، لا شيء غير اعتيادي. الروتين الأعتيادي لا أكثر ولا أقل. في البدء ذهبت لرؤية ديرس التي فتحت محلاً جديداً، عمل تجاري ناجح جداً، لا شيء بل مطاط وزجاج وحديد. وحالما دخلت الى ديرس واخبرتها باني اشعر بعدم السعادة لأن الربيع فاجأني وليس لدي شيء بل فقط الأشياء من العام الماضي وكنت خجلة تقريباً عند مغادرتي البيت. هل تعرف ماذا فعلت ديرس؟ طلبت مني أن اغلق عينيَّ، قادتني الى باب، دفعتني في غرفة ثم اخبرتني أن افتح عيني مرة اخرى. فعلت ذلك ومن ثم وبسبب الأحساس بالعرفان، رميت ذراعي حول رقبتها واحتضنتها مجرد تخيل!، على منضدة كبيرة كان هنالك كل أنواع القمصان والبنطلونات القصيرة والبنطلونات العريضة. والى جانبها على طول الغرفة، وعلى رافعات الملابس عدداً لا يحصى من الملابس الجاهزة من كل شكل وتصميم. حقيقة، لقد احسست برأسي يدور وأخبرت ديرس بأن تتركني لوحدي، وهكذا بقيت في الغرفة الكبيرة لساعتين، وفي نهايتها رتبت كل ما تحتاجه خزانتي. وهكذا حليت مشكلة الربيع، وبأحساسي كوني اخف وأسعد، قمت بزيارة كنت اؤجلها لمرات عديدة؛ اذ ذهبت لرؤية جيورجينا التي وضعت طفلاً منذ شهر، وجدتها في وسط الحفاضات وقناني الأطعام، تحدثنا حول هذا وذاك ثم تركتها لأنه يتوجب عليها أن تطعم الصغير، ولأن الساعة كانت السابعة وكان عندي ساعة على الأقل لكي اتجول فيها، فكرت في أن اذهب الى معرض للرسم في (فيا ديل بابينو)، وهكذا ذهبت الى هناك ووجدت معرضاً للوحات مثيرة جداً لرسام أعرفه بالوجه ـــ ولكني لا استطيع تذكر اسمه، يجب أن تساعدني على تذكر أسمه ـــ طويل، اسمر، شاب ذو شعر في كل مكان وسوالف جانبية طويلة وهناك نوع من النظرة التأملية في عينيه، حسن، نظرت الى اللوحات واحدة بعد أخرى، ومن تم فجأة وصل الرسام فتحدثنا وبطريقة أو أخرى، اخبرني أنه يود اعطائي لوحة، وانه لماذا لا أتي واختار واحدة لنفسي من مرسمه الذي يقع في الزاوية في (فيا ماركوتا) وقلت أنا: نعم، جزئياً، لأن

الوقت لا زال مبكراً ولم اكن راغبة بالعودة مبكرة الى البيت. وهكذا ذهبنا الى المرسم في فيا ماركوتا، صعدنا سلماً صغيراً خلال ساحة صغيرة، وفجأة اصبحنا في المرسم، أراني حقيبة مملؤة باللوحات، ومن ثم بهذه الطريقة او تلك مارسنا الحب، وبعد ان مارسنا الحب كتب لي على اللوحة التي اخترتها اهداء رائعاً حقا: الى ديانا، الاكثر جمالاً، اكثر لوحاتي جمالاً، ومن ثم عاد معي الى المعرض. وفجأة تذكرت أن هنالك حفلة (كوكتيل) في بيت لورنيزو في (الجانيكليوم)، ولقد صادف أن الرسام (حقيقة أنا لا استطيع تذكر اسمه ولكنه مكتوب اسفل اللوحة)، كان يريد الذهاب الى هناك ايضا، وطبيعياً جداً اخبرته بأني سأوصله الى هناك بسيارتي. ذهبنا الى (الجانيكليوم) يا للمشقة! كان هناك ازدحام شديد واستغرقني الأمر ساعة، وعندما وصلنا وجدنا حشداً هائلاً هناك ضيعت رسامي. ماذا افعل؟ بحثت عنه لفترة من الزمن ثم توقفت معتقدة بأنه يستطيع أن يجد أحداً ما ليوصله في طريق العودة. وهكذا وبدون معرفة ما افعل بدأت اثرثر مع بيترو- هل تعرفه؟ ولكن الخدم كانوا يمرون امامي حاملين صواني، في البداية اخذت قدحاً ثم ثانيا وثالثاً وفي النهاية، سوف لن تصدق ذلك، سكرت، والحقيقة، اني لا اعرف كيف تمكنت من السياقة والعودة الى هنا. ولكن انتظر، أريد أن اريك اللوحة، واريدك أن تخبرني أذا كانت تعجبك، انتظر!

وبلهفة نهضت من المائدة وركضت الى غرفة نومي وكانت هناك اللوحة مطوية على فراشي مع حقيبتي اليدوية ومفاتيح السيارة، اخذت اللوحة وبدأت ارفع الرباط المطاطي الذي يلفها، ومن ثم، فجأة وقفت متصخرة، وعيني محملقتين، عندما عرفت، أني مدفوعة بالعلاقة الحميمة مع زوجي والشعور بالنشاط والخفة، وربما لأني سكرانة، من تلك الأقداح الثلاثة او الاربعة التي شربتها عند لوريزو، فقد اخبرت زوجي وفي وجهه بأني كنت غير مخلصة له.

وفجأة تذكرت أنه في احد الأيام في الريف وفي مزرعة راقبت خنزيرة كانت تضع خرطومها على الأرض، وبدأت تفترس كل شيء يصادفها بدون توقف، كانت تدس فمها بأستمرار، فأكلت رأس لهانة، ثم تفاحة، ومن ثم كتكوت

حديث التفقيس اصدر قبل اختفاءه في فمها صوتا يائساً ثم تفاحة اخرى، ثم رأس لهانة أخر، وقطعة من قشور الرقي وتفاحة اخرى...

لقد تصرفت مثل هذه الخنزيرة. ذكرت شيئا غير مهم، ثم اخر ومن ثم قلت أني مارست الحب مع رسام واضفت الكثير من الأشياء غير الهامة، كل ذلك دون ان اميز، مساوية كل شيء، حقيقة اثناء الشعور بعدم التمييز وبالحميمية السكرانة. أن هذه التأملات اعادت شجاعتي. هززت رأسي، اخذت اللوحة وعدت الى غرفة الطعام.

اشعل زوجي اثناء غيابي سيكارة، وكان يجلس الآن هادئاً يدخن وعيونه مسدلة. كان من غير الممكن فهم ما كان يفكر فيه بالضبط، وبدون أن أجلس فتحت اللوحة وأريتها له « ما هو رأيك »؟

ــ « أنها ليست رديئة ».

جلست مرة أخرى. جاءت الخادمة حاملة صينية فأخذنا ما نحتاجه. ومن ثم وبطريقة طبيعية تماماً سألته:

ــ « وأنت، ماذا فعلت اليوم؟ »

وكما ظننت فلقد كان ينتظر هذا السؤال، اذ أنه اجابني في الحال: لقد كان يوماً ممتعاً ايضاً، اعتيادي تماماً. ذهبت الى المكتب وكنت اعمل طوال النهار، ومن ثم في المساء ذهب الجميع ولكني بقيت، ولأن فلورا هي سكرتيرتي فلقد بقيت هي ايضاً، واستغلينا ذلك فمارسنا الحب، ثم انهيت بعض الأمور الصغيرة وبينما كنت على وشك المغادرة، احزري من اتصل هاتفياً توماسو. سألني ماذا نفعل هذا المساء فأخبرته بأننا ربما نلتقي، وربما حتى نذهب الى السينما معاً. هل عملت خطأ؟

وبغباء مرعوبة، غمغمت « أنك فعلت حطأ كبيراً » « في أي شيء؟ في تحديد موعد مع توماسو؟ لا تقلقي. سوف اخابره وأخبره أننا لن نتمكن من ذلك » « لا: لا، بكونك عير مخلص لي مع سكرتيرتك الشعبية جداً تلك ».

نظر احدنا في وجه الأخر للحظة ثم انفجر في نوبة ضحك صريحة عالية

« والان كوني أمينة، هل صدقت ما قلته لك ».

ــ « صدقت ماذا »؟

ــ « بأني كنت غير مخلص لك مع فلورا. ولكن هذا غير صحيح. لقد رحلت فلورا مع الأخرين. كما أني يجب أن لا احلم بممارسة الحب معها. لا تقلقي. لم اكن غير مخلص لك.

ــ « ولكن كنت كذلك » خرجت الكلمات دون انتباه

ــ « متى؟ أين؟ كيف؟ مع من؟ »

اطلق عليَّ كل هذه الأسئلة وهو ينظر اليَّ بثبات واصرار. بقيت صامتة للحظة محاولة تجميع افكاري. ثم جاء لمساعدتي: لقد اعطيتني تقريراً كاملاً عن يومك وفي تقريرك هذا لم تذكري الخيانة مطلقاً.

وهذا يعني انك غير مخلصة لي مثل اليوم. ولكن كوني دقيقة اين؟ متى؟ كيف؟ ومع من؟

وفجأة فهمت. ان هذه الاسئلة التي كان يسألها والنظرة التي رمقني بها تقول هيا، لا تقلقي لقد كنت غير مخلصة لي اثناء ما كنت فيها فاقدة للعقل ولقد ذكرت ذلك بطريقة فاقدة للعقل ايضا. انا افضل بأن لا شيء حدث، وأنا بدوري، سوف اتظاهر بكوني فاقد العقل ايضا وأني اسمع أو افهم اي شيء. ولكن اذا صممت على اخباري بكونك غير مخلصة لي عندها يكون الأمر ليس مجرد هفوة بل شيء جدي. لذلك اقبلي فقدان عقلي مثلما قبلت فقدان عقلك. هل اتفقنا؟ وبدون أن اعني، هززت رأسي أنا اسفة قلت له لقد تحدثت دون أن اعني ذلك،ربما كان نوعا من الاحساس المفاجيء بالذنب الذي...

« الذي جعلك تتخيلين انك قد فعلت شيئا لم تفعليه انت في الحقيقة ».

مفيدة

خرجنا من السيارة وتمشينا على الطريق. على احدى جانبي الطريق كانت هنالك اكمة من الشجيرات القديمة ذات اوراق غامقة سميكة. وعلى الجانب الاخر هناك حقل قمح واسع، لا زال اخضر اللون براقا، يمتد حتى الافق الذي ينغلق على امتداد طوله بحاجز جيري من بنايات روما الطويلة. وكما لو اننا نستأنف حديثنا قلت له « اني لا استطيع ان اكرس نفسي كليا لك. ان عملي يشغلني فأنا لست متأكدة متى اكون حرة، ولا حتى ايام الاحاد. من الممكن أن يرى احدنا الاخر بين فترة واخرى، هذا كل شيء.
« نعم، مرة كل شهرين »

وللحظة شعرت بالارتباك. شهران؟ هل مر شهران حقا؟ لا، ليس شهرين، قلت له شهر ونصف على الاكثر « شهران ويوم واحد. التقينا اخر مرة في السابع والعشرين من اذار واليوم هو التاسع والعشرين من أيار »
— « حسن اذن. شهران. لقد كنت منشغلة »
— « ولكن هل لي ان اعرف ما كنت تفعلينة »؟

ومرة اخرى شعرت بالارتباك ولكني استعدت نفسي في الحال وقلت « ان ما اعمله يهمني فقط. لقد كنت اعمل ».
— « ولكن هل تحبيني ام لا »؟

لحظة ارتباك ثالثة. هل احبه؟ نظرت داخل نفسي، كما ينظر المرء الى خزانة بحثا عن مادة ما. ولم اجد شيئاً عندها نظرت اليه وعرفت اني اميل اليه. ان

له رأسا شريراً ولكنه قوي. وذو شعر لامع كثيف ينمو حتى منتصف جبهته، وعيون براقة وانف معقوف وفم قاس. نعم، اني اميل اليه، ولكن حقيقة ميلي اليه هي التي خلقت في نفسي الاحساس باللاكفاءة وعدم الارتياح. اجبت بصوت خافت نعم اني احبك بالتأكيد. انك تعرف ذلك.

ــ اذن لماذا لا نرى بعضنا مرات اكثر؟

شعرت بالارتباك مرة اخرى، للمرة الرابعة، فاجبت انا لا اعرف. ربما لان الحب هو احساس اناني بحيث يعزلنا نحن الاثنين، بحيث يفكر المرء بالحب فقط ويكون اي شيء اخر غير مهم. وفجأة يحس المرء بأنه اناني بشكل مرعب وانه غير مفيد. وفوق كل شيء غير مفيد. ان الاحساس بأني مفيدة للاخرين، لأي شخص، هو الشعور الذي يمنحني اياه العمل. ولكن الحب لا يعطيني هذا الاحساس، انه يبدو لي كيف اعبر عن ذلك؟ مجرد مضيعة وقت.

ــ « عمل، اي عمل؟ »

ــ « اي عمل؟ لماذا، انه العمل ».

ان للأكمة التي نمشي بجانبها فتحة عند هذه النقطة. درجتان او ثلاث درجات صخرية مغبرة نحتت في المنحدر توفر ممرا من مستوى الطريق الى الحقل الممتد خلف الاكمة « دعينا نذهب هناك »، اقترح عليٌّ، « بأمكاننا الاضطجاع على الحشيش ».

وافقت وبقفزة واحدة اصبح عند قمة الفتحة ثم مد يده لي فتسلقت انا ايضا وفي الحقل، كان الحشيش طويلا وكثيفا بعد شهر آيار الممطر. وفي الاسفل على الجانب البعيد كان هنالك شجرة من المفروض ان نستلقي تحتها بدون شك.

وفجأة عندما امسك غصن شائك بنطلوني، نظرت نحو الاسفل. وهناك عند تشابك الاغصان لمحت بعض المواد. لفة نصف مستعملة من ورق التواليت، قطعة من صابونة وردية اللون، مشط كبير مصنوع من العظم، مشط نسائي، مدهن ومسود، فرشاة خشبية بيضاء مملوءة بالشعر، وحقيبة يدوية بالية وفارغة.

وبدا لي ان هذه المواد قد لوثت ليس الاكمة وحدها بل كل الريف. وانا ممتلئة بالغيظ سألته انظر! ما هذه المواد؟

اجابني بهدوء « اتصور انها مواد الزينة لاحدى البغايا الريفيات، واحدة من اولئك اللواتي يتسكعن على الطريق الريفية ».

ومن ثم بدأ المسير على ممر ضيق غير محدد المعالم يمتد عبر الحشيش الطويل ويظهر كما انه قد وطأته اقدام صاحبة تلك المواد ورجلها « لا » هتفت، « انا لن اذهب الى تلك الشجرة هناك. فهنالك تعمل صاحبة هذه الاشياء المقرفة: لا استطيع ان استلقي في المكان الذي تستلقي هي فيه ».

لم يجبني بل استمر في المسير باتجاه الشجرة، دعوته ليتوقف، فهزَّ كتفيه. ركضت خلفه لكي اوقفه فأستدار وامسك بي من الرسغ وحاول ان يسحبني بأتجاه العشب المدعوس تحت الشجرة، والذي نتج بدون شك من اجساد البغايا وزبائنهن. سيطر علي غضب مسعور، تصارعت معه عندما لاحظت انه يريد ان يوقعني بسادية على ذلك الفراش الطبيعي المستعمل كثيرا. وفي النهاية تمكنت من تحرير نفسي وهربت. لم يتبعني بل بقي تحت الشجرة وهو يناديني بطريقة فجة، « اي كبرياء تصطنعين! من تعتقدين نفسك؟ ان المرأة التي تعمل هنا افضل منك. انها على الاقل تجعل نفسها مفيدة ».

كنت اشعر بالاهتياج والغضب ولكني كنت اعرف باننا خلال اسبوع سوف نتصالح مرة اخرى، ركضت الى السيارة وسقتها الى بيتي مباشرة في حي باريولي. دخلت الى شقتي، شقة علوية صغيرة في بناية انيقة، خلعت ملابسي وارتديت روبا ثم جلست على آلتي الكاتبة امام الشباك ان وضع جسمي عندما جلست ورجلي ملتصقتين ببعضها وصدري مرتفع وضوء السماء الهادىء القادم من الشباك ومنظر يدي على مفاتيح الالة الطابعة كل تلك الاشياء غرست في نوعا خاصا من الهدوء، وفي نفس الوقت وبشكل ساخر وخادع كنت اعرف تماماً ان المقال الذي استعد لكتابته، وهو تقرير عن مهرجان للموسيقى الخفيفة، كان شيئا ليس بذي قيمة، وهو بالاضافة الى ذلك، لا يمكن من التعبير بأي طريقة كانت، ولكن في نفس الوقت كت اجعل نفسي مفيدة وبشكل مؤثر

كذلك. انا لست شخصا مثقفا فأنا لم اقرأ الا قليلا، ولقد بقيت جاهلة كما لو كنت عندما انهيت المدرسة الثانوية، ومع ذلك، فلقد كنت ومنذ فترة قصيرة من الزمن، اكتب المقالات والقصص القصيرة، والتي نجحت حينئذ بصعوبة في جعلها تقبل في المجلة التي تسمى (مجلة المرأة). وفي الحقيقة فأن عملية الكتابة تعطيني متعة اكثر من قول اي شيء احس او أفكر به. انها توفر لي المتعة لأنها كما قلت تعطيني احساسا بالهدوء وتجعلني احس بأني مفيدة، واليوم ايضا وبعد ان بقيت لحوالي اربع ساعات على الالة الكاتبة وبعد ان انهيت واعدت ترتيب صفحات المقال ونظفت مكتبي ووضعت الغطاء فوق الالة الكاتبة، كنت اشعر باحساس من المرح والراحة كما لو اني انجزت واجباً. نهضت من المنضدة، ذهبت الى الحمام لأخذ (دوشاً)، لبست ملابسي بعناية كبيرة وضعت المقال في حقيبتي وخرجت مسرعة من المنزل، وعندما حياني البواب من صندوقه جعلني ذلك احس بكبرياء شديدة بفائدتي، انه لا يحيي واحدة من العديدات من دمى المجتمع التي تسكن البناية بل يحيي شخصا يشعر بأنه مفيد وهو كذلك حقا. وخلال وقت قصير اصبحت في منتصف ازدحام مدينة روما. ومن سيارة لوري عالية، خاطبني سائقان قليلي الادب بعبارات مزعجة عند رؤيتهما لسيقاني الجميلة واقدامي تتحرك على دواسات السيارة، ماذا يهم؟ انا لا اراهم ولا اسمعهم وهو مع ذلك تأثير اخر للفائدة.

اوقفت سيارتي ذهبت الى بناية قديمة خلف (البيازال فلامينو)، تسلقت اربع مجاميع من السلالم، دفعت بابا مفتوحا ودخلت. كان هذا مكتب المجلة التي كتبت لها المقال. في الممر كانت الابواب مفتوحة. وفي داخل الغرف يستطيع المرء ان يرى كاتبات الاختزال على مناضدهن والمحررين مرتدين قمصان بنصف اردان خلف مكاتبهم، وصلت غرفة مدير التحرير وفتحتها دون ان اطرق الباب. كان مدير التحرير يقرأ مسودة واشار لي بأن أجلس. رجلا في حوالي الاربعين ذو مظهر نائم ووجه مدور ممتليء له ملامح دقيقة. جلست وانتظرت والمقال في يدي. وفي النهاية رفع رأسه وقال (هل كتبت المقال؟ ضعيه هنا).

سلمته المقال. فبدأ بقراءته بينما كنت انظر في ارجاء الغرفة. وفجأة احسست وكأني قد تخدرت كانت المرة الثانية التي ادخل فيها هذه الغرفة،

ولكن لسبب ما، بدت وكأني ادخلها للمرة الاولى، لاني لا اتذكر بشكل واضح ما حدث قبل اسبوع عندما قدمت مقترحة نفسي كمساهمة للكتابة او في الحقيقة، اني اتذكر الأمر ولكن كما لو انه حدث في حلم، الحلم الذي يكون حياتي عندما لا أشعر اني مفيدة، وهل هناك شخص صدق مرة ان الحلم هو الحقيقة؟ أيقظني صوت مدير التحرير « انظري » قال

ـــ « أن هذا لا ينفع »

ـــ « ولكني... »

ـــ « لقد اردت ان اجربك فأرسلتك الى مهرجان الموسيقى الخفيفة هذا بأمل انك سوف تكتبين شيئا خفيفا وسهلاً، ساخراً وظريفاً. وبدلا من ذلك جلبت لي مقالا انشائيا مدرسيا. ويحتوي العديد من الاخطاء اللغوية ف/ف فوق ذلك كله

ـــ « ان هذه يمكن تصحيحها »

ـــ « أن المسألة ليست مسألة تصليح بل هي اعادة كتابة ».

لم اكن اعرف ما اقول. شعرت بالارتباك، كان يحدق بي الان بفضول عنيد غاضب. وفي النهاية سألني « هل يتوجب عليك الكتابة لكي تعيشي؟ »

ـــ « لا، استطيع تأمين معيشتي على ما يعطيني اياه والدي... »

ـــ « اذن، لماذا لا تتوقفي عن الكتابة، اذ انك غير مؤهلة لها ».

لم اجب بشيء كنت اشعر بالارتباك اكثر فأكثر، طافت عيناي في الغرفة، وفي النهاية توقفت عند اريكة قديمة خضراء باهتة اللون تحتل كل الجدار البعيد. كانت شيئا رأيته من قبل عضضت شفتي ترددت ثم حزمت امري. من الكرسي ذهبت خلف المكتب انحنيت على مدير التحرير ومسحت بشفتي خدوده الممتلئة المحلوقة جيدا ثم اخذت فمه بفمي. قبلني ثم اخذ مسودتي مرة اخرى اعاد قراءتها او على الاقل تظاهر بذلك، كان مهتاجا جدا الان لكي يعرف ماذا كان عليه ان يفعل، عندما سألته « اذن فانت تعتقد انه لا يمكن تصليح المقال؟ » هز رأسه ثم زفر، وضع المسودة على المكتب وضع ثقالة الاوراق عليها، وضع يده على خصري ونهض بجهد من على مكتبه، متلازمين اتجهنا نحو الاريكة

الخضراء كان لدي الوقت لألاحظ بقعة كبيرة تشبه بقعة القهوة على احد المقاعد عندما استلقيت تحته.

بعدئذ غادرت وعاد مدير التحرير الى مكانه خلف مكتبه معطيا اياي انحناءة صغيرة جدا، من الباب القيت نظرة على الاريكة الخضراء ومرة اخرى تولد لدي الاحساس الغريب من انها شيء رأيته من قبل، او انها في الحقيقة الشيء الذي دخل حياتي الان، فخرجت.

ما ان اصبحت في الشارع. ميزت ان ليس لدي اي شيء افعله، ومع ذلك، لم اكن راغبة بالعودة الى البيت وللمرة الاولى ولسبب اجهله احسست بالاشمئزاز من منظر الآلة الكاتبة الهادىء على منضدتي في مواجهة الشباك. كان الوقت لا زال نهارا وبدون ان اعرف كنت اسوق على امتداد (الفيا فلامينيا) حتى اصبحت خارج روما، وصلت الطريق الذي توقفنا فيه انا وحبيبي بعد الظهر المبكر من هذا اليوم، كانت هناك الاكمة. اوقفت السيارة، خرجت وبدأت المشي حتى وصلت الى الفتحة في الأكمة وبعد لحظة تردد تسلقت خلال الفتحة الى الحقل. وفي الضوء الشاحب امكنني ان ارى مرة ثانية الطريق خلال الحشيش الطويل الكثيف ومن ثم وفي البعد، الشجرة، ولكن مواد الزينة كانت قد اختفت. اذ ان المومس قد انهت عملها فجمعتها وذهبت. مشيت الى الامام، ووصلت الى المكان تحت الشجرة والسرير المكون من الحشيش المطحون المدعوس المتكون بأجسام المومسات وزبائنهن.

ومرة أخرى تولد لدي الاحساس بشيء رأيته سابقا، او شيء ما كان جزءاً من حياتي، مثلما نظرت من قبل الى الاريكة في غرفة مدير التحرير. في الحقيقة ان الاريكة ذكرتني بالفراش الحشيشي، اما الان فأن السرير هو الذي ذكرني بالاريكة.

وفجأة تولدت لدي رغبة قاسية في ان اذل واعاقب نفسي. وتحت تأثير غيظ شديد استلقيت في مكان العشب المدعوس الذي ناسب جسمي تماما. استلقيت على ظهري اغمضت عيني، وانا اضغط اجفاني على وجنتي محاولة ان استخرج دمعة. ولكني لم أنجح.

حب الام

ان ولدينا الاثنين يعارضاننا بعنف عديم الرحمة لا يصدق، بحيث اني وزوجي فقدنا توازننا في منتصف اعمارنا (كلانا تحت الاربعين من العمر)، الى درجة اننا لا نعرف ماذا نفعل، قبل عامين او ثلاثة عندما وصلت الاخبار من كل الجهات عن ثورة الابناء ضد آباءهم، كنا لا زلنا قادرين على خداع انفسنا بالتفكير بان اطفالنا سوف يمثلون حالة استثنائية. اذ ان باتريشيا وكورادو، وبدون ان يكونا حنونين جدا، كانا يتصرفان بطريقة اعتيادية تشبه بشكل اساسي معاملتنا نحن لاهلنا.

وفجأة وعند رجوعهم من عطلة قضياها في مخيم ساحلي مع ناس من اعمارهم، انفجرا ضدنا بغضب وبدأ وكأنه يستمد قوته من التأخير الذي ظهر فيه. بالتأكيد لا يمكن القول انهما لم يعوضا الوقت الضائع! اطفال اعتياديون، حقا! احترام وحنان، انهما بعيدان جدا من ذلك! لقد اصبح باتريشيا وكورادو غاضبين علينا الى درجة اننا كنا يجب ان نعتبرهما زوجا من الاعداء وان نعاملهما على هذا الاحساس، وان نقطع كل العلاقات معهما. واحسرتاه، مع ذلك فأن الامور لم تكن كذلك، لقد كانا طفلينا، وان كرههم لنا كان ببساطة وبشكل كامل، بسبب كونهم اطفالنا، لذلك فنحن بدورنا اجبرنا على تمييز اقوى علامات روابط الدم في ذلك الكره الذي يجمعنا.

لقد قلت بأننا فقدنا توازننا ويجب ان اشرح ما اعنيه بذلك. لقد كنا كلانا انا وزوجي في منتصف العمر الذي يتخذ فيه الناس شكلهم المحدد، والذي

يكون ما حدث قد حدث، وانهم سوف لن يتبدلوا بعدئذ. وفي معارضتهم لنا بهذا الاسلوب المتوحش، كان اطفالنا في الحقيقة، يسخرون منا للشكل الذي اتخذناه، عانينا الام السنين لكي نصل الى ما وصلنا اليه. انهم كما يمكن القول، يسخرون من يرقة لتحولها الى فراشة، وزهرة لانها تحولت الى ثمرة. ماذا يمكن ان يكون اسوء من ان كرههم لنا جعلنا نشك فيما اذا كنا قد تحولنا الى فراشات قبيحة جدا أو الى زهرات منتنه. ان الكره في الحقيقة، هو نوع من المرآة التي يستطيع فيها الانسان المكروه من رؤية منعكسه بشكل بغيض.

بالطبع، ان باتريشيا وكورادو يكرهاننا كل في طريقته الخاصة، اعتمادا على صفاتهما المميزة. فباتريشيا فتاة جميلة المظهر، ممتلئة القوام وملفتة للانتباه كانت تظهر كرها بطريقة عاطفية طائشة. فأثناء الشجار على مائدة الطعام (نحن نلتقي اثناء الوجبات، اما بقية الوقت فنحيا حياة منفصلة).

فان باتريشيا بعد مجرد مجابهتين او ثلاثة من المناقشات الاعتيادية تفقد توازنها وتبدأ بالغضب والصراخ ثم تنفجر في البكاء وتترك الغرفة وهي تصفق الباب خلفها بشدة، اما كورادوُ من جهة اخرى، فهو هادىء ومتزن ويعطي انطباعا من الحسابات والتعمد مع تلعثم يبطيء كلامه، ويجعل المرء يعتقد بأنه يختار بعناية اكثر الكلمات كرها وعدوانية، مع كورادو كنت انا التي غالبا ما اوقف النقاش وأنهض من المائدة ساخطة وعيني ممتلئتان بالدموع.

وفي احد الايام قررت ان اقوم بمحاولة اصلاح نهائية. كان الوقت بعد الظهر بقليل، وكنت مستلقية على فراشي في الظلام الى جانب زوجي الذي كان نائما. اثناء الغداء كان هنالك شجار اكثر مرارة من العناد، وكنت لا زلت اشعر بالانزعاج الجدي، وفجأة سيطر علي نفاذ صبر غير متوقع، نهضت من الفراش وبدأت ارتدي ملابسي في شبه الظلام. قررت ان اذهب اول الامر الى باتريشيا التي كانت ترتاح في غرفتها، ثم ابحث عن كورادو في غرفته. سوف اكون متزنة وحكيمة. عادلة ونزيهة. متفهمة ومتنورة وسأكون قادرة على معالجة الامر بتفوق حصلت عليه من الخبرة والحنان وبعد التفكير بالامر وثقت من نفسي وشعرت اني اكثر هدوءً. ولكن فجأة وبشكل يصعب تفسيره، وبطريقة آلية

تقريبا، عملت شيئا مربكا، فبهدوء وحذر فتحت الخزان وأخذت مسدس زوجي المستوي الثقيل وأنزلته في جيب سترتي (السافاري) الكبير.

حسن اذن، سوف اقوم بمحاولة. تركت الغرفة على رؤوس اصابعي دون ان اعمل اية ضجة، وذهبت الى نهاية الممر البعيدة وفتحت باب غرفة باتريشيا. للحظة، اندهشت كان الشباكان مفتوحين على مصراعيهما، والشمس تنسال منهما وباتريشيا عارية تتمدد على السرير، ساقاها في الهواء ورأسها في الاسفل وشعرها ينسال الى الاسفل، كانت تقرأ كتابا وضعته على مسافة بعيدة من عينيها، ومن المذياع الموضوع على الارض كانت تنبعث موسيقى هادئة.

عند ظهوري سحبت باتريشيا نفسها كما لو انها ضبطت وهي ترتكب اثما، جلست ورجلاها متقاطعتان ودفعت شعرها الى الخلف مخفية نهديها بذراعيها المتقاطعتين، فكرت اني سوف اصل الى جذر السؤال في الحال، ولكن للحظة، كان كل ما استطعت فعله هو أن أنظر اليها بصمت كان وجهها طفولياً ثقيلاً، وشعرها ذو كثافة استثنائية، وجسمها رائعاً ذو بياض براق وصلابة كسولة قوية. وعلى الجدار المقابل كانت هناك مرآة كبيرة اظهرتنا معاً: الى جانب باتريشيا العارية، الممتلئة ذات الحيوية كنت ابدو جافة وباهتة في نفس الوقت. في سترتي الضيقة وملامح وجهي المرسومة بدقة. ما هي العلاقة بيني وبين باتريشيا؟ للمرة الاولى تذكرت أني أمها، ليس بطريقة متأثرة بل بالمعنى الجسدي، أن وفرتها نتجت من جفافي وامتلائها من انحلالي، وبصوت كنت اعرف أنه خشن وغير مقبول قلت « باتريشيا لقد جئت لكي أتحدث معك »...

اجابت دون ان تستدير؛ عدوانية بشكل مسبق، وكانت تنظر الى المرآة المقابلة ايضاً « لكي تتحدثي الي؟ أي شرف عظيم! »

ـــ « باتريشيا أننا لا يمكن أن نستمر على هذا النحو »

ـــ « صحيح تماماً، ولكن لا تقلقي. باسرع ما يمكن، وحال حصولي على وظيفة سوف اريحك من وجودي »

ـــ « ولكنا لا نريدك أن ترحلي على الاطلاق. نحن مغرمون بك ونريدك أن

تبقي معنا. ولكن في نفس الوقت نريدك بأية حالة أن تشرحي لنا لماذا أنت غاضبة منا ».

هزت كتفيها ثم صمتت. نظرت اليها مرة اخرى بشكل مباشر أول الأمر ثم في المرآة. تولد لدي احساس قلق وغيور لا يمكن وصفه: كما لو أني وجدت نفسي في مواجهة مادة ليست هي ملكي فحسب بل من صنعي ايضاً، ولكنها بطريقة أو اخرى جعلت نفسها مستقلة عني، ولكني لم أتمكن من منع نفسي من القول: ولكن الا ترين انك لا يمكن أن تعاملي أمك بهذه الطريقة، أمك التي جلبتك الى هذا العالم، الأم التي حملت بك وربتك؟

ـــ « من فضلك ولاجل الله! كنت اعلم بأن علم الوظائف سوف يدخل النقاش! لأجل الله! »

ـــ « على أية حال، أنك مدانة لي بتفسير ».

ـــ « ولكن لأي شيء! »

ـــ « لعدائك السخيف ».

لم تجب بل هزت كتفيها، اقتربت منها (وطوال الوقت لم اتمكن من منع نفسي من مراقبة المنظر في المرآة). وضعت ذراعي حول كتفيها وقلت لها « تريزا، ماذا عندك ضدنا؟ » امسكت بيدي، ورفعت ذراعي من كتفيها كما يزيح المرء وشاحاً حاراً « ارفعي يديك » قالت.

ـــ« وعلى أي حال ليس هناك ما يحتاج الى تفسير اننا غاضبان منكما لأنكما على ما أنتما عليه »

ـــ « حسن، ماذا نحن؟ »

انتظرت ردها بلهفة، امتدت يدي في جيب سترتي وامسكت بعقب المسدس. وفجأة، وكما يحدث له عادة انفجرت باتريشيا غاضبة « ماذا انتم؟ » قالت « انكم مقرفون لأنكم مقرفون. وهذا كل ما في الأمر ».

« والآن كوني لطيفة لدرجة أن تذهبي اريد أن ابقى وحيدة وفوق كل شيء لا أريد ان أراك » نهضت وامسكت بي من ذراعي، وحاولت سحبي باتجاه الباب، وللحظة تصارعنا هي عارية وأنا مرتدية ملابسي، هي موشحة بالضوء

وأنا في الظل، وفي نفس الوقت كنت امسك بالمسدس في قعر جيبي، واخبر نفسي بأني سوف اسحب يدي الى الخارج حالاً. وفجأة حدث شيء غير متوقع، توقفت باتريشيا في الباب وتركتني وهي تقول « أنا متأسفة لقد جعلتني افقد رأسي ارجوك اذهبي. ان ذلك سوف يكون جيداً لكلينا ». متقطعة الأنفاس، نظرت اليها بصمت وانا اقول لنفسي، كنت على وشك أن اضع طلقة حقيقية من الفولاذ في لحمها البراق الذي كان في الحقيقة لحمي الخاص، فخرجت وذهبت الى غرفة كورادو بشكل مباشر، دفعت الباب بعنف ووقفت مندهشة: كانت الغرفة فارغة بالرغم أنه قال أثناء الغداء بأنه يتوقع صديقاً في ذلك اليوم بحيث ينجزان عملهما معاً، اغلقت الباب، وذهبت الى المنضدة، نظرت الى الآلة الطابعة والكتب والمقالات. ان ابني لم يكن يدرس في الجامعة فحسب، ولكنه كان يقرأ ويكتب مقالات ايضاً. كانت المنضدة مغطاة بالكتب، وهنالك كتاب ملقى ومفتوح على الأريكة. ورفان محملان بالكتب بصفين مزدوجين بطريقة بدت غامضة بالنسبة لي. جلست على الأريكة والتقطت كيفما اتفق الكتاب المفتوح، آخر قراءات ابني، حاولت أن اقرأه ولكني لم أنجح في ذلك. كان مكتوباً بالايطالية بالتأكيد، ولكن معنى العبارات كان يراوغني، كان مكتوباً بلغة مختلفة عن الكتب التي أقرأها في العادة. ان هذه اللغة لم تكن غامضة قدر ما كانت غريبة، ومحيرة في تغيير الجمل، في اختيار المصطلحات. في المعنى العام ميزت نفس العداء المتعمد البارد الذي اظهره كواردو في علاقته بي وبوالده.

أو ربما لم يكن الأمر مسألة عداء قدر كونه مسألة رفض أو اخراج. أن هذا الكتاب كان يرفض فهمي. وعواطفي وفضولي. لقد كان مثل كواردو، مثل باتريشيا، أنه مغلق يرفضني. ان المعنى العام الذي كنت احاول بدون جدوى أن اقرأه ظهر لي مثل حدار عال ناعم وبدون فتحات كلياً.

على أية حال كنت منزعجة جداً لكي اقرأ. كان قلبي لا يزال ينبض بسرعة بعد شجاري مع باتريشيا والكلمات مثل الصدى في الايهام المرعب، مثل الأصوات الدقيقة الواضحة التي بدون معنى، أن هذه لغة غريبة لناس غرباء عني

لغة لناس معينين. وأنا لست من بين اولئك الذين يفهمونها. ولكن باتريشيا وكورادو يعرفانها. وفجأة شعرت بتغلب نفس الغيرة الغامضة التي احسست بها عندما واجهت عري ابنتي، ومرة اخرى مرت بخاطري الفكرة السخيفة، أن كل ذلك قد جاء مني وهو الآن يتمرد علي.

سقط الكتاب مني ووقع على الأرض، وبشكل آلي تقريباً وضعت قدمي عليه. ثم حركت قدمي بطريقة بحيث أن عقب قدمي سوف يمزق الصفحات. ومن ثم لويت عقبي بقوة، فتمزقت الصفحة. في الحقيقة صفحتين أو ثلاث. وفي ذات الوقت. كنت أنظر الى الباب، خائفة من أن يأتي ابني بشكل غير متوقع فيجدني مشغولة أدمر مثل امرأة مجنونة الكتاب الذي لا يزال يقرأه.

كنت أتمنى أن أبصق على الكتاب، أن امزقه الى قطع ترمى في سلة النفايات. استعدت منظراً رأيته في احدى المرات، في بيت قديم في الريف، كان هناك كتاب معلق في التواليت للغرض الذي يمكن تخيله، كنت أتمنى أن ينتهي الكتاب الذي ادوس عليه الى نفس النهاية. ما هذا الذي يحدث لي؟

وفي النهاية لم افعل أي شيء، تركت الكتاب على الارض وغادرت الغرفة، رجعت على رؤوس اصابعي الى غرفة النوم، خلعت حذائي واستيقظت في الظلام بجانب زوجي. ان هنالك شيء ما يسبب لي الانزعاج، تحت عدي كان المسدس ــ اخرجته من جيبي وللحظة وزنته في يدي صوبته، على سبيل المزاح، الى جسمي فكرت ان اطفالي الذين يريدون ان اقتل نفسي ولكنهم يخدعون انفسهم: سوف لن أقتل نفسي. انا امرأة تحب اطفالها بغض النظر عما يفعلون، أم قادرة على ايجاد تفوق لا يهتز في حبها العظيم، انا أم سوف يعود لها أطفالها لا محالة بعد ان يهزموا من قبل نفس العالم الذي جلبتهم اليه طواعية او كرهاً.

الخادمة

كثيرة هي عوالي الحياة ومنخفضاتها! بدأت كمدرسة للادب وانتهيت الآن بسبب جمالي النادر ممثلة في القصص الغرامية المصورة، وهي قصص يتم سردها من خلال صور وهوامش. في هذا الوقت على سبيل المثال، امثل دور بطلة نازية شريرة، ارتدي بنطلوناً قصيراً وسترة جلدية سوداء طويلة وحذاء عالٍ من الجلد الاسود، وحول عنقي هناك شريط أحمر مرسوم عليه صليب معقوف باللون الاسود على ارضية بيضاء، كما ان هنالك صلبانا معقوفة على قبعتي وعلى طيات سترتي على ابزيم حزامي. اقتل ضحاياي بالمسدس وامزقهم بالسوط او بالسكين او بالمهماز، وبالطبع فان نهديي الممتلئين يندفعان الى الامام من سترتي. التي لسبب أو اخر تكون دائما نصف مفتوحة كما ان بنطلوني يكون قصيراً بحيث يظهر سيقاني حتى اربيتي، ويكون نازلا من الاعلى بحيث يترك اسفل بطني عاريا. انا شريرة باختصار ولكني جميلة وهنا يكمن سر نجاحي مع العشاق العديدين للقصص الغرامية المصورة. فلو كنت جميلة وطيبة او قبيحة وشريرة لما كان لي أي تأثير وحقيقة الامر اني اظهر جميلة لاني شريرة واظهر شريرة لاني جميلة.

اما في الحياة الواقعية فالى جانب كوني سوداء الشعر (انا ارتدي شعراً مستعاراً لان النازية يجب ان تكون شقراء) فأنا انسانة ذات سلوك متوازن محافظ متعقل وانا مؤدبة مع الجميع ولكني اتجنبهم، اخاف العنف الى درجة مرعبة اذ ان فكرة ضرب الخصم المجردة تملأني بالاشمئزاز. اذ من وجهة نظري، ان الكلمات يجب ان تكون كافية وفي ذلك المساء كنت عائدة لتوي

من العمل وانا عادة ارفع زينتي واغير ملابسي في الاستديوهات ولكني كنت مستعجلة لذلك قفزت في سيارتي وانا مرتدية الزي النازي وذهبت الى البيت مباشرة. ولكوني مجهدة من تمثيل القسوة في القصص الغرامية المصورة، فلقد استرخيت في احد الكراسي وسحبت قبعتي على شعري المستعار وسوطي متمدد على ركبتي، ولقد اندهشت عندما ظهرت خادمتي (ميشلينا) عند الباب.

كانت امرأة صغيرة قوية البناء ولها رأس يشبه التمثال، ليس تمثالاً جميلاً مع ذلك، بل تمثال قبيح لربة بيت او رئيسة من ذلك النوع الذي نراه في بعض المنحوتات، لها جبهة واطئة ضيقة. وعينان مثل عيني دجاجة وانف منقاري وفم نكد. كانت ميشلينا قبل ان تأتي للعمل عندي في بيت ما يسمى (بالسيدة) لمدة خمسة عشر عاما. من جهة اخرى، كنت معروفة لها باسم (السيدة الصغيرة). ولقد ماتت السيدة، والاّ لكانت ميشلينا لا تزال معها.

ولقد اخبرتني ميشلينا مع العديد من الملاحظات المترددة والاستدارات من انها في النهاية تريد ان تتركني ولقد اندهشت. فلقد اعتقدت بكل ايمان، بأني كنت سيدة مثالية. هل ربما لاني لا اعامل ميشلينا كمكافئة لي، بل كغريب حدث ان يعيش معي تحت سقف واحد ويقوم بعمل يختلف عن عملي؟ على اي حال، كانت ميشلينا بالنسبة لي غريبة. وكيف يمكن ان تكون غير ذلك؟

وفي النهاية، قلت لها « ولكن ميشلينا، لماذا تريدين المغادرة الست سعيدة هنا »؟

ـــ « لا ليس الأمر كذلك ».

ـــ « هل أنا لا ادفع لك ما فيه الكفاية »؟

ـــ « لا ليس الامر كذلك ».

ـــ « هل هناك عمل كتير اذن »؟

ـــ « لا ليس ذلك ».

ـــ « هل ليس لديك وقت عطلة كافٍ »؟

ـــ « يا سيدتي، ماذا افعل بالعطلة؟ »

ـــ « اذن ما هو الأمر »؟

ـــ « انا اشعر بالوحدة ».

لكي اقول الحقيقة، انا لم افكر في ذلك مطلقاً. وبدأت انظر الى ميشلينا بصمت. كان لها لون طيني اخضر « لماذا لا تتعرفي على بعض الناس؟ سألتها على سبيل المثال، عائلة البواب... هزت كتفيها فتابعت الكلام هنالك العديد من الخادمات في البناية، ان من الممكن... »

هزة من الكتفين مرة اخرى فاستمريت « اختك ـــ اخوك... »

هزة كتف ثالثة تنشقت ميشلينا ثم مسحت عينيها بظهر يدها وقالت في النهاية « بالنسبة لك يا سيدتي فانا غير موجودة. لذلك اشعر بالوحدة ».

منزعجة قليلاً، اجبتها « أنا امرأة عاملة. فلو لم اكن ممثلة في القصص الغرامية المصورة، لكنت ادرس الآن وبالتالي لا يمكن ان تريني كثيراً »

لم تجب بشيء. فسألتها تلقائياً « في المحل الذي كنت تعملين فيه سابقاً، هل كنت تشعرين بالوحدة ايضاً؟ »

فاحتجت بشدة « وحيدة؟ يا الهي! لقد كانت السيدة واقفة على رأسي طوال النهار. لقد كان تعذيباً حقيقياً » ومنطقياً علقت أنا « ميشلينا، انك تناقضين نفسك. ان المكان هنا لا يعجبك لأنك تشعرين بالوحدة. ولم تكوني تحبين المكان هناك لأنك لم تكوني وحيدة مطلقاً. يجب ان تحزمي امرك ».

لقد كانت السيدة على رأسي، هذا صحيح » قالت « ولكنها كانت مغرمة بي وكنت مغرمة بها. انك لست مغرمة بي ».

كانت ميشلينا تكذب. لم تكن السيدة مغرمة بها، كانت تجبرها على العمل مثل العبد، وكان لها سلوك متوحش، كما ان ميشلينا من جانبها لم تكن مغرمة بالسيدة بل كانت تكرهها. ومع ذلك تبقى الحقيقة وهي ان ميشلينا قد بقيت مع السيدة لمدة خمسة عشر عاماً، اما في حالتي، فبعد سنة واحدة تقريباً، فانها تريد أن تتركني « هكذا اذن » قلت لها « فأنت تفضلين السيدة التي عذبتك عليّ انا التي احسن معاملتك ».
ـــ « انا لا اوجد بالنسبة لك »

فكرت في الأمر مرة اخرى. انا اعرف تماماً طبيعة العلاقة بين السيدة وميشلينا. اذ ان ميشلينا من النوع الذي تسميه ربات البيوت « بالكنز »، ولأن السيدة لا تجد اخطاء عند ميشلينا، فانها كانت تعذبها الى درجة انها في النهاية تحطمت اعصابها وقررت ان ترد عليها. وهذا ما كانت السيدة تتوقه وفي الحال اندفعت باتجاه ميشلينا وهي تشتمها وتعاملها بشكل سيء حتى وصل الأمر الى طردها في النهاية. ولكن ميشلينا لم تترك البيت. انها لم تتركه مطلقاً. ولكن في نفس المساء الذي تصالحت فيه مع السيدة، التي قبلت على مضض الصلح معها، فرضت على ميشلينا، التي كانت مصغية اليها بندم ورأسهامنحنٍ العقوبات الاضافية على شكل محاضرة لا متناهية ومهينة في نفس الوقت. نعم لقد كانت السيدة تعذب ميشلينا، ولكن من خلال هذا التعذيب بالضبط كانت تظهر اهتمامها بوجود ميشلينا.

بينما كنت افكر في كل هذه الأمور، نظرت الى نفسي في مرآة خزان الملابس، وللمرة الاولى، يبدو اني اصبحت واعية بأهمية الزي النازي الذي ارتديه. ومن خلال ملاحظة ان السيدة اعطت ميشلينا من خلال تعذيبها الانطباع بأنها موجودة، لذلك فمن الناحية النظرية، يجب عليَّ ان اندفع صوب خادمتي واترك علامات سوطي على رجليها، رجليها العضلية. او أن ارميها على الأرض وادوس عليها بحذائي الثقيل. او أن امزقها الى قطع بسكين الصيد. آه! ولكن كيف كان يتصرف النازيون؟ كيف يستطيعون فعل ذلك؟ كيف ينجحون، بغض النظر عن اي شيء آخر، من التغلب على اللاامكانية الجسدية عند وضع الأيدي على اي شخص أخر؟ نظرت الى ميشلينا وارتعدت باشمئزاز. فقلت بحدة « حسن جدا، اذهبي الآن واجلبي قائمة التسويق ».

خرجت، وفي حين بدأت اهيأ نفسي نفسياً وانا انظر الى نفسي في المرآة وأنا اسحب قبعتي على جبهتي واثبت ازرار سترتي. وعادت ميشلينا، فسلمتني دفتر الحسابات. اخدته بيد بينما كنت اضرب بالثانية حذائي بالسوط. نظرت الى الحساب، كان وثيقة دقيقة، لامانة ووسواس ميشلينا

ــ « هذا المساء »، قلت لها « جلبت لي (ستيك لحم البقر) في حين أني طلبت سمكاً ».

ـــ « يا سيدتي، انك كتبت لي ذلك، هذا المساء ستيك لحم البقر فاشتريت ستيك لحم البقر ».
ـــ « لا يا سيدة » ـــ انا قلت سمك. ميشلينا انا لا اعرف ان من بين اخطاءك العديدة انك كاذبة ايضاً »
ـــ « انا، كاذبة! »
ـــ « نعم، كاذبة »

اندفعت بسرعة وعادت بورقة « ان ما كتبت هنا هو ستيك لحم البقر ».
ـــ « ولكن هذا ليس خطي. لقد كتبت أنت ذلك. حسن جداً، اذن، انك لست كاذبة فحسب بل مزورة ايضاً ».
ـــ « ماذا تعنين يا سيدتي؟ ان هذه كتابتك ».
ـــ « انا اقول لك أنك كاذبة ولصة ».
ـــ « انا لصة؟ »
ـــ « نعم لصة، لأنك يمكن ان تسرقي من اللحم لأنه ليس هناك فرق كبير بين اللحم المجمد والطازج، اما بالنسبة للسمك فمن المستحيل القيام بمثل هذه الحيل الصغيرة الذكية ».
ـــ « انا لصة! احذري ما تقولين! »
ـــ نعم، لصة ولا ترفعي صوتك، والاً فأني سأقول لك، انك الى جانب كونك لصة، فانك سيئة التربية وجلفة وبذيئة ».

كنت انا التي ترفع صوتها الآن، وقفت ملوحة بسوطي، صرخت. اي جهد! اي جهد! لاحقتها بحذائي الطويل الجميل، وهددتها بسوطي، كانت ميشلينا مرعوبة واندفعت الى المطبخ، وعندها اسقطت كومة من الصحون بضربة خلفية، فاختبأت في غرفتها.

متعبة عدت مرة اخرى الى غرفة الجلوس، كان العرق يجري من نهدي المضغوطين جداً بسبب السترة الجلدية، خلعت شعري المستعار، وسترتي، وحاولت أن اخلع حذائي ونجحت في فعل ذلك في النهاية. كذلك رميت بنطلوني القصير. اللعنة على البنطلون القصير! استرحيت في الكرسي. ولكن

كيف يستطيع النازيون من فعل ذلك؟ من فعل ذلك؟ كنت اود أن اعرف كيف يفعلون ذلك؟ هل يأكلون غذاء خاصاً ربما، او أخذوا ادوية؟ او مرة اخرى...

مرّ عدد لا يحصى من الدقائق، وليس هناك أي صوت من غرفة ميشلينا، يبدو انها قد اهينت، وكانت خائفة وهي تبغضني وتكرهني الان. ولكنها يجب ان تعرف بأني عالمة بوجودها كما كانت موجودة بالنسبة لسيدتها القديمة ــ بل اكثر. اه انها أتية الان.

في احدى يديها تحمل حقيبة، وفي الثانية بانتباه صندوقاً ورقياً مربوط بشريط « انا ذاهبة الى اختي » قالت لي، « لن ابق دقيقة اخرى في هذا البيت. ويجب ان تشكري الله اني لم اشتكيك الى الشرطة »

اغلق الباب واصبحت وحيدة، مسحوقة تماماً. ولكن طوال الوقت كنت افكر. لقد احست ميشلينا بأنها غير موجودة عندما عاملتها بشكل حسن، والآن، عندما عاملتها بطريقة قاسية، تركتني، نفس الشيء، احسست انها غير موجودة. ماذا اذن؟ من الواضح كان المفروض ان اتصرف معها مثل سيدتها القديمة. ولكن سيدتها القديمة ميتة الآن واخذت معها سر وجود ميشلينا الى القبر.

اهداف كاذبة

هل راقبت يوماً من الأيام نهراً، وحاولت ان تتابع بعينيك حركة غصن شجرة وهو يطفو على سطح الماء؟ انه يبدو كما لو ان ذلك الغصن يبحث عن شيء ما هو يتحرك من هنا الى هناك، متوقفاً عند الخلجان الصغيرة بادئاً الحركة مرة اخرى مع التيار. بينما هو لا يبحث عن اي شيء، او بالاحرى، ان التيار هو الذي يجعله يتحرك كما لو انه يبحث عن شيء ما، وبطريقة يبدو فيها ظاهرياً كسولاً وهائماً ولكنه في الحقيقة ثابت ومتماسك وبنفس الطريقة هذه اعتقد ان حياتي قد سارت لحد الآن. قوة كسولة ملتوية ماكرة، قوة الحيوية المحصورة داخل جسدي كما لو انها في رداء شديد الضيق، هي التي دفعتني باستمرار من موقف الى أخر ومن رجل الى أخر. ان الأمر يبدو كما لو أن... كيف سوف اشرح الأمر؟ هنالك فكرة، هدف في عدم استقراري. وعلى العكس، لم يكن هنالك اي شيء. ليس هنالك شيء عدا عدم الاستقرار بالضبط.

ان ما يدهشني اكثر من اي شيء أخر حول هذه القوة هو مكرها. خذ على سبيل المثال، زواجي. فلقد كنت في الثامنة عشرة من عمري وكنت اجمل فتاة في المدرسة. فقيرة جداً وكانت امي ارملة تفتقد من يحميها او يعرفها، انخطبت لطالب فلسفة اسمه فاليرو، افقر مني، وهذا يوضح كل شيء. فلقد بدا واضحاً لي اني قد احسنت الأختيار، فلقد احببت فاليرو وكان يحبني هو بدوره، كان من النوع المفكر ولقد داهنت نفسي بأني من النوع ذاته. ولكن كان لفاليرو صديق مفضل اسمه روبرتو، وهو مهندس معماري وابن مقاول بناء،

دعني اخبرك الأن بأن حيويتي قادتني اليه. الأمر انها رمتني بين ذراعي روبرتو. ومن ثم جعلتني ان اكشف لفاليرو ان روبرتو يغازلني، وبالتالي ادى ذلك الى هدم صداقتهما.

وفي النهاية اوصلتني الى التعرف على اماليا، الفتاة التي تلتني في قلب روبرتو. ومن خلال أماليا عدت الى روبرتو، وصالحته مع فاليرو ونظمت رحلة الى باريس لأربعتنا معاً، ولكن في كهف سمبلون، وبينما كان القطار يسير في الظلام تبادلنا انا وروبرتو القبلات، ومن ثم عندما وصلنا الى جنيف. خرجنا معاً تاركين الاثنين المخدوعين لكي يكملا رحلتهم. والآن فان اجمل ما في الأمر كله، هو انه قبل دقيقة واحدة قبل القبلة، فاني لم اكن اعرف بأني سوف اقبل روبرتو. على اية حال، اليس كان من الأسهل والمنطقي بالنسبة لي أن اذهب مع روبرتو منذ البداية؟ وما الداعي لكل هذا المكر؟

مضى على زواجنا الان خمس سنوات، روبرتو وأنا. كان روبرتو الرجل النبيل المؤدب اللائق، ولكنه كان الابن عديم الحياة غير المهم لأب عصامي غني جداً. لقد كان والده يعيلنا، ولكن بمقابل ذلك اصر أن يعمل ابنه معه في شركته. وهكذا فلقد كنت عملياً وحيدة النهار بكامله ولمدة خمس سنوات، مدفوعة ومقودة بقوة حيويتي الغامضة، عشت احسن حياة اجتماعية من الممكن تخيلها. فلقد كنت اظهر في كل غرف الرسوم وفي كل المصايف، لم اكن اتخلف عن حفلة واحدة، او حفل استقبال واحد، كنت دائماً موجودة في الأمكنة التي تتطلبها قوانين التطفل الغامضة، ان المرء يجب ان يكون موجوداً. ولأنه ليس هنالك من حياة (اجتماعية) بدون اناقة، فلقد كنت من اكثر النساء اناقة في روما، ولو بطريقة غريبة ومدهشة، فلقد كنت دائماً كما لو اني متنكرة بزي ساحر تهكمي.

اما في الحياة الاعتيادية، وبالرغم من كل حيويتي الأجتماعية واناقتي، ولقد كنت ابحث بالرغم من اني لم اكن اعرف ابي ابحث، وكنت اخدع نفسي بالتفكير بدلاً من ذلك بأني منشغلة بالحياة الاجتماعية والأناقة. في احدى ساعات بعد الظهر، وكنت مرتدية زياً صينياً تقريباً، ذهبت الى بيت احد

الأصدقاء، الى احدى الحفلات المعتادة، وكان هنالك حشد هائل، حيث كان الجميع يشربون ويدخنون ويثرثرون وهم واقفين مضغوطين في اربع غرف صغيرة ضيقة. ومن ثم حجزني رجل متوسط العمر، ملتحي وقوي، وهناك غليون في فمه ويرتدي ثياب رجل ريفي نبيل، في فجوة الشباك وتحدث معي حول الأفكار الدينية الهندية. كان هذا الرجل يدعى تانكريدي، وهو ملاك في منطقة ماريما ويعيش في عزلة تامة في بيت يمتلكه في النهاية البعيدة من ممتلكاته. هل ترى كيف جاء المكر؟ بدلاً من ان يدعني اقابل تانكريدي في ممتلكاته، في عزلته، ادت حيويتي الى ان اذهب اليه في حشد وفي حفلة، في مكان ما كنت اتوقع ان اجده فيه، ولكن لماذا؟

عند هذه النقطة، يجب ان الاحظ بأن القوة الغامضة التي قادتني، والتي تكون بطيئة جداً ومخادعة اثناء وضعي في مواقف جديدة، كانت من جهة اخرى سريعة جداً في اخراجي من المواقف القديمة. لقد فهم تانكريدي وأنا احدنا الآخر خلال لحظة، وذلك من خلال تماس الركب البسيط والذي اعيد حوالي ثلاث مرات، بينما كان يحدثني عن الأديان الهندية. ومن ثم غادرنا معاً. وفي اللحظة التي كنت اسبقه فيها الى المصعد، ضربني على مؤخرتي، ضربة واحدة، ولقد كانت كافية. تركت ملاحظة لزوجي على حامل اجهزة قياس السيارة، ومن ثم ذهبت الى سيارة تانكريدي. وفي ذلك المساء نمت في بيته في ماريما.

وهكذا فانا الأن اعيش مع تانكريدي في الريف على تل اجرد يطل على البحر. لم تعد هنالك حفلات، ولا حياة اجتماعية ولا اناقة، مع تانكريدي كانت الحياة عزلة، بسيطة وفي ذات الوقت ذات طابع فلسفي. كنا نتمشى على الشاطيء او في الريف، نذهب للصيد وركوب الحيل، وفي الأمسيات بعد العشاء، كان يقرأ لي بصوت عالٍ كتب الأفكار الهندية وكنت اصغي اليه. لقد كنت سعيدة او هكذا تخيلت ومن ثم وكالعادة جاء تناقض الحيوية القاسي المفاجيء.

وفي يوم شتائي، وكان تانكريدي في المدينة للتسوق، ارتديت سترتي،

واخذت الكلاب معي ونزلت للتجوال على الشاطيء. مشيت لفترة طويلة على الرمال المتلالا في ضوء النهار الرمادي.

عندما جاء باتجاهي شاب لاحظته سابقاً في مناسبات ماضية، طويل، شاحب، ذو عينين وحشيتين وخصلة من شعر طويل ويرتدي بنطلوناً عريضاً وسترة جلدية قصيرة، حياني فرديت عليه تحيته، مشى الى جانبي وبدأ الحديث وفي الحال تقريباً اخبرني انه يحبني. لا اعرف ماذا حدث لي.

بدأت الركض خلفه بينما كان يمشي بخطوات واسعة برجليه الطويلتين، سبقني على الكثبان الرملية باتجاه بيته الصغير. ومع ذلك، فأننا لم نصل الى البيت، فلقد كان شوقنا عظيماً. فأبعد قليلاً وفي واد عميق مملوء بالعلب ونفايا البلاستيك المتروك هناك منذ الصيف، تدحرجنا ونحن متحاضنان. على الرمل الرطب البارد بين الأزبال بينما كانت الكلاب تنظر الينا بارتباك من فوق الكثبان. بعد يومين من ذلك، كنت في ميلان، في سليلو (لقد كان رساماً) ومرة اخرى اقتنعت بأني قد بحثت ووجدت.

قد تندهش من المسارات المتعرجة لحيويتي، فسليلو، الدي خدعت نفسي لمدة اسبوعين بالتفكير بأني أحبه، كان مجرد خطوة كاذبة اذا امكنني قول ذلك. فلقد ميزت الخطوة الصحيحة عندما اقام سليلو معرضاً في واحد من احسن المعارض. وهناك تابعني رجل قصير بدين ذو رأس كبير وشعر اسود يحتوي على بقع من شعر ابيض بعينيه بلا هوادة حيثما ذهبت بين الحشد في المعرض. ذهبت الى سليلو واخبرته عمن يكون. وفي نفس اللحظة، واجهنا الرجل، وقدم نفسه، ومن ثم مشيراً بأصبعه الى احدى اللوحات اعلى « سوف اشتري تلك ». ولكنه قال تلك الكلمات بطريقة جازمة، والأكثر من ذلك، انه لم يكن ينظر الى اللوحة ولكن الي، الى درجة انه تولد عندي الانطباع بانه يقول « سوف اشتريها »، وغريزيا نظرت الى سليلو، كما لو لكي ارى اذا كان مستعداً لبيعي.

ارمينيو، كان هذا اسم المشتري، والذي كان يسمى باسم « الممول » وهو يتصرف بأمور الحب كما يفعل في الأعمال، اي، انه لا يقوم بأي هجوم مواجه

على خصمه، بل على الضد من ذلك، يطوقه بالنقود. انه لا يشتري الرجل، ولكنه يشتري كل شيء حوله ويموله، وهذا ما فعله مع سليلو. فبانتظام اشترى كل لوحاته، وحوله الى نوع من المهرج الفنان في بلاطه الصغير من المتملقين والزبائن، ومن ثم عندما تأكد انه حوله الى مجرد حزمة من الأسمال في عيني، امرني ان اتركه ولقد اطعت.

استمرت علاقتي بأرمينيو اقل من سنة. وكما يحدث في البحر، حيث تفترس السمكة الكبيرة الأسماك الصغيرة فأرمينيو، الغني والمهم كان من بين اصدقائه رجل يدعى سيريو، كان اغنى منه بمئات المرات واكثر اهمية منه. ومن الناحية الجسمانية كذلك، فلقد كان سيريو نقيض ارمينيو. اذ كان الأخير ممتلئاً قصيراً اما الأول فلقد كان نحيفاً وطويلاً وشاحباً.

ولقد واجه هذان الرجلان احدهما الآخر في احد الأيام وامام عيني، مثل سمكتي قرش في قعر البحر. ففي نقاش يتعلق بالعمل لم افهم منه شيئاً ما عدا ان سيريو، اذا اراد فبأمكانه تدمير ارمينيو في اية لحظة. انا اتذكر الكلمات الساخرة التي هاجم بها سيريو في النهاية ارمينيو المهزوم غير القادر على الكلام، « لماذا، تخيل! لقد صنعت لك بضعة قروش والله وحده يعلم من تظن نفسك! ولكنك مخطيء غداً، اذا قررت ذلك سوف اعيدك الى اسمالك مرة اخرى، تركض من هنا وهناك قلقاً وذليلاً ». لم ينبس ارمينيو بكلمة واحدة لأنه يعرف ان ذلك امرا لا ينصح به. نهض سيريو، حرك يديه حركة وداعية وخرج. وبقرار مفاجيء تبعته والتحقت به في القاعدة « سيريو »، قلت له « لقد نسيت شيئاً »
ـــ « ماذا »!
ـــ « أنا »

أنا الآن وحيدة في غرفة نوم سيريو الفاخرة المبتذلة انظر الى نفسي بحيرة في المراة الكبيرة. لقد استيقظت تواً وانا الآن عارية وادقق في نفسي. هل ان لحيرتي علاقة بجسدي او بشيء آخر، على سبيل المثال، الطريقة الساخرة الماكرة التي تركت فيها ارمينيو؟ وفجأة فهمت: كان كلاهما. فأنا لم اعد الفتاة ذات الثمانية عشر عاماً المحرضة الغبية، أيام روبرتو وفاليرو، لقد عكست المرآة صورة امرأة

عديمة العمر، ذات جسم نحيف وتعبير مجهد جاف. وفي نفس الوقت فان الحيوية التي خدعتني بمكرها وبأهدافها الكاذبة ولكن ايضاً ببراءتها قد اختفت الى الأبد. ان عمر الكسل الوظيفي قد انتهى. وبدأ عمر الحسابات المتوازنة المباشرة البسيطة.

كلمات ممثلة

بعد أن طفت كل ايطاليا أمثل في مسرحية الانسة جولي لستريندبيرغ، مؤدية الدور الرئيسي فيها للمرة الاولى في حياتي. اصبت بانهيار عصبي عندما حلت الشركة واغلقت على نفسي غرفتي ولم اغادرها مطلقا، اما فيما يخص وجباتي الغذائية فلقد قمت باجراء الترتيبات التالية: أخذ الصينية التي تسلمها لي أمي من خلال الباب نصف المفتوح اكل شيئاً ما ومن ثم اعود الى الفراش مرة اخرى واطفيء الضوء لم تعد لدي اية رغبة في الحياة ولكن ليس لاي سبب واضح مجرد لانه ظهر لي ان العيش متعب وانا اتحمله اكثر من ذلك، ومن وقت لاخر كنت افتح عيني على اتساعهما في الظلام واهمس « يا يسوع دعني اموت بأسرع ما يمكن » ولكن لم اكن ضعيفة المعنويات او مشمئزة او مكتئبة كنت مجرد متعبة فقط.

كنت افكر بالطبع بالموت ولكن من الغريب القول اني لم ار هذا الموت في المستقبل كما لو اني سأواجهه عاجلاً ولكن كما لو أنه في الماضي او في الحقيقة قبل الماضي، وذلك لأننا نقف بين موتين: من الاول نأتي ونذهب باتجاه الثاني ولكن الاول اكثر تأكيدا لاننا كما يمكن القول قد جربناه، فاذا كان الموت في الحقيقة هو اللاشيء كما اعتقده فأنا عشت مسبقا خلال حالة اللاشيء هذه قبل ان اولد وبالتالي يبدو لي اكثر طمأنينة وراحة من اللاشيء الفانتازي الغمض الاخر الذي ينتظرني في نهاية حياتي، وهكذا فعندما اقول « يا يسوع دعني اموت بأسرع ما يمكن » فأن ما أعنيه في الحقيقة هو « يا يسوع

دعني اعود بأسرع ما يمكن الى حيث جئت » ان كل هذا بالطبع ليس واضحا في ذهني وقتها بنفس الوضوح الذي اذكره هنا ولكني اعرف ان هذا هو معناه بشكل او آخر.

وفي احدى الصباحات عندما كنت مضطجعة كالمعتاد في الظلام جاثمة على فراشي انتابتني نوبة سعال. ومن ثم تذوقت في فمي طعماً يشبه طعم الدم يجب ان تعرف ان بين سنتي الرابعة والسادسة عشرة كنت في مصح في الجبال اذ كانت لدي علامات اولية بالاصابة بمرض السل وحالما اصبحت واعية بهذا الطعم غمرني احساس بالفرحة الشديدة سوف اهجر كل شيء المسارح الشعبية، سوء السمعة الاستقبالات المقابلات كل شيء وسوف اعود الى المصح الذي يمكنني ان اراه بتوقع فرح بأجنحته الطويلة وغرفه المتشابهة وشبابيكه العارية التي اعتمادا على الطقس تتجمع على زجاجها حبيبات الثلج او يشرق من خلالها ضوء الشمس البراق غير الحقيقي ان كلمة (العودة) كان لها معنى خاصا في نفسي،انها كما لو اني ارغب في العودة الى المصح. لا لكي اشفى بل من اجل ان اموت ولكنني لم افكر على الاطلاق في الموت الجسدي انا اعرف هذا المرض وكنت متأكدة بأن من الممكن ان اتخلص منه مرة ثانية لا لقد شعرت ان الموت الذي اتوق اليه بهذا الشوق العظيم، هو الراحة الحقيقية الوحيدة، يعني العودة الى الحياة الجديدة المراهقة التي تنتظرني في المستقبل اذا عدت وعشت نفس الحياة التي عشتها سابقا.

وعندما توسط النهار، طرقت امي الباب كالمعتاد لكي تسلمني صينية غذائي من خلال الفتحة ذهبت لأفتح الباب وقلت لها ادخلي اريد ان اقول لك شيئا ما.

تدحرجت امي (ان هذه الكلمة الصحيحة اذانها صغيرة وكروية وتمشي بسرعة مثل الكرة) من الباب الى الشباك وفي الظلام رأيتها تسحب الستائر. امتلأت الغرفة بضوء ابيض بهيج من السماء شديدة الحرارة « واخيرا »! هتفت « يوم جميل جدا »! ارتدي ملابسك هنالك العديد من الاشياء التي يتوجب انجازها وخلال الايام القليلة الماضية اتصل بك هاتفيا العديد من الناس ولقد تعبت من القول بأنك غير موجودة في البيت ».

جلست على الفراش وحاولت ان اسعل مرة اخرى ولكن هذه المرة لم انجح « يجب ان اخبرك » قلت لها « بأني مريضة وبالتالي يجب علي ان اعود بأسرع ما يمكن الى المصح ».

— « ماذا تعنين بقولك انك مريضة؟ ما الذي جرى لك ».

— « لقد بصقت دماً، يبدو انه قد عاد مرة اخرى ».

— « ولكن هذا غير ممكن. لقد اظهرت الاشعة السينية بأنك قد شفيت تماماً ».

— « سوف اجري فحصا بالاشعة مرة اخرى وسوف تظهر بأني قد انتكست ».

— « ولكن ما الذي تقولينه؟ ان هذا غير ممكن ».

— « ممكن تماما وفي خلال مدة قصيرة سوف اتصل هاتفيا بالمصح لكي احجز غرفة ».

— « انتظري لحظة، ما الذي دهاك ما الذي يحدث لك؟ كيف تأكدت من الامر؟ »

— « اني احس به، كما اني رأيت الدم مادا تريدين اكثر من ذلك ».

نظرت الي ونظرت اليها. ومن ثم كرهت مظهر الخيبة على وجهها المدور ذي الملامح الدقيقة التي اصبحت اصغر بامتلاءه، ولقد فكرت « انه يحكي قصتها اتريدين ان تري كيف،؟ »

— « يا لسوء الحظ »! قالت « الان، عندما... »

— « عندما ماذا »؟

— « حسن، عندما بدأت تقطفين ثمار جهودك العديدة »

— « اية ثمار، اية جهود »؟

— « عندما تم الاعتراف بموهبتك كممثلة »

— « أية موهبة؟ »

— « وهل ستنكرين ايضا بأنك تمتلكين موهبة على الاطلاق؟ »

— « حتى اذا اعترفت بذلك فماذا يهم؟ »

— « ماذا تقصدين بقولك ماذا يهم؟ أن هذا يهم اكثر من أي شيء آخر ».

— « لك ولكن ليس لي »

— « لقد بدأت تخلقين اسما لك، لأن تكوني شيئا ما لقد بدأ الناس يتحدثون

عنك كأمل امين للمسرح الايطالي وفجأة ها نحن يجب ان يتم بناء كل شيء من جديد واي حظ سيء بالنسبة لي! ان هذا حقا لا نحتاجه مطلقا »

نظرنا الى كل منا في صمت وفجأة فهمت بشكل تام وواضح بأن موضوع المحادثة بيني وبين امي لم يكن مرضي ان طعم الدم اثناء نوبة السعال كان بالتأكيد ليس بسبب السل: لقد كنت متأكدة من ذلك.

لا ان الموضوع بيني وبين امي كان حقيقة الحياة وامتلاك الرغبة في العيش ليس لدي الرغبة في العيش. ان المصح الذي اردت ان اعود اليه كان في الحقيقة رحم امي الذي لفظتني منه بأحكام الضرورة، وكما قالت هي بشكل صحيح. بانها قد اخرجتني للضوء ولقد كنت اكره بكل روحي ذلك الضوء بالذات وهذا هو تفسير توقي للظلام البدائي وبدلاً من اقول لها اعيديني الى المصح كان يجب ان اقول اعيديني الى داخلك، بل في الحقيقة الى ابعد من ذلك الى اللاشيء الذي كنته قبل ان تحملي بي.

حقا لشيء جميل ان نقول اشياء مثل هذه الى امرأة مثل امي بل في الحقيقة الى اي ام بقيت صامتة لفترة قصيرة ومن ثم سألتها « هل لك ان تخبريني بم فكرت عندما ولدت؟ »

— « ماذا تعنين »
— « ان ميلاد طفلا على اي حال. هو نتيجة لرغبة ان المرء يتمنى او ان لا يتمنى انجاب طفل الى هذا العالم هل تمنيت ذلك هل فعلت ذلك؟ »
— « ولكن ما علاقة ذلك الامر الآن »؟
— « اجيبي على هذه النقطة: هل اردتني ان اولد؟ »
— « بالتأكيد بالطبع انا اردتك وكذلك ابوك لقد كنت طفلنا الاول عندما ولدت كنا سعيدين معا ».
— « جيد وانا عندما ولدت، هل كنت ابدو سعيدة عندما ولدت ».
— عم تتحدثين بحق الشيطان؟
— اجيبي على سؤالي: هل كنت سعيدة عندما ولدت؟ هل ضحكت، هل

صفقت بيدي ونظرت بفرح واعجاب من حولي؟ ـ او ـ كما هو اكثر احتمالا بكيت واشتكيت بمرارة؟

تركها السؤال فاغرة الفم. وفي النهاية اعترفت مجبرة بالطبع، كما يعرف الجميع، يأتي الاطفال الى الدنيا وهم يبكون. ولكنك في اللحظة التي ولدت فيها، كان لك صوت عال بشكل استثنائي دلل على حيويتك.
ـ او، من جهة اخرى، هل يمكن القول، انه دلل على يأسي؟

وفجأة وكالعادة انفجرت امي باكية. ولقد بقيت عديمة الحركة، وتغطى وجهها بدموع كبيرة مدورة مثلها، كما لو شخصا ما دلق ماء على وجهها. ومن ثم انفجرت ضاحكة، بعصبية وسحبت اغطية الفراش وقفزت خارجة منه، وانا اهتف الم تفهمي اني كنت اريد ان انكت؟ الا تعرفين ان الممثلين يتظاهرون حتى في الحياة الحقيقية؟ انا معافاة تماما ويجب ان لا تصدقي ما اقول. كلمات ممثلة يا أمي. كلمات ممثلة!..

المرأة... الحصان

بينما كنت اخرج من السيارة، في حرارة منتصف النهار الساطعة، قال لي احدهم لم استطيع تبينه: « انك مثل حصان كبير » بينما كان يمر قريباً مني. دخلت البيت، كان والدي قد جلسا الى المائدة مسبقاً وكنت استطيع رؤيتهم من خلال الباب الزجاجي. ذهبت الى غرفتي مباشرة، وخلعت ملابسي بسرعة لكي استحم، صعدت الى الحمام عارية. كان الحمام مصفراً بسبب تقادمه، امسكت (بالدوش) اليدوي القديم، ووجهت تدفق الماء الضعيف نحو جسدي، كانت هنالك مرآة مستطيلة قبالتي في الحمام وبينما كنت ارش نفسي بالماء كنت ارى كامل جسمي.

بينما كنت انظر الى نفسي في المرآة عادت كلمات (حصان كبير) الى ذهني، ولم استطيع الا تمييز الحقيقة فيها. انا في الحقيقة طويلة جداً؛ ذات اكتاف عريضة، وحوض عريض، ولكن لي سيقان طويلة ونحيفة ورشيقة، وبشكل عام، فان الماكنة الانثوية الكبيرة لجسدي تعطي انطباعاً بالتناسق وحتى بالاناقة بالضبط مثل الحصان، لان الخيول هي الحيوانات الوحيدة التي تكون كبيرة ورشيقة في نفس الوقت، ولكن واحسرتاه، فان وجهي العظمي يشبه ايضاً وجه حصان، بالجبهة الواطئة جداً والأنف الطويل والفم الواسع، وفوق كل ذلك، فان عيوني التي تذكر بعيون حصان، مدورة؛ سوداء، رائعة، ومع ذلك تعكس قلقاً عديم المعنى في اعماق شفافيتها.

عند هذه النقطة، بدأت اتساءل فيما اذا كان عابر السبيل الّذي اسماني

بالحصان الكبير كان ينوي اظهار اعجابه بي. ومن ثم قررت أن كل ما عناه هو أن يصفني. ولكن الأمر هو كذلك بحق، فأنا « حصان كبير »، فتاة اذا تزوجت فانها تتحول الى ربة بيت فقط، ولكن بدلاً من دلك، وببقاءها غير متزوجة، سوف تتحول الى صورة كاركتيرية لنفسها وتنتهي بأن تصبح شبيهة بحيوان.

عاودتني فكرة الحصان بعد وقت قصير مرة أخرى عندما كنت جالسة الى المائدة. مد والدي يده لكي يضربني ضربة خفيفة وفجأة نخعت رأسي بعنف بعيداً، مثل الحصان تماماً. عندها خاطبتني أمي فجأة « روزانا » وعند ذكر اسمي جفلت مثل حصان خجول تماماً، ومن ثم سألتني امي « لماذا، ماذا دهاك؟ بم تفكرين؟ ».

كنت افكر اني أكره والدي وشعرت بأني لن استطيع الاستمرار في العيش معهم. ولكني كنت افكر كذلك في انهم لم يلحقوا اي اذىً بي واني لست سعيدة معهم لمجرد انهم سعداء وان سعادتهم تستبعدني.

ان هذه السعادة تحتاج الى تفهم بشكل واضح، ربما يكون اكثر صحة القول؛ بأنهما قد نجحا في خلق نوع من التوازن بينهما، علاقة ما، كما كانت عليه، لاجزاء تكمل بعضها الاخر. حقيقة ان كل واحد منهما يستطيع ان يقول للاخر بلغة الطبقة الوسطى « ان هذا نصفي الأفضل » ولسوء الحظ، مع ذلك فأن الكل الذي يكونه هذان النصفان ليس لطيفاً جداً، وهكذا، فالى جانب الاحساس بالاستبعاد اضيف الشعور بالتمرّد.

هذه صورة لوالدي: وجه منتفخ مترهل، عيون زرقاء فاتحة ذات تعبير ابله، انف بصلي، فم جشع، شعر اشقر يتحول الى رمادي لكنه لا زال مجعداً واشعث دائماً. ان شخصه كله يعكس شهوانية حمقاء بغيضة جداً. والان امي انها اكبر سناً من ابي، قد تكون عمته او اخته الكبيرة في نحافتها باررة العظام، في صرامتها المجنونة. وليس لديها حتى قطرة واحدة من الشهوانية التي تثير اشمئزازي عند والدي ان هذا مكروه عندي ايضا. ليس صحيحا ان يكون المرء

شهوانياً الى الدرجة التي كان عليها والدي او عديمها مثل الحالة التي كانت عليها امي.

ومن ثم حدث شيء ما حرك آلية فرح والدي. الخادمة التي تحدثت عنها والدتي لمدة عشرة أيام قبل أن تأتي الى الغرفة. ولقد اندهشت مرة أخرى (لعدم ملائمة) هذه المرأة، والتي مع ذلك تحولت من وجهة نظر امي وابي بسرعة الى (ملائمة) ناضجة ومثيرة في الظاهر، اذ صبغت شعرها بلون احمر نحاسي قبيح، وهناك خصلة واحد طليقة متعلقة باستمرار فوق العيون المشؤومة عديمة الحركة. كانت صغيرة ومشوهة تقريباً وذات صدر وخلفية كبيرة، وهي تعمل على تصحيح هذا النقص الطبيعي من خلال الغطرسة الحمقاء المبتذلةِ في مشيتها، وهي تخدمنا بسيماء من يؤدي مهنة ليست مصممة له ومحتقرة لديه، اذ كانت تمسك الصينية. بزاوية خطرة وتدير رأسها بعيداً، كما لو انها تقول « هيا اسرع اني انتظر »، وكانت عينا والدي تلاحقها في كل حركة وكانت عيون امي تلاحق نظرات ابي، ثم سلمت امي الصينية الى والدي فأحتال وهو يضع يده على المائدة ان يمس يدها بخفة، فقالت امي بهدوء « ان المرء لا يمس يد الخادمة ». اخذ والدي الطعام، كما لو انه لم يحدث اي شيء وبدأ يأكل بصمت.

لماذا اقول انهما كانا سعيدين؟ لأنهما يساندان احدهما الاخر اذ ان شهوانية والدي تبرر اخلاقية امي بنفس الطريقة التي تبرر بها الأخير شهوانية والدي. كنت في بعض الاحيان اتساءل عما كانت عليه الامور في البداية، كيف حدث هذا التوازن غير قابل للكسر للمرة الأولى، ولم أكن اتوصل الى اي حل. ربما كانت هناك شهوانية وأن الأخلاقية نشأت كرد فعل عليها، ولكن ربما على النقيض من ذلك، كانت هنالك اخلاقية وأن الشهوانية انفصلت عنها كنوع من التخفيف. على أية حال فانَ المناصفة بين أمي التي تقمع وأبي المكبوت تعمل بصورة ممتازة. ويمكن البرهنة عليها، اذا لم يكن لمشاركة العائلة حياتها، فأني كنت اشعر دائماً، على امتداد السنين بأني كنت استبعد بطريقة ماكرة منها.

كنت افكر في كل هذه الأمور ورأسي منحني الى الأمام على صحني الذي

لم امسه، دون أن آكل. ومن ثم فجأة انتابني اندفاع حصان، رأيت الخادمة تمشي عبر الغرفة وكان والدي يلاحق حركتها بنظرة مختلسة. قالت امي بصوت خافت « انظر الى الأمام »!، وضعت منديلي على المنضدة، وتمتمت بأني لست جائعة وقفزت بسرعة وذهبت الى غرفتي.

رميت نفسي على الفراش وانتظرت بفارغ الصبر حتى اغلق والديَّ غرفتهما عليهما لقيلولة الظهيرة، وبينما كنت انتظر لم أكن افكر في أي شيء، كنت مجرد شاهدة مندهشة للأضطراب غير المتماسك في ذهني، وفي النهاية، وحالما تأكدت أنهما نائمين، قرعت الجرس..

كان هناك طرق على الباب « ادخلي » قلت، فوقفت الخادمة في الباب دون أن تدخل، منحنية بطريقة كسولة مألوفة على عمود الباب « مارغريتا » قلت لها، « الا تعتقدين أن الامور لا يمكن أن تستمر على هذه الحالة؟ »

وبشكل غير متوقع، وافقت في الحال مع وجهة نظري « اعرف، ولكن هل تخبريني ماذا يجب أن افعل ».

ــ « اتركي العمل ».

ــ « لقد حاولت ذلك اربع مرات. ولكن أمك شبكت يدها ورجتني أن لا اذهب، لذلك بقيت ».

ــ « والان. اخبريني الحقيقة: هل اقنعتك امي أن تبقي مقابل ان تعرض عليك زيادة عالية في الاجور »؟

ــ « حسن، نعم، ولكن ماذا يجب أن افعل ارفض؟ »

ــ « انا لم اقل ذلك ».

ــ « اذن اسألك مرة أخرى: ماذا يجب ان افعل ووالدك يضع يديه عليَّ في كل لحظة ممكنة، وامك التي تدفع لي ضعف اي شخص أخر لكي ابقى؟ »

هنا تفجر غضبي الحصاني وبدون تفكير تقريباً قلت:

ــ « قولي لوالدي انك موافقة على شرط أن يترك امي ويذهب للعيش معك ».

رأيتها تنظر الي نظرة دهشة اصلية، كانت امرأة ذات حس سليم اساساً،

وهنالك اشياء لا يمكن ان تفهمها وببطء سألت « هل انك تقترحين علي مثل هذا الاقتراح حقاً؟ »

- « على اية حال، اطلبي ان تجلسي وتأكلي معنا على المائدة كأحد افراد العائلة ».

لم تقدر مارغريتا افكاري المتطرفة فتمتمت « اي عائلة! » ثم ذهبت ببطء تاركة الباب نصف مفتوح.

عندما اصبحت وحيدة ذهبت الى الشباك ونظرت بطريقة غبية الى الشارع. نحن نعيش في (الفيا نازيونال) في الطابق الاول من بيت قديم. صفوف اربعة من السيارات، صفان يسيران باتجاه والاخران في الاتجاه المضاد كانت تتقدم ببطء خلال الجو المعتم بالحرارة الجائرة ودخان البنزين. من بين كل هذه السيارات كانت هنالك عربة يجرها حصان تسير بطريقة محترمة. كيف يبدو الحصان غريباً في وسط كل هذه المكائن! كيف يبدو فضولياً بجسمه الطويل الكبير على ارجله الاربعة النحيفة! وبأي وضوح يمكن ان يراه المرء وهو يعض باستمرار على الشكيمة غير قادر على ان يلائم نفسه مع سير السيارات الالي! راقبته باحساس مندهش ودي. يبدو ان كلمات (حصان كبير) لا زال لها تأثير علي بينما كنت انظر الى العربة تسير ببطء شديد بين السيارات بدأت ابكي مستندة على افريز الشباك وانا الصق شفتي لكي امسك بالدموع مثلما يلصق الحصان فمه لكي يمسك بقطعة سكر.

الجنوب العميق

صيف مدهش! اي صيف رائع! كنت في واحدة من فتراتي الطيبة، وكنت، كما يقولون، الى جانب نفسي في متعة العيش المجنونة. انا اميل الى القصر، وذات صدر كبير، ووجه طويل شاحب وشعر ناعم، لست مثيرة للاهتمام في الحقيقة. حسن، خلال ذلك الصيف، حولتني متعة العيش حتى من الناحية الجسدية، فلقد اصبح شعري مثيراً، وعيوني مثل عيون مهووسة وكان وجهي احمراً نارياً، حتى شعرت بأني اصبحت أطول قامة. اما فيما يتعلق بصدري، بلواي الكبرى، وذلك لأني كنت أحركه من هنا الى هناك، مقتربة من تقديم عرض له تقريباً. صيف لا ينسى! كنت أنام على التوالي اما في بيت ماركو او في بيت برناردو، كنا نستيقظ في الساعة الحادية عشرة، نجري اتصالاتنا الهاتفية لنلم شمل مجموعة الأصدقاء، ثم نذهب الى البحر، في سيارتين او ثلاث، كلنا فتيان وفتيات في نفس العمر تقريباً. عند الشاطيء نركب زورقاً مجهزاً بمحرك، وفي رمشة عين، نكون قد ابتعدنا عن الساحل. هناك نقوم بفعل كل الأشياء العري الكامل، الغوص، التزحلق على الماء، الصيد تحت الماء عراة واحداً فوق الآخر نتشمس الى نقطة الخدر الكامل. نأكل بضع شطائر ومن ثم نرجع الى روما في وقت مناسب لنغسل اجساما ونخرج لنتعشى في بعض مطاعم (البيتزا) او مطاعم الوجبات الخفيفة. وفي الحال، بعدئذ، نندفع الى نادٍ ليلي احلى لحظة من اليوم. اي متعة! اي جنون! كنت ارقص وارقص وارقص. ومع الضجيج الهائل لعديد من (الكيتارات) الكهربائية التي يضخم من خلال مكبرات الصوت، كنت أنتهي

بملابسي الداخلية فقط محاطة بدائرة من المعجبين المصفقين حتى يأتي البواب ويطرد المجموعة الى الشارع. في ذلك الصيف كان لدينا ولع خاص بالنافورات. اذ حالما نخرج من الملهى الليلي، في حوالي الساعة الرابعة صباحاً، كنا نذهب لنرمي انفسنا في واحدة من نافورات روما العديدة، الباركاكيا في بيازا دي سبانيا، او نافورة تريفي، او النافورة في البيازي نافونا، اوالحوض في بيازا باربريني. وفي بعض الأحيان كنا ننتهي في مركز الشرطة. والغالب، أن نكون مبتلين حتى النخاع وملابسنا ملتصقة على اجسامنا فنذهب ونستلقي حميعاً، في أحد البيوت هنا أو هناك. آواه، اي صيف رائع! ومع نهاية الصيف، تنتهي فترتي الطيبة ايضاً، وتبدأ فترتي الرديئة، اذ تفرق شمل المجموعة وعدت الى بيتي في الجنوب، حيث تمتلك عائلتي، الغنية جداً، نبيلة المحتد جداً والمنحطة جداً، املاكاً اقطاعية بحجم المقاطعات. الجنوب! نتحدث عن الجنوب! في بعض الأحيان ولأمر يتعلق بالجنوب الأمريكي، قرأت مرة في الصحف مصطلح الجنوب العميق هراء!! أن الجنوب العميق حقيقة، الغاطس حقاً هو جنوبي أنا.

اذ من الممكن القول بأن المرء لا يستطيع أن يذهب اعمق من ذلك، دون أن يموت. على اي حال، أنا نفسي يجب أن اموت! ان هذه درجة العمق، بمصطلحات الرحلة أولاً طريق المرور السريع المملوء بالسيارات تم طريق ثانوي، مزفت ولكنه أقل استخداماً ثم طريق فرعي، لا زال مؤقتاً ولكنه فارغ تقريباً، ثم طريق مغطى بالحجارة المسحوقة، طريقنا الخاص، الذي يمر عبر املاكنا الخاصة. تلال جرداء، ان المنطقة كلها مخصصة لزرع الذرة، وعلى امتداد الطريق كان المزارعون يحيونني. وفي النهاية طريق ترابي في نهايته وعلى تل مكشوف يقف بيتنا. ما أن ذهبت بدأت احس اني اصبحت اقصر مرة أخرى، وبصدر كبير وشعر مستقيم ووجه صغير شاحب غير مثير للأنتباه. ان فترتي الرديئة قد ابتدأت مرة أخرى، ليس هناك خطأ في الأمر.

كان بيتنا مثل سرطان هائل له امتدادات منحنية تشكل كلابي السرطان. وفي الخلف يوجد الباب الرئيسي الباروكي* مكونا فم السرطان.

* طراز الابواب من القرن السابع عشر يتمير بالرخرفة المعقدة. (المترجم)

بان افقد رأسي، عندها أخلع حذائي، وبلوزتي، وتنورتي :وارقص وحيدة سرطان؟ انه يشبه العقرب اكثر من السرطان! وعندما ظهر كبير الخدم، مرتديا سترة العمل ولحيته ذات الثلاثة ايام انحنى وقبل يدي واسماني صاحبة السعادة، سألته بصوت خافت « اين جدتي »؟ ومن ثم تحركت باتجاه الباب الامامي لان جدتي خرجت وكانت تتحرك باتجاهي وهي تومىء نفس العجوز القديمة المهملة بأنفها الذي يشبه انف قرصان وشارب يناسبه. اميرة ودوقة ذات القاب لا تنتهي. حضنتني وصاحت لقد وصلت في الوقت المناسب للغداء ان لدينا (باستا الفورنو)! ان كانت جدتي تصرخ باستمرار وبحكم العادة. اذا افترقنا كانت تريد القول لا تصرخوا، تحدثوا بهدوء. لم اصغ اليها، وبصمت تام، ذهبت الى غرفتي مباشرة غرفة كبيرة الحجم ذات اربعة شبابيك على الواجهة وذات سرير مظلل، خلعت ملابسي في الحال ودخلت الفراش اني اريد ان اموت فكرت نعم، اموت. اموت لا ان استمر في العيش. وهكذا بدأت فترتي الرديئة.

نائمة الان اغطية فراشي، واحيانا تحتها. قضيت شهرين في الفراش خاملة وذراعي مسبلين بلا حراك عيوني مثبتة على الشبابيك التي ارى من خلالها السماء، دائما ولك يوم، سماء اسقمرية*: سماء فتراتي الرديئة يكتب باستمرار واحسست باني اريد الاستمرار في الحياة واني كنت اريد ان اموت.

وفي احد الايام وبينما كانت جدتي تصرخ كعادتها اندفع الى غرفتي شاب ذو جمال استثنائي ومن ثم غادرني كان من اقربائنا البعيدين. ولقد قال لجدتي « هل الينورا ليست على ما يرام؟ سوف انظر في الامر » والان ها هو يقف امامي وسيم، وسيم جدا. ذو شعر اشقر. عيون زرقاء فاتحة مجنونة تقريبا ومعبرة بشكل شديد، وجه ابيض ووردي معافى وصلب شاب اشقر صغير، وفم احمر. كان اسمه كورادو، وكان نشيطا جدا مبتهجا ومثارا بشدة. هيا اخرجي من الفراش! صرخ الحياة تنتظرنا! واجبرني على ان انهض واتبعه ذهبنا للتجول بالسيارة وبينما كان يسوق تحدث باستمرار كان ذو ثقافة واسعة متعددة

* السماء الأسقمرية سماء تتلد فيها صفوف من السحب شبيهة بالسيور والتي تسم طهر السمك الاسقمري (المترجم).

وخصوصا في مسائل الاثار والنصب والمتاحف وكنت انا بالرغم من احساسي بأني عجوزة متعبة، لم اتمكن أن امنع نفسي من الاصغاء اليه مندهشة. انا غبية متل معزة ولكن الثقافة تعجبني: وخصوصا اذا قدمت بمثل هذه النار ومثل هذه الحيوية التي ابداها كورادو وفي ذلك اليوم زرنا قلعتين ومتحفاً.

كان كورادو يعرف كل شيء، فلقد كتب عددا من الدراسات حول النصب طبعها بعدئذ على نفقته الخاصة ولقد كان متحمسا للملوك والملكات والشخوص التاريخية للمسيحيين والاتراك، للأحجار واللوحات والتماثيل وفي المتحف تركنا امين المتحف لوحدنا، وبعد معانقة وقبلة وقبلة ومعانقة، وبشيء واخر وبوجود حيويته المتدفقة وكسلي المميت، حدث الشيء المتوقع وتخيل اين! على سرير تاريخي في احدى غرف المتحف سرير مغطى بقطيفة ذات لون خوخي فاتح ذو اربعة حبال حريرية من حوله، كان السرير يعود لملك او ملكة من احد اجزاء بلدنا ولم يظهر امين المتحف الذي رشاه كورادو على ما يبدو ابداً، وفي النهاية كنت متعبة، كسولة مثل جثة وقلت له والان اصغ الي اتركني هنا على هذا السرير التاريخي، اذهب وفي صباح الغد سوف يجدوني ميتة وليس هناك فرق سواء اذا مت في المتحف او في بيتي الخاص: ان هذا لا يفرق، ولكن مجرد تحيل، فلقد انفجر في نوبة من الضحك مں فمه الجميل جدا واسنانه المكتملة مما اجبرني على ان انهض من الفراش وهكذا بدأت علاقتنا الغرامية.

علاقة بين عجوز منعمة مثلي ووحش ممتلىء بالحيوية متله. علاقة غرامية اخذتنا على الدوام الى القلاع والمتاحف والابراج والقصور والاثار. كنت أتبعه واعيد عليه القول بأني اريد أن اموت وكان يجيبني بضحكاته العالية التي كانت تهز خدوده المعافاة، وهو يقول بالعكس يجب ان استمر في الحياة، اذا لم يكن من أجلي فلاجله.

في النهاية قررنا أن نذهب الى روما معاً سافرنا بالسيارة ،وكنت أنا التي اقودها. وبالتدريج، وكلما حررت نفسي من الجنوب العميق. من الطريق الترابي الى الطريق الثانوي ومن ذلك الطريق الفرعي ومن الفرعي الى طريقة المرور

السريع. احسست بأن فترتي (الرديئة) بدأت تختفي تدريجياً وأن فترتي (الطيبة) بدأت تجعل نفسها محسوسة. لم تعد السماء اسقمرية، كانت مليئة بعدد لا يحصى من الغيوم البيضاء والذهبية اصبحت مبتهجة اكثر فأكثر، حتى أني نسيت كورادو، ومن ثم جعلني صمته وهو المهذار اشك في امره. وبينما كنت اسوق نظرت اليه نظرة جانبية. كنت على وشك الفشل في تميزه. هابط في مقعده، منكمش، مترهل. عيناه نصف مغلقتين. كان على وجهه وكل جسمه انطباع معروف عندي جيداً. كآبة قاسية « سألته ما الخطب ». فأجابني بصوت خافت « لا تقلقي، انها فترتي الرديئة لقد جاءت الان. أني اشعر، بها أنها لا شيء. سوف تستمر لفترة قصيرة ومن ثم تمر ».

ــ « كم تطول هذه الفترة »؟

ــ « أوه، حسن. في المرة السابقة بقيت في الفراش لمدة شهرين ».

في روما ذهبنا الى احد الفنادق. وحالما وصلت غرفة أنا، ولسوء الحظ. مع ذلك فان فترات كآبته تتوافق مع فترات ابتهاجي وبالعكس، ولهذا فاننا لا نمتلك حتى راحة المعاناة معاً بعد أن تمتعنا معاً، ولكني كنت مغرمة به جداً. فلقد كان حبي الاول. ولذلك بقيت مخلصة له، حتى عندما اقضي الأماسي والليالي مع رجال أخرين، لقد احببته كثيراً وشاركته في كآبته، ووائمت نفسي معها الى درجة حميمة بحيث أني في النهاية وفي لحظة من البهجة العالية. وفي مناسبة عندما كان يعيد عليَّ باستمرار وبصوت ضعيف أوه. انا لم اعد راغبًا في الحياة. اريد ان اموت، اموت. اموت. أوه يا ربي، دعني اموت باسرع ما يمكن فصرخت به دعنا نموت معاً. أنت سوف تموت لأنك تكره الحياة. وأنا سأموت لأن عندي حب عنيف للحياة. وهكذا فان رعبك من الحياة ومتعتي في العيش سوف تتحد في ذات الموت.

كان الوقت متأخر في الليل وكنت قد عدت تواً من الملهى الليلي حيث رقصت لمدة خمس ساعات. وفي النهاية هز كورادو رأسه. فلقد منعته كآبته من اتخاد اي قرار، وهكذا فلقد استلقينا معاً، كل في سريره الخاص وكانت هناك منضدة الى جانب الفراش وعليها قنينة ماء وقنينة حبوب منومة بين السريرين.

استغرقت في النوم في الحال، وكنت سعيدة وممتلئة بالحياة. وفجأة ايقظني صوت تلمس مفاجيء على المنضدة مددت يدي في الظلام فصادفت يد كورادو، كان يدير كامل قنينة الحبوب في قدح الماء، كنت لا ازال اشعر بالبهجة قلت له حسن فعلت، اعطني القدح سوف اشرب نصفه بينما تشرب انت النصف الآخر، لم يقل شيئا بل سلمني القدح فشربت نصف القدح واعدته اليه في الحال استغرقت في نوم مميت.

استيقظت بعد يوم في غرفة المستشفى. كانت جدتي الى جانبي فصاحت بي وأخيرا استيقظت، الحمدلله! لم أفهم على الاطلاق فاستمرت جدتي بالصراخ تريدين الموت لأن احدهم يسمى كورادو قد تركك وعاد الى بيته والى ناسه! ما الذي حدث لك؟ لقد هرب بسيارته وفي الحال ابتلعت قدحا كبيرا من الحبوب المنومة. انك لا زلت شابة! والعالم مليء بأمثال كورادو. لكل كورادو يضيع هناك المئات الذين يمكن ايجادهم هل رأيت ما حدث؟ لقد غير كورادو رأيه، انه لم يتناول الحبوب ولكنه بدلا من ذلك غادرني بسيارته متجها الى جنوبه، جنوبه الخاص العميق، حيث تنتظره القلاع والمتاحف والاثار والدراسات، انه في هذه اللحظة بدون شك ينفجر بالضحك الممتلىء بالحيوية. الى جانب نفسه من الشعور بالخفة والمرح. وكما قلت، بالرغم من محاولة الانتحار التي تم اجهاضها والتي تمت من خلال الحب وبالمتعة المندفعة بالحياة، فلقد وجدت نفسي في احدى فتراتي الطيبة. وفجأة بدأت اضحك واضحك واضحك، ومن ثم قلت لجدتي التي كانت تحملق بي مندهشة من الان فصاعدا سأبقى في روما ويمكن ان يبقى كورادو هناك في ريفه.

السيدة كوديفا

يعتبرني زوجي امرأة مثالية، ولكن هذا لا يسرني على الاطلاق بل في الحقيقة، واذا اردت ان اكون صريحة تماما، فيجب القول ان هذا الامر يزعجني. يجب ان اعترف بأني امرأة جذابة، بل ربما كنت جميلة، ذات بنية عضلية ممتلئة بالحيوية ووجه قوي تكسبه عيوني الزرقاء الغامقة نعومة، وكتلة الشعر الكثيفة الشقراء. ولكن في سن الخامسة والعشرين هل هناك امرأة غير جذابة، وبصراحة انا احب كل انواع الرياضة فأنا سباحة ماهرة، وراكبة خيول اكثر من مقبولة ومتزحلقة خبيرة ولكني لست الوحيدة، فالنوع الرياضي من النساء متوفر هذه الايام، اما زوجي من جهة اخرى فلقد كان يعتبرني شيئاً نادراً، حالة استثنائية ولقد توحدت في عقله العنيد قابلياتي الرياضية مع جمالي، لتشكل صورة مثالية ايجابية لم استطيع فيها من تمييز نفسي.

الى جانب، ان في الزواج، يجب ان يكون كل شيء معكوساً حتى المثالية، ولكن في الوقت الذي يعتبرني زوجي مثالية، فأنا لا اعتبره كذلك، ليس على الاطلاق فأنا اراه كما هو غير محظوظ في مظهره الجسدي (ان هنالك شيئاً فيه يجعله يشبه حافظ المقدسات في كنيسة؛ وجه دهني ممتلىء بابتسامة حمقاء، بصره قصير مثل الخلد، فاتر الهمة في ما يسميها دراساته (علم الآثار الاترووري والتحليل النفساني*)

---

*اترووري منسوب الى اتروريا وهي بلاد قديمة في غرب ايطاليا (المترجم)

فلقد كان يخربش منذ عدة سنين، ولكن لم ينتج منها اي شيء وذو نوعية مختلة ورثها من عائلة (عائلة قديمة ذات نبالة ثانوية من اقليم ماريما مليئة بغريبي الأطوار والاشخاص غير المهمين والمجانين)

وفي بعض الأحيان، عندما يضغط على اعصابي كنت اصرخ بالحقيقة في وجهه: اتعرف لماذا تراني بالتشكل الذي لست أنا عليه، اتدري لماذا تعتبرني مثالية لأنك تعيش على واردات ممتلكاتك دون ان تعمل، لأنك تقضي النهار عاطلاً والعطالة دائماً تنتهي بأن تجعل الناس يفقدون قدرتهم على الاحساس بالواقع وذلك من خلال الايحاء للناس بافكار وهمية، نعم لأن هناك شيئاً وهمياً في الطريقة التي تنظر لي بها أنا لست كما تعتقد. انا امرأة شابة وجميلة رياضية، هذا كل شيء. ولا تعتبرني مثالية الأخلاق ايضاً لأني كنت فقيرة واردت ان اصبح غنية. لقد تزوجتك من اجل نقودك دون ان احبك.
ـــ « هل ترى ذلك »؟

ولكن هل تصدق هذا؟ ان كل هذا الصدق القاسي ليس له اي تأثير عليه، كل ما قاله انه ليس مهماً بالنسبة له أن احبه بل أن يحبني هو. ومن ثم في محاولة لنقل هذا الحب فأنه ذهب الى حد انه رمى نفسه على قدمي وقبل حذائي الطويل المصنوع من جلد البقر والذي مع بنطلون مبقع بقطع جلدية وقميص مربعات يشكلان الزي التقليدي الذي ارتديه في الريف باستمرار تقريباً.

السيدة كوديفا! كيف ارهق زوجي اذاني باسطورة هذه السيدة النبيلة التي عاشت منذ قرون عديدة مضت والتي من اجل أن تخلص الفلاحين من فقرهم وهم المضطهدين المسحوقين بالضرائب التي يفرضها عليهم زوجها، وافقت على ان تركب على حصان خلال شوارع كوفنتري مرتدية لا شيء سوى شعرها! قال زوجي اني اشبهها في كل نقطة لأني كنت صغيرة ولاني امتلك كتلة هائلة من الشعر واني كنت قادرة مثل السيدة كوديفا! ان اغطي جسمي بتعري. حتى ذهب الى ابعد من ذلك، في احدى لحظات اللهفة، اسماني كوديفا بدلاً من باولا، الذي هو اسمي ولكن التشابه غير موجود. فأنا لست من اصل نبيل (فأنا ابنة رجل الاشارة في سكة الحديد): وانا لم احب الفلاحين مطلقا: فأنا اعرفهم

جيداً وفي النهاية لا أمتلك ادنى درجة من الرغبة في الاستعراضية لأنه ليس هناك من انسان يمكن أن يقنعني بأن هذه الكوديفا، من خلال عرضها لنفسها عارية على ظهر حصان لم تكن تتبع مزاجها الخاص.

ولكن لا يستطيع التخلص مطلقاً من ولعه بالسيدة كوديفا لأنه، وكما قلت يعيش في بطالة وبالتالي لديه النهار كله لكي يفكر في اموره الغريبة هذه. ولقد بلغ به الولع الى درجة ان عرض علي اقتراحاً: لكي اوفر له المتعة، فاني يجب ان اركب الحصان في احد الأيام عارية تماماً وأن اتركه وهو يراقبني بينما أدور ببطء على ظهر الحصان في الفضاء المكشوف امام بيتنا، ربما في الليل عندما يكون القمر مكتملاً. لقد اقترح هذا الاقتراح المجنون وهو يتلعثم بصعوبة، ويبتسم ابتسامة متوحشة، وهناك نوع من الشرر في عينيه خلف عدسات نظارته السميكة. كنا جالسين الى المائدة وفي الحال اخبرته بسخط وبصراحة ماذا فكرت به « هل تعرف ماذا يدل ولعك المرضي هذا بان امثل لك دور السيدة كوديفا؟ هذا يدل على انك متلصص* نعم:
انت متلصص ـــ من نوع خاص، اذا احببت ـــ ولكنك مَتلصص بنفس الشيء ».

لم يطرف له رمش عين، عندما انتبه كان اشبه بكركدن حقيقي. ومن ثم وبعد ايام قليلة، اصر على الأمر ثانية، وهذه المرة مع ذلك هاجمني من جانبي الضعيف، حبي للخيول. فبنفس الطريقة الملتوية ونفس الابتسامة المتوحشة والشرر في العين، اخبرني اذا قمت بهذا الاستعراض على ظهر الحصان على طريقة السيدة كوديفا فانه سوف يقدم لي هدية هي حصان هنغاري اصيل رايناه معاً قبل شهر، خلال رحلة قمنا بها الى هنغاريا، في حقل خيول مشهور في ذلك البلد، يكلف خمسين الف فلورن اي حوالي مليون ليرة، وهو سعر جيد لركبة صغيرة على ظهر حصان تحت ضوء القمر.

* مصطلح يطلق في علم النفس على نوع من الشواذ الذي يتبع رغبته الجنسية بالتلصص على الأخرين. (المترجم).

وهكذا فلقد وافقت بالرغم من اني كنت غاضبة ومغتاضة. عدنا الى هنغاريا، الى حقل الخيول الذي كان يبعد بحوالي مئتي كيلومتراً من بودابست. ورأيت مرة اخرى، وقد قفز قلبي بشكل مفاجيء، السهل المنعزل تحت السماء الواسعة والفتحات الضيقة في الحواجز في ارض السياق والاسطبلات الطويلة الواطئة وكواتها المتقاربة. كنت أرتجف من المتعة، دخلت مرة اخرى في واحد من تلك الأسطبلات ليس كزائرة بل كمشترية. وكمشتري فحصتها واحداً واحداً، في الرائحة الطازجة للروث والقش والجلد والتبن وصفوف الخيول المدهشة في حظائرها، ورؤوسها في معالفها وذيولها باتجاهنا. خيول تمسك بانفاس المرء، بني ناري، رمادي منقط، اسود، ابيض. تظاهرت بأني أنظر اليها واحداً واحداً بالتفاصيل، ولكن في قلبي كنت قد اخترت، منذ زيارتي الأولى: ذكر عمره خمس سنوات، ذو لون ابيض حريري وبريق ذهبي وذيل طويل منساب وعرف سميك بلون الشمبانيا، وعيون غريبة براقة ذات لون احمر تقريباً، ربما كان ابهقاً. عندما جربت ركوبه مررت مرة بعد أخرى من امام زوجي، كنت صغيرة، صغيرة جداً على ذلك الحصان القوي الكبير. اذ لأول مرة لم تزعجني طريقته النشوانه في النظر الي هذه المرة. كانت متعتي كبيرة الى درجة بدأ معها أني كنت مغرمة به، او على اية حال، وجدت طريقته الغريبة في حبي على انها امر عادل ومقبول.

حسن، عدنا الى ايطاليا، ووصل الحصان من هنغاريا، ولم يقل زوجي اي شيء، ولكني كنت اعرف انه ينتظر بلهفة ليلة اكتمال القمر التي سأكون خلالها، لدقائق معدودة، مثلما تخيلني في احلامه الذهبية المتلصصة. وبمكر تجنبت ذكر وعدي له، اذ كان يسرني ان اتركه معلقاً. وفي نفس الوقت ازداد تعلقي بالحصان الهغاري بتشكل لا يمكن مقاومته. اذ كنت اذهب سراً المرة تلو الأخرى الى الأسطبل ثم أقفل الباب، واقف هناك انظر اليه في حظيرته، مندهشة، كنت انظر اليه لأنه كان جميلاً، ولكن فوق كل شيء لأن هذا الحمال جعلني بليدة وغبية وكنت اريد فهم معناه ولكني لم انجح.

كان القمر في سماء حزيران الصافية حافة مقوسة اول الأمر ثم منجلاً ثم قطعة متأكلة وفي النهاية وعند ذروة اكتماله، قرص فضي براق، خرجنا في

احدى الليالي الى الفضاء المكشوف الذي كان ابيض تحت ضوء القمر، وكانت مقدمة المنزل تتلألأ مشرقة واشجار البلوط والسرو تظهر سوداء عديمة الحركة من حوله، وقد اخبرت زوجي أن ينتظرني، وأني سوف اذهب واجلب الحصان لكي اركب وادور حول الفضاء المكشوف مرتدية شعري فقط مثل السيدة كوديفا. هز رأسه، مندهشاً ومتوحشاً اكثر من اي وقت مضى، وذهبت أنا الى الاسطبل واقتربت من حظيرة الحصان الهنغاري. ومع ذلك مرة أخرى، كنت على وشك وضع السرج عليه واخراجه، احسست بنفس السحر عندما أتأمله، ومن ثم عندما استطيع ان اشبع من النظر الى اللون الأشقر البراق لعرفه وذيله والبياض الأنيق الناعم لمؤخرة جسمه، وحوافزه القوية المتعجرفة الأنيقة الجميلة المنحنية ليلاً عند النوء الحلفي الذي يحمل الشعر في رجله، عندها نسيت بينما كنت احملق فيه لماذا انا هناك في هذه الساعة غير المألوفة، ميزت فجأة اني كنت افعل مع الحصان بالضبط ما يفعله زوجي معي. لقد كنت اعتبره مثالياً، محولة اياه الى مخلوق في الأحلام. وهكذا فأني لم أكن شخصاً عملياً او متوازناً كما زعمت ذلك دائماً، انا ايضاً كنت مجنونة مثل زوجي.

عند هذا التصور اطبقت اسناني بغضب، ومن ثم وبجهد مؤلم تقريباً، اخذت السرج من الحماله ووضعته على الحصان. ثم خلعت ملابسي، خلعت قميصي وبنطلوني، وملابسي الأخرى، وبقيت مرتدية الحذاء فقط. اما الآن فشعري، لقد كنت اعقده على شكل حزمة كبيرة على عنقي، ارخيته وتركته يسقط فوصل حتى خاصرتي. اما الحصان، فلقد اهتاج ربما بسبب هذه الاستعدادات، ادار رأسه لكي ينظر الي بينما كنت اقترب منه، عارية مرتدية الحذاء الطويل، واصدر صهيلاً طويلاً غريباً، كما لو انه يقول « انت جميلة ايضاً »، ففككت حبله من لجامه واخرجته من الاسطبل الى الفضاء المكشوف.

زوجي يقف هناك، في وسط الباحة، بوضعية وحشية اقتربت منه وانا امشي ببطء واقود الحصان من زمامه. سقط ضوء القمر علي كاملاً: حتى انتابني لحظة من الخجل، ولكن على اي حال ما يهم ذلك؟ فان الشخص الذي كان ينظر الي هو زوجي، سلمته الزمام وثبت السرج ومس ثم صعدت على السرح بقفزة

واحدة، وبدأت ادور ببطء حول الباحة المكشوفة. في البداية كان الحصان عنيداً وعصياً، يرجع الى الخلف قليلاً ويستدير، حاولت ان اهدءه بتقبيله والربت على عنقه بلطف براحة يدي، وفي النهاية تمكنت من ابطائه وجعله يمشي ولو انه نافذ الصبر بشكل غريب كما لو أنه يضمر شراً. استمريت في الدوران حول الباحة المكشوفة، بينما كان زوجي يقف في منتصفها ويستدير ليراقبني بينما كنت ادور حوله. ومن خلفي كان شعري ينتشر فوق السرج، ومن الامام كان يسقط في موجتين متوازيتين فوق نهدي ومغطياً بطني. درت حوله مرة وثانية وثالثة بنفس الخطوات البطيئة كما لو اني في استعراض. وفجأة لاحظت بأن الحصان كان يقصر الدوائر حول زوجي مثل دوائر الدوامة التي تنسحب باستمرار باتجاه مركزها. حاولت ان اصحح حركة الحصان وقد خدعت نفسي تقريباً بالظن من اني نجحت في ذلك، ولكن بشكل او آخر وفي الدورة السابعة وجدت نفسي فجأة قريبة خلف زوجي بشكل خطير. كنت على وشك ان امسه بمقدمة حذائي، سحبت الزمام لكي ابتعد عنه ولكن في تلك اللحظة نفسها تراجع الحصان الى الخلف ورفع رجليه الأمامية الى الأمام اكثر فاكثر وبقي لفترة طويلة جداً يرتفع في وضع عمودي تقريباً ومن ثم رمى نفسه الى الأسفل وبكل وزنه على زوجي الذي لم يتوفر لديه الوقت لكي يتحرك تمكنت من السيطرة على الحصان في الحال، بسهولة نسبية ادهشتني تقريباً ولكني فهمت عندئذ بالتأكيد فان الحصان ينوي التراجع بهذه الطريقة المميتة من اللحظة التي اخرجته فيها من الأسطبل والان بينما كان زوجي يستلقي بدون حراك في وسط الباحة المكشوفة، فان الحصان، بعد ان نفذ غرضه هدأ وبدأ ينبش الارض ويحك الحصى بحوافره.

حساسية

أن النقاشات بين اخي وزوج امي اصبحت واحدة من الشجارات التي لا يمكن احتمالها. ولكن الذي جعلها اكثر ازعاجاً لي هو اقناع اخي الواضح بأني اقف الى جانبه ضد زوج امي، لأننا نعود (هو في الثالثة والعشرين وانا في الثانية والعشرين) الى نفس الجيل.

انا فتاة ذات جمال وافر وواضح، ولقد تعلمت بسرعة — بل في الحقيقة اجبرت على ذلك، بشكل او آخر من خلال اعجاب الرجال بي — بان ابقي فمي مغلقاً واترك اجزاء جسدي الاخرى بان تتحدث بلغتها الخاصة الصماء. لذلك فان اخي، لم يعرف مطلقاً اثناء نقاشه المرير والذي من بين الاشياء اخرى يجعلها غير مقبولة حدوثها على المائدة اثناء الواجبات، باني لم اكن على اي حال الى جانبه بل الى جانب زوج امي. انه لم يعرف ذلك مطلقاً ليس لمجرد اني اتخذ عناية خاصة في ان لا يتسرب موقفي هذا، ولكن لأنه مخبول بالدرجة تلك، فانه لم يتنازل اطلاقاً ذات مرة ليستفسر عن وجهة نظري وعواطفي. اذ لو انه فعل ذلك، لاكتشف انه ليس هنالك واحدة من تلك التي يسميها مشاكل يمكن ان اتفق معه فيها. ولكي اضع الامر باختصار، فانه كان يمتلك مزاج التمرد بالفطرة. اما انا، من جهة اخرى، فانا وبالسر، اذا امكن القول، محافظة من الناحية الوظيفية.

لماذا أقول « من الناحية الوظيفية؟ » لان ردود افعالي على اي شيء له رائحة التمرد والهدم لا تنشأ على ما يبدو من عقلي، الذي يكون خاملاً وخالياً اغلب

الاوقات، بل من جسدي، والذي يجب ان اؤمن، كان متوائماً مع الاعصاب والعضلات التي تتداخل فيه ــ كيف يمكن ان اقول؟ ــ حساسية حادة. اجتماعياً وسياسياً ونظرياً. ان موقف اخي المتمرد، في الحقيقة، لا يؤثر كثيراً في فهمي بقدر تأثيره في معدتي وبطني، ليس في افكاري التي لا تستجيب بل في جلدي الذي يتحول الى ما يشبه جلد وزة، في اذرعي وارجلي التي تصبح صلبة، في احشائي التي تتقلص. أن كل هذا، باختصار، يكون حاداً بالنسبة لي، وعندما اشعر بأني قد هوجمت بمثل هذا التهيج الوظيفي على المائدة، كنت احاول تحجيمه من خلال شد ارجلي وساعدي، وتقويم صدري وخفض عيوني، ان الصفة المتشنجة لوضعي لا يفوت على اخي، ولكنه يخدع نفسه ويعزوه الى الصراع الدائر في ذهني بين تعاطفي مع افكاره واحترامي لزوج امي.

من الغريب اني لاحظت اثناء هذه النقاشات، ان اقوى حجج اخي لا تؤثر بي على الاطلاق، ولكن ما اسميه بتحفظي العضلي يتقلص بشدة، مثل الضفادع المكهربة، في اللحظة التي تقال فيها كلمات معنية بلهجة تدل على عدم الاحترام. والاكثر غرابة اني اميز بأن اهمية هذه الكلمات لا تمثل باي حال من الاحوال نقطة البداية لردود فعلي الجسدي، بل هي اصواتها، وكما يحدث في الموسيقى، وبشكل عام في كل انواع الضوضاء.ولكي اعمل مقارنة، فان ما يحدث لي مع مثل هده الكلمات هو اقرب الى ما يحدث لبعض الناس مع البرقوق الذين لديهم حساسية منه اذ لسبب غامض فان اجسامهم لا تتحمله، وحالما يقومون باكله، تغطى اجسادهم بحبوب حمراء وتبدأ بحكهم.

دعنا نأخذ سبيل المثال كلمة (العائلة)، لكي اقول الحقيقة، فان العائلة كحقيقة اجتماعية، لا تعني شيئاً عندي، فانا لا احب الحياة العائلية. وانا اقول انه في العائلة غالباً ما تتبادل اشد انواع النفاق المكتوم، والاكثر من ذلك فاني لسوء الحظ، لدي ميل للتسلط على العوائل من خلال الوقوع في حب رجال متزوجين وجعلهم يقعون في حبي وانا في سن الثالثة والعشرين، قمت باربع مكائد مضادة للعوائل من هذا النوع كما اسميتها، والنتيجة هي ان العوائل التي

صادفتها لم تعد الى عما كانت عليه من قبل مطلقاً، ان قدري باختصار — كما يبدو — هو لجلب الخراب والفرقة الى بني العوائل المنظمة من خلال جمالي الذي لا يقاوم (لست انا الذي يصفه بهذه الطريقة بل آباء العوائل المدهوشين بي) جمالي يخيفني، اكثر من عشاقي، بوصفه كقوة مخربة عرفت قوته الكلية التي لا يمكن السيطرة عليها، ومع ذلك... ومع كل ذلك، فكل ما يحتاج اليه احدهم هو ان يلفظ كلمة (العائلة) ببعض الاحتقار، او بنية تهكمية عدائية، فان ذلك كاف لصوت هذه الكلمة ان يصل الى اذني مؤكداً بنبرة من التهكم لكي اشعر تقلص الرعب الذي يصلب جسدي من رأسي حتى اخمص قدمي. وعلى الضد من ذلك، لو لفظت نفس هذه الكلمة باحترام وعطف وتأثر فأنهم سوف ترخي نفس ذلك الجسد بعاطفة مهذبة وحزينة واثيرة.

وفي احد الايام وعلى الغداء انفجر النزاع الذي اصبح تقليدياً بين أخي وزوج امي. جلست صامتة كالعادة، ولو اني كنت في السر، الى جانب زوج امي الذي تفتح افكاره شهيتي بالطريقة الوظيفية التقليدية، اكثر بكثير من افكار اخي. يجب ان اذكر عند هذه النقطة، بأني لا احتفظ بأي احاسيس خاصة من الهوى، واقل من الانجذاب تجاه زوج امي. وحالما اصبح اكثر انفعالا واعلى صوتاً، نظرت اليه واحسست بأن خصلات شعره المجعدة جداً والتي يتحول فيها اللون الاشقر الى رمادي، وعيونه الزرقاء الواضحة جداً والتي تظهر مهتاجة دائماً تنقل فكرة النضوج مثل منظر الزهور المتفتحة جداً عند أمسية سقوط تويجاتها من حهة اخرى كان عندي احساس من الاعجاب الصادق لأخي اذ كنت اعتبره دون ادنى مقدار من الغيرة بل بشعور خاص من الحزن بأنه اكثر ذكاءً مني وفوق كل شيء كان قادراً على التعبير عن ذكائه بالكلمات، بينما كنت بكماء من الناحية العقلية، وكنت مجبرة على ان اعبر من خلال جسدي فقط.

اصبح النقاش عنيفاً، وكانت الخادمة تهرول متل فأر مرعوب حول المائدة حاملة صينيتها التي يرفضها الجميع شددت شفاهي وارجلي وابقيت عيوني مثبتة على الماعون ثم قالت امنا بطريقة المرأة الاحتماعية النزعه الخرفة التي لا تعرف متى تتحدث قالت الشيء الدي كان الاولى بها ان لا تقوله اذ استدارت تجاه

اخي وهتفت.. كان المفروض بك ان تتذكر انك لست في الشارع بل مع عائلتك! متأثراً بغضبه اجاب اخي « انا لا اهتم البتة بشأن العائلة اللعينة ».

ثم حدث شيء ما لا استطيع ان اشرحه بطريقة مقنعة اذ بينما جعلتني ملاحظة اخي اتجمد واتصلب كلياً شعرت فجأة بنوع من الحاجة التي لا تقاوم لكي اجعل زوج امي يفهم بأني اقف الى جانبه واشاركه افكاره ان اي شخص اخر في مكاني لكان قد تكلم وبالتالي يبدو في النهاية سوء الفهم الذي استمر لفترة طويلة. اما أنا من جهة اخرى فلقد عملت شيئاً غير متوقعاً وسخيفاً ولا يمكن غفرانه اذ مددت رجلي تحت المائدة وضغطت رجل زوج امي برجلي اقسم ان رغبتي الوحيدة في تلك اللحظة كانت لاجعله يعرف بأني اتفق معه، ولكني في الحال عرفت انه قد عزي، معنى مختلف لحركتي. لقد لاحظت ذلك الاحمرار المفاجىء لوجهه الأحمر مسبقاً. من النبرة الجوفاء الغريبة المرتبكة لصوته والذي اجاب به اخي.

ــ « انا امنعك من الكلام بهذه الطريقة في بيتي »

ــ « في بيتك »؟

ــ « نعم في بيتي »!

ولقد توالت بعدئذ النتائج: اذ نهض اخي وخرج وهو يصفق الباب خلفه، تبعته لكي اجعله يرجع الى المائدة ولكني هذه المرة شعرت بأن هناك كذباً في دوري كداعية سلام. على اية حال ان اخي لن يستجيب اذا احتضنني وهو يقول أنا أعرف أنك تفكرين بنفس الطريقة التي افكر بها ثم خرج. أما أنا فلقد عدت الى غرفة المعيشة وانتهت الوجبة بصمت.

بعدئذ استلقى زوج أمي في كرسي وبدأ يدخن بمظهر من الاستغراق والعصبية، أما أمي التي نهضت في الساعة الثانية عشرة فلقد اعلنت أنها تشعر بالتعب وتريد أن ترتاح. دهبت الى غرفتي ارتديت معطفاً من نوع ما وبدون حتى أن أمشط شعري أو اضع أية زينة على وجهي، غادرت البيت بسرعة مارة من خلال غرفة المعيشة التي كان لا زال زوج أمي يسترخي على كرسيه فيها.

كانت الساعة الثانية والنصف، ساعة القيلولة والتخمة والنعاس. كنا نعيش

في شارع فيه اشجار دلب كبيرة كانت كثيفة في هذا الموسم بالبراعم فبعد قليل، خلال ساعتين أو ثلاثة، سوف تصل البغايا الى الشارع وزبائنهن في السيارات، ولكن في هذه اللحظة، لم يكن هنالك أي شخص سواء من المارة أو السيارات. تمشيت ببطىء وبفتور انحنيت لألتقط عشبة طويلة من الحشيش ووضعتها بين اسناني، دفعت يدي الى قعر جيوبي في معطفي لكي اسحب جوانبه الى بعضها. ثم توقفت لكي اشد حزامي وبينما كنت افعل ذلك، نظرت الى الخلف من فوق كتفي عددت ثمانية اشجار دلب بيني وبين باب بيتنا كان زوج أمي الذي يتبعني قد وصل الى الرابع. فأبطأت خطواتي.

حياة على الهاتف

انتقلت مؤخراً الى بيت أخر، وذلك لأن سفيراً لا زال في الخدمة قد يحتاج ربما الى بيت كبير ولكن ارملته لا تحتاج الى مثل هذا البيت، اذ في يوم وفاة زوجها سوف تفقد تسعين بالمائة ليس من اولئك الذين يسمون بالمعارف فقط بل كذلك من اصدقاءها. اضف الى ذلك أني لا أمتلك عائلة كبيرة، اذ أن لي بنت واحد فقط، لذلك انتقلت وبدون اسف من البيت المكون من عشر غرف والذي عشت فيه أنا وزوجي الى شقة انيقة صغيرة ضيقة مكونة من اربع غرف. ومن بين الأشياء التي اخذتها معي من مكان معيشتي السابق لوحة علقتها في غرفة الجلوس واريد أن اصفها الان، اذ من اجل فهم بعض الأشياء المعينة فأن ذلك يصبح على ما اعتقد ضرورياً. اذ يمكن رؤية امرأة واقفة الى جانب منضدة مزخرفة مذهبة، امرأة جميلة جداً، ولكن ذات جمال متعجرف، مجنون، مفرط الحساسية، عالمي النوع، معمول ومزين حد الأكمال ترتدي بدلة مسائية سوداء مع مجوهرات قليلة ولكنها ثمينة الان، هذه المرأة هي أنا، لقد كان ذلك منذ بضع سنين فقط، عندما كنت زوجة سفير واعيش في عاصمة دولة اجنبية.

لقد ابتدأت اعيش حياة هادئة، هادئة جداً في الحقيقة، وسرعان ما اصبحت هذه الحياة مقبولة تماماً. وكنوع من المقارنة، شعرت بأني مثل جندي يعود الى بيته نهاية الحرب لقد كانت حياته حينذاك معدة لغرض محدد، الحرب؛ والتي تتطلب الشجاعة والرزانة والقسوة والانضباط. أما الآن في البيت. فانه يميز بأن هذه الصفات في الحياة المدنية ليست بذات فائدة. عندها وبدون أن

يصبح واعياً بذلك يبدأ بنزع اسلحته ويفك مصائدة الحربية الواحدة بعد الأخرى، والفرق هو أن ذلك الجندي سوف يذهب في يوم لطيف الى دائرة التوظيف، ليجد وظيفة من نوع ما ولكن ماذا بخصوصي أنا؟ أنا الآن ابلغ الخامسة والخمسين وكل الذي انتظره هو عمر منعزل فارغ عجوز.

كما لو أن كل هذا ليس كافياً، دخلت ابنتي كلوريا ذهني بلهفة ثابتة ولكنها غامضة، ولو أني لم اجدها متلبمة بخطأ ما، ولكني احسست طوال الوقت بأن هنالك، كما يقولون، « شيئاً خطأ يتعلق بها » كانت جميلة، جميلة جداً في الحقيقة. ذات نوع واضح ومؤثر من الجمال وذات صفات ممتازة بطبيعتها، اذ انها كانت حنونة ومطيعة، ومع ذلك كنت اشعر بخلل خفي فيها جعلها ضعيفة الأرادة وغير مستقرة في أي عمل تقوم به. اذ لا يمكنني أن أعدد الوظائف التي ابتدأت العمل بها ثم تركتها، اذ في سس السابعة والعشرين، كانت قد اصبحت، مضيفة، مترجمة، سكرتيرة، مساعدة بائع في محل، طالبة في اربع كليات مختلفة، ممرضة في مستشفى، مجالسة اطفال، ولكن اكثر ما كان يحيرني في هذه الحياة ذات الفشل المتواصل، هو أن كلوريا لا يبدو عليها أنها منزعجة أو خائفة منها، بدون شك، هذا ما كنت محلها، وبل على الضد من ذلك كانت تظهر نوعاً من الهدوء التام الغامض كانت متأكدة أنه تحت هدا القناع من خيبات الأمل المتعددة يقبع هناك مختبئاً نداء النجاح السعيد المطمئن. في احد الأيام، كنت قد استيقظت تواً من نوم عميق مزعج ـــ النوم المميز لامرأة غير سعيدة مثلي ـــ عندما رن جرس الهاتف. يجب أن تعرف بأن لكلوديا وأنا تلفون واحد مشترك، بحيث اذ كنت اخابر فان كلوريا تستطيع سماع ما اقول والعكس صحيح. وهكذا، وبتنهيدة مددت يدي في الظلام ورفعت السماعة، مطمئنة، في توقع، أن أخبر بأن احدهم يريد أن يتكلم مع ابنتي. ولكن كل هذا لم يكن الاّ توقعاً، اذ في الحال، وقبل أن اتمكن من فتح فمي، اهانني صوت عنيف شاب يفاجأني ـــ كيف اقول ذلك؟ فاجأني بعريه. انه ذو نوعية تدلل على شخص في مرسم مرتدياً سروال تحتاني فقط. أن هذا الصوت « العاري »، والذي بذلك اعني أنه كان مخلص بغير احتشام، متلهف، وظائفي، لم يعطني الفرصة لكي اوضح سوء التفاهم، بل بدون أي مقدمة أو تحويل، افرغ مباشرة في اذني ما يمكن أن يحكم عليه المرء بانه

مسرحية محب مهان. باختصار، عما يدور كل هذا الأمر؟ انه نوع من « خدعة ـــ الثقة » على قدر ما افهمها، اي موعد اعطته كلوريا ولكنها فشلت في تلبيته. ولكن خدعة الثقة هذه لم تكن الأولى، اذ كان هنالك العديد من الآخرين، والحقيقة ان الأمر كان يتعلق بالعدد الزائد من خدع الثقة التي كان هؤلاء الشبان يشكون منها، واحد او جميعهم، ولكن عدد مثل هذا ـــ لا. وفي أثناء ذلك، امكن استخراج مقدار من المعلومات المختلطة مع توبيخاته والتي تمكنت من الاستنتاج منها بأن بينه وبين كلوريا كانت ولا زالت هنالك علاقة جسدية كاملة.

كان رد فعلي الأول هو أن اضع سماعة الهاتف محلها. ولكن عري الصوت المجنون المشبوب بالعاطفة ادهشني لذلك استمريت في الاصغاء قدر ما تسمح به الحشمة لي. ومن ثم وعند طلب حاسم (ايها المومس، هل سيكون حوابك نعم أو لا)، اتخذت صوتي الارستقراطي الأزدرائي وقلت «هل تعلم أنك تخاطب أم كلوريا؟ سوف احولك الان الى كلوريا. صحت بصوت عال على ابنتي ولكني لم اضع السماعة محلها. امسكت بها معنف في يدي على غطاء السرير، ثم حزمت أمري ووضعتها على اذني مرة أخرى.

انتهيت من الاصغاء الى مسرحية الشباب « المخدوعين بالثقة ». ومن ثم وبعد فترة قصيرة اعترضت الانهمار المختلف كلياً لعاشق أخر، كان هذا الآخر، كما يبدو، اكثر حظاً واكثر رضا. كان صوت المتكلم الأول عارياً بطريقة خائبة وهجومية، أما الثاني فلقد كان صوته من نفس النوعية ولكن طريقته كانت لبقة وعاشقة. وهو كذلك اعطى معلومات دقيقة عن طبيعة علاقته الحميمة مع كلوريا. كان اكثر طيشاً لأنه اكثر حظوة وقد تحدث بتلميحات صريحة اضطرتني في العديد من المرات الى غلق السماعة تقريباً ولكني قاومت الاغراء. بعد العاشقين، احدهما التعبس والآخر السعيد، كان هنالك محادثة مختصرة مع رجل اكبر سناً والدي قادني الى هذا الفرض كونه واثقاً جداً من نفسه، وفي النهاية صوت غير متكلف، صوت شاب من الطبقة العاملة، والدي سأل

كلوريا « هل تتذكريني؟ أنا الذي كنت ارتدي الكنزة الحمراء »، تذكرته كلوريا، واصغت اليه دون أن تظهر أية علامة على نفاذ الصبر.

ان كلوريا، كانت تجري وتستلم مكالماتها الهاتفية في الصباح الباكر ومن ثم لاحقا بعد الغذاء ولم اتردد انا: اذ حالما انهينا المائدة، عدت الى غرفتي معتذرة بأني سأنام القيلولة وباندفاع رفعت السماعة والصقتها بجشع الى اذني وبعد الظهر اتصل الاربعة الذين اتصلوا في الصباح مرة ثانية اضافة الى ثلاثة اخرين وكلهم مرتبطين مع كلوريا في نوع من المكيدة الغرامية الغامضة ثم خرجت كلوريا بعدئذ وكما اخبرتني، وهي تكذب بدون شك، لأخذ درس اللغة الانكليزية، وهكذا اصبحت وحدي في البيت لاتذوق المرارة مرة اخرى، الطعم المقلق لتجربتي الالزامية كلصة هاتف. احسست بالخجل من نفسي واقسمت بأن لا افعل ذلك مرة اخرى. ولكن في صباح اليوم التالي، وعند اول رنة لجرس الهاتف، امسكت بسماعة الهاتف بحركة مسعورة وفي النهاية، وبعد اسبوع، اصبحت هذه المسألة بمثابة عادة لا يمكنني مقاومتها ولكني كنت ابررها بأن احبر نفسي بأنه ليس الفضول هو الذي يجعلني اصغي، بل الحاجة لأن اصبح جزءاً من حقيقة مختلفة عن واقعي، في الواقع من اجلها فحسب.

كيف تتصرف كلوريا اتجاه كل اصوات هؤلاء الرجال العشاق الذين يتلون ويتداخلون مع بعضهم الاخر، وكل واحد منهم لا يعرف الاخرين؟ لقد كانت تتصرف بطريقة مدهشة، كانت في نفس الوقت تتحدث بحذر واثارة. اذ تجيب بلعثمة من كلمات ذات مقطع واحد، ولكن في نبرات متغايرة كثيراً، او تقطع حديثها منتصف الكلام كما لو انها خائفة، او تقول شيئاً بأن تقبع في صمت تام ولكنه صمت بليغ. لأنها عندما لا تتكلم يمكن القول ان جسمها هو الذي يتكلم بدلا عنها، بينما يصبح الرجل على النهاية الأخرى من الخط مهتاجاً ويائساً ويبدو كما لو أنه يتنفس وينبض في السماعة، مثل البحر عندما يتنفس وينبض في داخل الصدفة التي يضعها المرء للتسلية قرب اذنه.

وفي احد الأيام وعلى المائدة نظرت الى كلوريا ولاحظت انطباع الانزعاج الظاهر عليها للمرة الأولى. فوق كل شيء اندهشت للحلاوة الاستثنائية التي

كانت تنبعث من وجهها وجسدها. كانت نوعاً من الحلاوة الوظيفية اللاوعية بالكامل، من نفس النوع، الذي لا استطيع ان امنع نفسي من التفكير به، المميز للحيوانات في مواسم التكاثر والزهور في الربيع.

في البداية كان عندي احساس بالغيظ، لأني ربطت هذه الحلاوة بتنهيدات كل اولئك الرجال على الهاتف ولو أن حلاوتها كانت في الظاهر ايجابية ومتواضعة، فان للحلاوة في الحقيقة اغراءً قوي لا يقاوم، ولكن في الحال وعند تذكر امر مرَّ في ذهني، حل الغضب محل الغيظ، احساس واهن بالغيرة.

ان الامر الذي مر في ذهني، كان في الحقيقة هو أني قبل زواجي كان لي نفس الحلاوة التي تمتلكها كلوريا الان، ولكنني لسبب أو أخر كنت اخجل من هذه الحلاوة وقررت أن اتخلص منها بأسرع ما يمكن لذلك تزوجت شابا مما يسمى بعائلة طيبة والذي لم احبه ولم يحبني ثم تبعته في مهنته كدبلوماسي في سفارات العديد من عواصم العالم وهكذا فما الذي حل بحلاوتي؟ أن هذا يمكن الاجابة عليه بسرعة: لقد اختفت اثناء اداء الواجبات الاجتماعية. قد يعترض بعضهم بالقول ان الحياة الاجتماعية ليست بالواجب، ان ذلك يعتمد. انها لمسألة ان تستقبل بضعة اصدقاء، بحرية وبراحة بال على مائدة الطعام، ومسألة اخرى مختلفة تماما عندما تدعو للعشاء على سبيل المثال عشرين عضواً من وفد وطني من برلمان او شيء اخر مشابه اعد مثل هذا الامر لثلاثين عاماً وفي النهاية اخبرني هل هنالك مبالغة في الحديث عن الأمر باعتباره واجباً

بينما كانت هذه الأفكار لا تزال في ذهني كنت لا ازال انظر الى كلوريا ومن ثم لاحظت امراً اخراً ادهشني اذ أنها بالرغم من كل اولئك الرجال الذين اتصلوا هاتفياً بها وتنارعوا على مخاطبتها، كانت تبدو حقاً واحدة من تلك الفتيات في زماني التي تصفها امها على انها نظيفة. مأمونة وصافية لكل هذه الصفات الايجابية اضيف واحدة اخرى: عاقلة، نعم ان لكلوريا مظهر حكيم، الحكمة المتلبدة الأحساس بسبب لاعقلانيتها وهذا يشوش الرؤية امامي تماماً. اذن هكذا كانت الامور تقف بيننا. كانت هي العاقلة وانا الحمقاء حقا ان العالم مقلوب..

في تلك اللحظة لا بد ان وجهي اظهر تعبيراً مشوهاً لأن كلوريا سألتني فجأة « لماذا يا أمي، ما الامر؟ ما الذي تفكرين فيه؟ »
اجبتها « انا لا اعرف لماذا كنت افكر اننا يجب ان نغير الهاتف اذ اننا الان يمكن ان تصغي احدانا لمكالمات الاخرى »

هزت كتفيها بطريقة مؤدبة لا مبالية « ماذا يهم؟ لا، اننا لا نفعل ذلك على اي حال، ليست لدي اسرار اخفيها عنك مثلما ليس لديك انت »

بعد فترة قصيرة وبالعذر الاعتيادي من اني تعبة واريد ان ارتاح اغلقت علي غرفتي وبنفاذ صبر رفعت السماعة عندما سمعت المكالمة التالية. « ولكن هل تعتقدين ان احدهم ينصت علينا في هذه اللحظة؟ »
ــ « نعم، ربما »
ــ « ولكن هل تعرفين من هو؟ نوع من التلصص بالتسمع، تجسس في الحقيقة »
ــ « ماذا يهم الامر بالنسبة اليك؟ ان هذا لا يهمنا ولا تجني منه شيئا. منذ أن بدأت تصغي لنا اصبحت اقل شدة معي. انها اصبحت مغرمة بي اذا امكنني قول ذلك. اذ انها توقفت عن سؤالي ان اذهب معها الى حفلاتها التي لا تطاق ».

صفعتني هذه الكلمات في وجهي، ودون ان يطرف رمش عيني. استقريت بشكل مريح اكثر على فراشي ومددت ذراعي الفارغة لكي اجد مفتاح المصباح لاطفيء النور. في الظلام، يصغي المرء بشكل افضل.

مجردة من العاطفة

أنا لم أتزوج مطلقاً لأني فهمت مبكراً جداً، ان اي شخص مثلي يفكر بالحب بآستمرار، من الافضل له أن يبتعد عن الزواج، وبدلا من الزواج، كما تفعل الكثير من النساء، ولكي لا افكر بالحب، فاني اتخذت مهنة، كمضيفة جوية، تسمح لي بأن اعيل نفسي باستقلالية وان تدعني افكر بالحب بالمقدار الذي أريد دون ان التزم تجاه اي شخص. كنت اطير يومياً على طرق الشرق الأوسط، وطوال الوقت الذي كنت اظهر فيه مبتسمة ومجاملة، واقوم بكل الاشياء الاعتيادية مثل الواجبات، والاشراف على شد احزمة المقاعد ومساعدة الامهات في مشاكلهن وما شابه ذلك، كنت افكر بالحب، لكن هذا لا يعني اني امرأة ذات رغبات شاذة، على الضد من ذلك، كنت من النوع الكاتم لعواطفي تماماً. ان حقيقة اني افكر كثيراً بالحب لا يعني ان يحدث لي ان أَحب او أُحب. ففي سن الثلاثين، وجميلة كما انا، كانت لدي علاقتين غراميتين هامتين فقط، ولكي اعوض عن ذلك فأني لم اتوقف مطلقاً عن التفكير بالحب في بعض الاحيان كنت اعتقد أن فقداني لغريزة الحب نابع من المهنة التي اخترتها. قد اكون مخطئة، ولكن يبدو اني قبل أن اصبح مضيفة واثقة اكثر من نفسي. أن مهمة المضيفة قد جعلت مني انسانة بدون جذور، انسانة لا تعرف اين بيتها، ومن النادر أن تتحدث لغتها، وتعيش اغلب وقتها فوق السحب، في الجو الرائع الارلي في الاعالي، لكي تُحب او تحب، تحتاج الى جذور. ان المرأة الفلاحة المرتبطة ببيتها الريفي وحقولها، تحب وتحب، وكذا حال البائعة التي تقضي وقتها بين بيتها ودكانها. ولكن في السماء ــ كيف يمكن للمرء ان يمد جذوراً

في السماء؟ ان القديسين، في الحقيقة، الذين يعملون دائماً عكس الاشياء التي نفعلها نحن المذنبون قد ينجحون في فعل ذلك ولكن كم عدد القديسين؟

خلال احدى الليالي في بيروت، وبسبب تفكيري الفارغ المستمر حول الحب، قبلت دعوة لعشاء من ربان طائرة في شركتنا رجل يسمى ماركو كان يلاحقني منذ فترة طويلة لكي ارى اذا كانت تتوفر فيه بأي حال من الاحوال الصفات التي يحتاجها لكي يصبح، كما يقولون، الرجل الذي في حياتي. سوف اعطي وصفاً لهذا الرجل ماركو، اذا لم يكن لاي سبب آخر، فلأنه كان مثال الرجولة في نظري، ولأنه وعلى الرغم من ذلك، فأن الامور جرت بالشكل الذي حدثت به. ان ماركو اذن كان واحداً من اولئك الرجال الجميلي الطلعة جداً، والذي تتوازن فيه القوة الزائدة بنوعية مضادة، فلقد كان رياضياً ولكنه ذو اخلاق لطيفة، قاسٍ ولكنه كئيب، قوي البنيان ولكنه جبان، وفي اصعب اللحظات حتى انه تلعثم قائلا شيئا ما اعجبني واعطاني احساساً بالرقة.

ذهبنا الى مطعم شرقي وكان زي الخدم والاثاث من الطراز العربي، جلسنا في ساحة صغيرة ذات حوض رخامي ونافورة، طلبنا عشاءً خاصاً، ثم واجهنا بعضنا الاخر. كان موقفي واضحاً، لقد كنت هناك لكي يخبرني بأنه يحبني، وربما حتى يريد ان يتزوجني، ولكن لان الموقف كان واضحاً فلقد كان يخيفني، فلكوني مجردة تماماً من غريزة الحب، وذات شكل جميل، بالرغم من ان شكلي في مثل هذه المناسبات يتظاهر بانتظام بأنه اطرش ويرفض ان يستجيب بأي صورة من الصور، فلقد كنت مجبرة، وهذا ما كان يسبب لي ازعاجا عظيما، لفكرة أن ماركو كان على وشك ان يعلن نفسه، وان يضع امامي ما يسميه العديدون بالسؤال الاساسي: هل انا في الواقع احبه ام لا؟ نظرت اليه حذرة، وبينما كنت افعل ذلك، كنت اضع تكشيرة حائرة على وجهي والتي حولت وجه المضيفة الجميل الى قناع احتفالي كنت حينها اقول لنفسي « نعم انه هو الرجل انه الرجل حقا ليس هناك شك في ذلك » ومن ثم ومن جهة اخرى، لا، انه ليس الرجل، من اجل الله، انه ليس الرجل المناسب، دعنا حتى

لا نتكلم عنه اطلاقاً. ان ماركو لا بد قد لاحظ شيئاً، لانه سألني بصوت واطيء
« ما القضية؟ مشكلة ما؟ »

ــ « لا، ليست هنالك مشكلة، ولكن دعنا لا نصمت لنتكلم»

ــ « انا في الحقيقة لدي شيء اريد قوله لك»

وفي الحال اصبت بالذعر « شيء واحد فقط؟ ولكن دعنا نتحدث عن العديد من الأشياء حدثني عن مدينتك، اخبرني اين ولدت، تحدث لي عن عائلتك» وافق مضطرباً، ولقد خاب ظني لأني لسبب ما تخيلت ان له جذوراً في قرية صغيرة، وبدلاً من ذلك، ظهر انه قد ولد في ميلان، وتحدث عنها ايضاً بطريقة عديمة اللون، مختصرة مثل الرجل النموذجي ذو الكلمات المحدودة، الذي كانه، وفي نفس الوقت، كان يحاول ان يجعلني افهم بأنه يحبني وانه لا يجد طريقة افضل من النظر الي بنظرات مليئة بكآبته العنيدة البليدة، بينما انا وتحت حملقته المتواصلة، بدأت احس بأني عصبية اكثر واكثر. ومن ثم جلب لنا النادل شوربة مع بعض المحار فيها، حاولت ان افتح واحدة منها كانت لا تزال مغلقة فلم افلح وكسرت احد اظافري، فانفجرت « هل ترى هذه الصدفة البحرية؟ حسن، لقد حولتني هذا المساء الى صدفة بحرية مثل هذه: مغلقة بشدة مثلها، عنيدة مثلها، وكتومة مثلها ».

ــ « ولكن حقا، انا... »

ــ « حقا لقد دعوتني هذا المساء لكي تخبرني بأنك تحبني لا تقل لا: انا اعرف ذلك. ولكي تجعلني افهم، امطرتني بنظرات مثل نظرات كلب مجلود بالسياط حسن، ان هذا لن ينفع حقيقة، ان هذا لن ينفع ».

ــ « ولكن ما هذا الذي لن ينفع؟ ».

ــ « طريقتك في جعل المرأة تفهم انك تحبها ».

ــ « احبريني كيف يجب ان اتصرف »

ضحكت ضحكة قصيرة غير راضية، ومن ثم، ولسبب ما حزمت امري على ان اعلمه شيئا لا اعرف انا عنه اي شيء، لا نظرات ولا ابتسامات، ولا مسكات يد ولا غزل، من يغازل هذه الايام؟ ان ما يجب ان نركز عليه هو ممارسة الحب الرياضية؟

بدا مندهشاً، واعاد « ممارسة الحب الرياضية؟ ما هي ممارسة الحب الرياضية؟ »

بعد أن خلقت الموضوع، اجبته « انه ذلك النوع من ممارسة الحب الذي لا يمر خلال مراحل النظرات والتحيات والابتسامات وما شابه ذلك. انه مثل التمرين الرياضي: انا تعجبني هذه المرأة، وانا اعجبها، وهكذا فان هنالك اعجابين يجب ان يجمعا بعضهما ليكونا المجموع، والذي يعني فعل الشيء الذي يجب ان يفعلا اي شيء؟ »

سقط في صمت تأملي ثقيل. انه بدون شك وجد أن مسألة ممارسة الحب الرياضية هذه صعبة الهضم. انهينا الطعام بدون كلام تقريبا، ومن ثم اخبرته بأني تعبة ودفع هو الحساب، تمشينا خارجاً ونحن لا نزال صامتين الى الفندق الذي لم يكن بعيداً. اخذت مفتاحي من البواب، لاحظ التكشيرة الجافة الدالة على الحيرة التي وسمت وجهي. شعرت اني يجب ان اضع ماركو على المحك، الامتحان النهائي، فدعوته لكي يصاحبني الى طابقي. في المصعد وقفت واستندت الى الخلف على الجدار، ولكن في السر كنت اصرخ « هيا، امسكني، هيا، ماذا تنتظر؟ » ولكن لم يحدث اي شيء من هذا، وكان هذا شيئاً طيباً، لأني شعرت بأنه لو امسكني كما تمنيت، فان ردي السخيف ولكنه المحتم سوف يكون صفعة قوية على الوجه. توقف المصعد، وبينما كنت اعض شفتي السفلى من الغضب خرجت واتجهت ورأسي مطأطىء نحو الاسفل الى باب غرفتي، رافقني ماركو، استدرت مرتعشة ووجدت نفسي وفمي على فمه تقريبا، وفي النهاية قبلنا بعضنا. اتت القبلة من نوعية اقل من المتوسط، الى درجة أنه توفر لدي الوقت لأفكر « لا، انه ليس الرجل، انه بالتأكيد ليس الرجل ». افترقنا ونظرت من خلف كتف ماركو في الممر الى النقطة التي يوجد فيها مصعدان، احدهما مصعدنا، وكان ينزل الى الاسفل ولكن ابواب الاخر كانت مفتوحة، وكان هناك رجل يراقبني، ولقد ميزت انه رأنا نقبل بعضنا. كان رجلاً اشقر في منتصف العمر، شعره قصير وله حصلة امامية، وجه احمر وعيون زرق ونظرة شرراء قليلا. كان صغيراً ولكنه قوي البنيان، يرتدي بنطلوناً ازرقاً له ازرار شبيهة بالجرس وقميص قصير الاردان وصورة مرساة عليه: من الظاهر انه بحار. ومن

ثم، وربما للمرة الاولى في حياتي، احسست بظهور الغريزة التي لا اعتقد اني امتلكها بشكل واضح ودقيق. همست الى ماركو « ان هنالك بعض الناس، يجب ان نذهب الان، سنرى بعضنا غداً » صافحته ودفعته تقريباً ذهب ماركو سكراناً بالفرح وانحنيت لكي ادخل المفتاح في قفل الباب، ولكن يدي كانت ترتجف بسبب الغريزة التي نشأت في داخلي في النهاية، ولم انجح في ادخال المفتاح، وفي نفس الوقت احسست ان البحار كان قادم من خلفي. قلت لنفسي « دعنا نأمل انه قدر نفسه حقاً وانه سوف يتشجع ويعيد احترامه لي » وفجأة امتدت يد حمراء سميكة ذات شعر اشقر فوق يدي، اخذت المفتاح ادخلته بقوة في ثقب المفتاح. فتح الباب ودفعني الرجل الى الغرفة مغلقا الباب خلفه واشعل الضوء.

رياضي كل شيء حدث بالضبط مثل التمرين الرياضي. ولكن عندما رأيت الرجل ذو الخصلة الشقراء يتجه نحوي ويديه ممدودتين ليمسكني، ببنطلونه الأزرق وقميصه والمرساة المرسومة عليه وابتسامة تظهر اسنانه، ضعفت غريزتي تماماً وصرخت « لا تقترب مني »!

واثقاً من نفسه، هز رأسه واقترب خطوة اخرى مني، تراجعت عندها الى باب غرفة الحمام، وصلت بسرعة هائلة الى الحمام، اختطفت انبوب (الدوش)، فتحت الحنفية ووجهت تدفق الماء عليه. كان فندقاً حديثاً جداً وكان تدفق الماء قوياً. ومثل بحار حقيقي معتاد على موجات البحر، بقي غير متأثر، واصبح وجهه قرمزياً تحت تدفق الماء الذي اغرقه، ثم تراجع خطوة الى الوراء كما لو انه يريد طمأنتي، وبدون تسرع او غضب قال بالانكليزية « أنا متأسف. اعتقدت... »

احبته بالانكليزية ايضاً « انك اعتقدت، لأن الرجل الاخر قبلني، يمكنك ان تنام معي. اليس الامر كذلك؟ »

ـــ « نعم، ربما. »

ـــ « حسن، اذهب في الحال. والا سأبدا بالصراخ »

لا ادري لماذا سألني بعدئذ عن جنسيتي. كنت لا ازال مثبتة عيني عليه

والانبوب في يدي، اخبرته، عندها قال، من اجل المجاملة، انه احب روما كثيراً ثم انحنى انحناءة خفيفة وانصرف.

اصبحت وحيدة الان، كان ماركو جباناً وعاطفياً ولم احبه، والبحار كان « رياضيا » ولكني لم احبه كذلك. ذهبت الى المرآة ، حدقت في نفسي وقلت بصوت عالٍ « مجردة من العاطفة ».

المحتويات

الصفحة